

هول

الحركة العربية الحديثة

الجزء السادس

فصول

في حاضر العربية ومستقبلها ومشاكلها ومعالجتها

آراء ومقترحات

تأليف

محمد عسرة دروزة

حول

الحركة العربية الحديثة

الجزء السادس

فصول

في حاضر العربية ومستقبلها وشاكلها ومعالجاتها

آراء ومفكرات

تأليف

محمد عسرة دروزة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الجزء تنمة السلسلة التي نشرناها حول الحركة العربية الحديثة . وقد كانت من الحطة التي وضعناها ان يكون في السلسلة فصول عن سير الحركة العربية الحديثة في مصر والعراق والاردن ومواقف الانكليز منها كما فعلنا بالنسبة لفلسطين والانكليز والنسبة لسوريه ولبنان والمغرب العربي والافرنسيين في الاجزاء الثلاثة الاولى من السلسلة .

غير أن الحرب الفلسطينية وما تقدمها وما لحقها من احداث ونشؤ الجامعة العربية وسيرتها - وهو ما لم يكن حينما وضعنا تلك الحطة وكتبنا كثيراً من فصولها في هجرتنا إلى تركيا ١٩٤١ - ١٩٤٥ - كادت تكون محوذاً لا ركة العربية الحديثة اندمج فيه جميع البلاد العربية اندماجاً تاماً من جهة وكان للانكليز وغيرهم من الدول الباغية الكبرى من المواقف ما كشف عما يبيتونه للحركة العربية الحديثة من نوايا كشفاً تاماً من جهة اخرى بما المنابه في الجزئين الرابع والخامس من السلسلة .

لذلك رأينا ان نقتصر على ما صدر من اجزاء وان نختم السلسلة بهذا الجزء في حاضر الحركة العربية والبلاد العربية ومستقبلها وقضاياها ومشاكلها ومعالجاتها مع المامة خاطفة بما صرفنا النظر عن الاسباب فيه .

وقد توخينا فيما كتبنا الصراحة ، وضمناه دعوة حارة إلى ما يجب على امتنا على مختلف فئاتها وعناصرها وهؤساتها وخاصة شبابها ان تفعله حتى تستطيع ان تغلب على العقبات التي تقف في طريقها تعرقل سيرها السريع نحو اهداف الحركة العربية الحديثة آملين ان يكون فيما كتبناه الحق والصواب والنفع والله ولي التوفيق ولا حول ولا قوة الا به

فصول الكتاب

- ١ - الفصل الأول : الوعي القومي واتساعه وتطوره وجوده وسليته
- ٢ - الفصل الثاني : الشباب وواجبهم
- ٣ - الفصل الثالث : مشكلة الجهل ومعالجتها
- ٤ - الفصل الرابع : مشاكل الفوارق الطائفية وتنوع المناهج والمدارس ومعالجتها
- ٥ - الفصل الخامس : وجوب الدعوة الى الهدى القرآني وتنشئة الناشئة عليه
- ٦ - الفصل السادس : الافكار السامة وجوب الحذر منها
- ٧ - الفصل السابع : مشكلة المرأة العربية وما ينبغي ان يسار عليه من قواعد وتقاليد سلمية في شأنها .
- ٨ - الفصل الثامن : مسائل القرية والبادية والفلاح والعمال ومشاريع البر والمعاونة الاجتماعية والصحيحة
- ٩ - الفصل التاسع : نحو الوحدة العربية
- ١٠ - الفصل العاشر : ثار فلسطين
- ١١ - الفصل الحادي عشر : قضايا العرب القومية الاخرى وما يجب عمله في سبيل معالجتها
- ١٢ - الفصل الثاني عشر : امكانيات البلاد العربية وجوب استغلالها
- ١٣ - الفصل الثالث عشر : جهاز الحكومات العربية وجوب تطهيره وتنظيمه
- ١٤ - الفصل الرابع عشر : الاحزاب في بلادنا ومآخذها وعلاجها

الفصل الأول

الوعي القومي

- ١ -

النشأة الوعية

في الجزء السابق قلنا ونحن نصف حالة الامة العربية الاليمة في مرحلتها التاريخية الحاضرة انها في قمل واضطراب ، وان هذا يعني الشعور والوعي واننا سن ابل ذلك غير يأسين من رحمة الله .

ومع ان هذا الشعور والوعي ليس جديداً حيث نبهنا على وجودهما في بعض طبقات الامة العربية خلال السنوات التي اتقبت اعلان الدستور العثماني وانبعث فيها الحركة العربية الحديثة على ما شرحناه في الجزء الاول من هذه السلسلة فانها قد اتسعا كثيراً كمية وكيفية عما كنا عليه خلال السنين الثلاثين التي مرت بين العهدين .

والذين عاشوا في عهد الدولة العثمانية وظروف انبعثت الحركة العربية ولايزالون احياء بنوع خاص - ونحن منهم - يرون من دون ريب تطوراً قوياً اكثر من غيرهم في ذلك .

- ٢ -

كيف كانه في العراق والسام وكيف غداً

فلم يكن سواد الشعب العربي حينئذ يحس بشيء من الشعور القومي الذاتي ؛ وقد كان هذا الشعور قاصراً على فريق محدود العدد من الرجال والشبان المتنورين ، وكان الى جانبهم في نفس الوقت فريق كبير من الرجال والشبان المتنورين لا يشعرون به بل ويقفون من حركة الانبعاث موقف المتجهم او العدو لأنهم كانوا مندمجين في جو الدولة العثمانية وبيئتها وقد قضوا مدة طويلة في وظائفها ومختلف أقطارها حتى اصبح كثير منهم غريباً او كالفريب من العرب والعروبة . واكثر طبقة الوجهاء والاعيان الذين اعتادوا ان يعيشوا في جو الدولة ويمارسوا الوظائف

والمناصب الحكومية الدائمة والمؤقتة والفخرية وغير الفخرية ويستمدوا وجاهتهم منها ، وكذلك أكثر الذين هم في عداد هؤلاء من المحافظين والتقليديين والمشايخ وخاصة ذوي المناصب من هؤلاء يقفون من حركة الانبعاث موقف المتجهم او العدو ايضا لان فكرة الخلافة الاسلامية التي كانت تتمثل في الدولة العثمانية كانت تملأ اذهانهم وفراغهم وتصرفهم عن كل تفكير قومي وذاتي وتجعلهم يرون في الدعوة الى ما يناقض ذلك شذوذاً مخالفاً للدين والتقاليد والمصلحة الاسلامية

اما الآن فقد غدت الفكرة العربية والشعور بالذاتية القومية العربية في بلاد الشام والعراق شيئاً عاماً لا يكاد ينقذ في احد من سكانها ولو لم يكن متعلماً على تفاوت في المدى

- ٣ -

في مصر

وكذلك الامر في مصر ؛ فقد كان من الطبيعي ان يتجه تيار الفكرة العربية الحديثة وحركتها اليها لان العروبة فيها واضحة المعالم والظواهر ، بل تكاد تكون فيها اصفى منها في غيرها من حيث كون كثرة سكانها الساحقة مسلمة عربية اللسان سنية المذهب وليس فيها تلك الفوارق المذهبية والجنسية التي في غيرها ، فسارع الانكليز واعداء العروبة والاسلام من الاجانب والشعوبيين الذين ما تزال دماؤهم غير العربية تجري حارة في عروقهم والذين يضمرون الكراهية للعرب والحدت عليهم الى اتخاذ العدة لاجحاد تيارات معاكسة ؛ فكان من جملة ذلك الدعوة التي عرفت بالدعوة الفرعونية باسم البحوث العلمية والتاريخية والقومية المصرية والتي اندمج فيها فريق من الادباء المخلصين ذوي انوارها الحسنة ، والتي رمت في الحقيقة الى صرف نظر المصريين عن الفكرة العربية القومية حينما اخذ تيارها يجري في السنين التي أعقبت الحرب العالمية الاولى ، وارجاعه الى الوراثة البعيدة ، ومحاولة بث كون المصريين لا يمتون الى العرب والعربية وانما الى الفراعنة اصحاب المجد والعظمة والحضارة والعمران الزاهر الذي كان من اسس مدنيت العالم ، وكون العرب ليسوا إلا غزاة طارئين شأنهم شأن الرومان واليونان والفرس الذين غزوا مصر ، وان كل ما هنالك من فرق انهم استطاعوا ان يورثوا المصريين لغتهم ودينهم . ولقد

غذيت هذه الحملة وعوضدت على ما فيها من زيف ووهن اساس ومنطق - بمختلف الوسائل واستطاع القائلون بها ان يلفتوا اليهم الأنظار وان يثيروا حول حملتهم الجدل والكلام على امل ان يجعلوا من فكرتهم قضية لها مكان في مجال القضايا القومية او على الاقل ان يوجدوا في نفوس الناس بصددها من الريب والشكوك ما يشوش على تيار الفكرة العربية ويصدم تدفقه . وقد ردفوا حملتهم هذه بحملة اخرى دعوا فيها الى اصطناع اللغة المصرية الدارجة في التعليم والادب والصحف والتمثيل والتأليف والصكوك والمراسلات الحكومية باسم سهولة نشر الثقافة وابتعاد ادب مصري خاص ولغة مصرية خاصة وثقافة مصرية خاصة الخ ؛ كما انهم سلكوا سبلاً عديدة الى بلوغ أربهم حيث قووا من جهة الدعاية ضد الملك حسين وأبنائه التي كان يبشها الاتراك على اعتبار انهم خانوا دولة الخلافة وكانوا السبب في انهدامها وتواطؤوا مع الانكليز ، وحيث بثوا الخوف من جهة ثانية في نفوس اولي الشأن في مصر من مشكلات البلاد العربية وقضاياها وما يمكن ان يحملهم التورط فيها من أعباء فادحة ، ويجر عليهم من متاعب مضنية ، ويفتح عليهم من المعاكسات والمناوآت في حين هم في امس الحاجة الى تكثيف قواهم وجهودهم فيما هم بسبيله من قضيتهم المحلية . ولقد أثرت هذه الدسائس والوساوس تأثيراً غير قليل ، فظلت مصر في معزل عن الحركة العربية والفكرة العربية وقضايا البلاد العربية مدة غير قصيرة ، وظل رجالها الرسميون بل وزعمائها الشعبيون كذلك في معزل حتى بلغ من أمرهم ان يظنوا ان النزاع القائم بين العرب واليهود في فلسطين نزاع طائفي ديني وان ينصح بعض البارزين منهم بأن يحل العرب واليهود مشكلة نزاعهم هذه على النمط الذي حل به المصريون مشكلة المسلمين والأقباط فانقلبوا إخواناً في ميدان السياسة والحركة الوطنية ، وان يتجهموا للشراذم نداءات فلسطين ودعايتها ايام محنتها الاولى ، وان تحول سلطاتهم الرسمية دون ذلك في ظرف من الظروف ، بل بلغ من امر انعزالهم ان كان كثير من رجالهم وسياسيهم ومتنورهم وصحافيينهم لا يفرقون او لا يريدون ان يفرقوا بين مدلول الشعوب الشرقية ومتناول الحركات العربية وان يخلطوا عن عمد بين المدلولين والحركتين ، وحتى بلغ أمر تخوفهم من التورط في مشاكل قضايا البلاد العربية الى ان يشبه بعض زعمائهم البارزين هذه القضايا بالبيت الذي ليس من ورائه الا التعب والتبعات

غير ان هذه الحالة قد تبدلت تبدلاً عظيماً . فمنذ وقت مبكر خفت صوت
الفرعونية واللغة الدارجة واندحرت حملتها اندحاراً منكراً ، ومنذ وقت مبكر
اخذت الاصوات العلمية تردد عروبة مصر وعلاقة مصر بها منذ القديم ، وعروبة لغة
مصر الاولى ، بالاضافة الى ثلاثة عشر قرناً طويلة طبعت مصر بطابع خالد من العروبة
ومظاهرها وتقاليدها وروحها ، وتحمل على الدعوة الى تحطيم هذه القرون بل تحطيم
عشرة قرون اخرى معها قبلها لوصل عهد مر عليه خمسة وعشرون قرناً مع العهد
الحاضر ، وتبين تناقض ذلك مع الواقع والمنطق وأحداث الدهر ، وصار يكتب
حول هذه المواضيع الفصول وتلقى المحاضرات وتقوم المناظرات وتؤسس المنظمات
على أشكال متنوعة منها السياسي ومنها الصحافي ومنها الادبي ومنها الثقافي (١) ،
ولم تلبث هذه الحملة المضادة ان أخذت تثمر لانها مستمدة من طبيعة الحياة والواقع
والشعور السكامن ومتسقة معه ، ولم يلبث التيار الايجابي العربي ان اخذ يقوى شيئاً
فشيئاً مع الوقت ويجد سبيله الى مختلف الفئات والاطراف المصرية يساعد في سيره
عوامل عديدة ومتنوعة الى ان غدا الشعور بالذاتية العربية القومية والاخوة العربية
العامة شاملاً مع تفاوت في المدى منها بدا ان بعض افراد من الشوبيين واعداً
العرب يشذون عن ذلك الشعور ، ومنها بدا ان هؤلاء وبعض ذوي النوايا المريبة
ينتهزون فرص الأحداث والنكبات للتعكير والتعطيل . وقد دعم هذا دعماً حاسماً
تبني الاحزاب السياسية والسلطات الرسمية للفكرة العربية وأهدافها وغدو ذلك
من اسس سياسة الدولة كما هو شأنه في بلاد الشام والعراق .

- ٤ -

في لبنان

ولقد حرص الافرنسيون على ان يجعلوا لبنان ايضاً بمعزل عن تيار الحركة

(١) من الحق ان نخص بالذكر في هذا المقام حزب مصر الفتاة الذي اسسه فريق من شباب
مصر المثقف وجعلوا من منهجه الدعوة للفكرة العربية القومية ومحاربة عزل مصر عن حركتها
وبيان ما في ذلك من خطأ ومناقضته للواقع والعلم والمنطق والتاريخ القديم والحديث وما في ذلك من
ضرر عظيم لمصلحة مصر وكرامتها وكيانها . وقد اخذوا يشيرون بهذه الدعوة في اجتماعاتهم وخطبهم
ومشوراتهم ثم في مجلتهن ويحملون على كل من يقف في سبيلها ويفتتون كل فرصة لاعلان النضامين
مع الاقطار العربية فيما كان يقع فيها من أحداث ويلزمها من خطوب منذ وقت مبكر .

العربية الحديثة ، وكان بينهم وبين نصاراه وخاصة مواردتهم وكاثوليكهم الذين كانوا غالبية سكان بيروت ولبنان القديم روابط وثيقة ترجع الى عشرات السنين قبل انبعاث هذه الحركة استعانوا بها على تحقيق هذا الغرض ، وبذلوا جهودهم المتنوعة في بث المغالطات والسوم باسم البحوث العلمية والوطنية والثقافية وفي الدس بين طوائف لبنان الاسلامية والنصرانية فاستطاعوا ان ينجحوا لوقت ما في تحقيق شيء منه على ما شرحناه في الجزأين الاول والثاني من هذه السلسلة . غير ان واقعية عربوة لبنان سواء في ذلك مسلموه ونصاراه وقوة اتجاه مسلميه نحو العروبة كأثر من أثار رد الفعل لمسامي وتصرفات الافرنسيين ورجال الكهنوت ، واندماج فريق غير قليل من مثقفيهم في الحركة العربية منذ انبعاثها ، وتصرفات الافرنسيين الرعناء وانكشاف ستر المآرب الاستعمارية والمصالح الشخصية عن المبشرين ورجال الكهنوت كل ذلك قد هدم شيئاً كثيراً من البناء الشامخ الذي بناه اولئك وهؤلاء والسور الحديدي الذي حاولوا ضربه بين لبنان وهذه الحركة . وقد بدأ الانهدام قبيل الحرب العالمية الثانية حيث ظهرت بوادره في مواقف وظروف عديدة ثم كاد يبلغ ذروته في انفجار عام ١٩٤٣ حينما اعمت الرعونة الموظفين الافرنسيين واعتقلوا رئيس الجمهورية والوزراء وعطلوا الدستور والبرلمان حيث دشّن بهذا الانفجار ولادة لبنان ولادة عربية وطنية نضالية رائعة ، والتحاقه بقافلة النضال العربي في سبيل اهداف الحركة العربية على ما شرحناه في الجزء الثاني من هذه السلسلة كذلك ، وغدا الشعور بالذاتية القومية العربية والاخوة العربية العامة شاملاً هو الآخر مهما بدا ان اثار الدسائس والوساوس والروابط والدعايات المضادة لا تزال قوية وخاصة في رؤساء المواردة مما سوف يتكفل الزمن بمحوه من دون ريب لانه مخالف لطبيعة الاشياء وحقائق الامور والوقائع والظروف التاريخية والجغرافية والمصلحة الخاصة والعامة .

- ٥ -

في المغرب العربي

كذلك كان شأن الافرنسيين في أقطار المغرب العربي، فقد ترمسوا خطة رهيبة تجردت من كل شعور بالحق والواجب والجرية والعدل والضمير والشرف والامانة

وهي تغيير وجهه المغرب العربي المسلم ولسانه ودينه وحرمان أهله من مقومات الحياة الكريمة الحرة وإبقاؤهم في أحط دركات الجهل والفقر ، وقطع كل صلة بينهم وبين المشرق العربي أولا وبين أفطارهم نفسها ثانيا . وقد جردوهم من أحسن أراضيهم وموارد رزقهم وأقطعوها للمهاجرين المتبطلين المتعطلين الذين فتحوا لهم أبواب هذه الاقطار على مصراعيها وأغدقوا عليهم الاموال بما فيها أموال الاوقاف الاسلامية وأموال الضرائب التي تؤخذ من المغاربة ، وبسروا لهم كل وسائل الاستقرار والاستعلاء والاثراء والتسلط على موارد الرزق وخزائن الأرض وحركات التجارة والصناعة بسبيل تحقيق تلك الحطة الرهيبة على ما شرحناه في الجزء الثاني من هذه السلسلة .

ولم يرض المغاربة بهذا المصير الرهيب لبلادهم ودينهم ولقمتهم وعروبتهم فأخذوا يقاومونه ما وسعتهم قواهم ، وسجلوا في بعض ظروف مقاومتهم صحائف خالدة من البطولة والعزيمة وظلت هذه المقاومة ، وتصرفات الافرنسيين القاسية الباغية تدمرهم بالقوة وتساعدهم على التمرد والاحتفاظ بعروبتهم ودينهم الى ان اشتد تيار الحركة العربية الحديثة في المشرق وتمكن من أخذ سبيله اليهم شيئا فشيئا على ما شرحناه كذلك في الجزء المذكور بحيث يمكن ان يقال إن القائمين بالحركة القومية العربية في المشرق قد التقوا بالقائمين بمثلها في المغرب ، وان الستار الحديدي الكثيف الذي ضرب بين المشرق والمغرب دون تيار هذه الحركة قد انخرق ، وان الشعور بالذاتية العربية القومية من جهة وبالاخوة العربية العامة من جهة اخرى قد اخذ يشمل سكان المغرب العربي كما شمل سكان المشرق العربي مها بدا ان الافرنسيين يشتدون في حرصهم على الاحتفاظ بسيطرتهم والاستمرار في بغيتهم فيه

ومن تحصيل الحاصل ان يقال انه لا يوجد موانع سياسية او عنصرية او دينية تجعل فرض انعدام هذا الشعور صحيحا بالنسبة لسكان جزيرة العرب نفسها شملها وجنوبها وسواحلها ، بل الذي يجب وبصح فرضه ان هذا الشعور طبيعي فيهم لانه متسق مع الواقع والمنطق إطلاقاً ، فضلاً عما هو معروف يقينا من صحة هذا الفرض في كثير من انحاء الجزيرة وخاصة مدنها . وكل ما في الامر ان البواعث على اهتزاز هذا الشعور اهتزازاً يدل على وجوده دلالة مستمرة ضعيفة بسبب ظروف الجزيرة الجغرافية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

اسباب اتساع الوعي

ولقد كان للانفصال البات بين الدولة العثمانية والبلاد العربية التي عاشت في جوها غير شاعرة بذاتيتها وكيانها الخاص او غافلة عنها حقبة طويلة وما تبع ذلك الانفصال من الانقلاب الكمالي الذي أطاح بالدولة العثمانية والحلافة الاسلامية وكثير من الروابط المعنوية والثقافية التي كانت تربط الترك بالعرب ، ومن غدو البلاد العربية ذات كيانات خاصة اثر غير قليل في انصراف العرب الى التفكير بذاتيتهم وقوميتهم وانتشار الشعور بذلك في مختلف طبقاتهم منذ عهد مبكر .

ثم ساعد على تقوية هذا الشعور اتساع نطاق التعلم خلال الحقبة التي مرت منذ ذلك الانفصال بحيث تضاعف اضعافا عديدة عما كان عليه حتى بلغت في بعض البلاد خمسة اضعاف وفي بعضها عشرة اضعاف كما يستفاد من الاحصاءات التي تنشر من حين الى حين .

تطور الوعي واسبابه

وقد رافق اتساع نطاق التعليم تطور في كميته ايضا . منه ما كان نتيجة لتطور الزمن ووسائل اتصال العالم ببعضه وما كان بسبب ذلك من سعة اقتباس الاساليب والأفكار ، ومنه ما كان نتيجة لهزات الحربين العالميتين الشديدة التي هزت العالم وجعلته يجيش بالدعوات والمبادئ والحركات والآمال والمطامح المتنوعة ، مما كان له اثر وتفاعل في البلاد العربية ، ومنه ما كان نتيجة للحركات الوطنية والكفاحية التي لم تكد تهدأ في البلاد العربية التي نكبت بالمستعمرين البغاة على ما كان يعتريها من أزمات وفتورات ومشاكل ، ومنه ما كان نتيجة للنشاط العربي العام الذي بدا في أثناء الحرب العالمية الثانية واستمر الى ما بعدها والذي كان من آثاره بعض المواقف الاجتماعية في صدد بعض قضايا العرب وخاصة في صدد قضية فلسطين ولبنان ، واستئان أطباء العرب ومحاموهم ومهندسوهم في ظروف هذا النشاط وخاصة في ظروف مشاورات الوحدة العربية سنة عقد المؤتمرات الدورية ، حيث

كان مثاا المحامين والاطباء والمهندسين المصريين والشاميين والعراقيين والحجازيين واليابانيين والمغاربة يجتمعون في صعيد واحد في عاصمة من عواصم العرب فيملا اجتماعهم الاسماع والافكار بما كان يدور فيه من احاديث العروبة ووحدة المصالح والروابط والحوافز التي تجمع بين الامم والبلاد العربية فيكون موسم قومي عظيم يمتد اياما وتندمج فيه الصحافه والهيئات الاجتماعية المختلفة .

- ٨ -

أثر المؤتمرات المشتركة

ولقد دامت مشاورات الوحدة العربية نحو سنة ام مصر خلالها وفود العراق وسورية والاردن ولبنان والحجاز واليمن وكانت تقام بمناسبة ذلك الحفلات وتخطب الحطب وتذاع الاذاعات وتكتب المقالات في آمال العرب وأهدافهم وقوة ما يجمع بينهم من الروابط فيتردد صدى ذلك في مختلف أوساط العرب وأقطارهم فيملأ الاسماع والأذهان ، ويبعث الآمال ويقوي الشعور بالقومية العربية والاخاء العربي حتى ليتمكن ان يقال ان هذه السنة التي مضت في المشاورات والتي استق المحامون والاطباء والمهندسون خلالها سنة مؤتمراتهم الدورية كانت أشد أوار جيشان الحركة العربية وتبارها . وكان من أثر ذلك ان أخذ رجال الحركة القومية والنضالية في المغرب العربي ورجال احزابهم يعلنون رغبتهم في مشاركة المشرق العربي فيما يدور بين أبنائه من حديث الوحدة العربية بوفودهم وبرقياتهم فيلتقي بذلك المشرق والمغرب العربيان في مجال واحد من الحركة العربية الحديثة واهدافها

- ٩ -

أثر الجامعة العربية

ورغم ما ذكرناه في الجزء الرابع من هذه السلسلة حول نظام الجامعة العربية وما كان يضعف بنية الامة العربية وأتانية رؤساء العرب واعتباراتهم الشخصية من أثر في انقلاب الفكرة من وحدة عربية الى نظام فضفاض فان قيام الجامعة كان حدثا خطيرا من دون ريب كان له أثر كبير فيما نحن في صدد تقريره . ولقد احيط قيامها بشيء كبير من الطنطنة والاهبة وكانت حين نشوئها خاصة تمثل كثيرا من

اماني العرب واهداف الحركة العربية وتبعث الامل في تحقيقها مع الزمن ، ثم أخذت تشغل الأذهان وتلأ الأسماع في دنيا العرب وتجمع رجالهم في صعيد واحد ليتحدثوا في مصالح العرب المشتركة السياسية وغير السياسية ويتخذوا المقررات ، وكانت ترافق رحلاتهم واجتماعاتهم وأحاديثهم وخطبهم ومقرراتهم جلبة وضجة دعائية في الاوساط والصحف فيكون ذلك كله من مقويات الشعور بالقومية العربية والاخاء العربي العام وتوسع نطاقه .

- ١٠ -

أثر الحركات الوطنية والنضالية

ولقد كان تأثير الحركات الوطنية والنضالية بنوع خاص منها من جهة ومزدوجا من جهة اخرى في اتساع نطاق الوعي وتطوره حيث كانت مؤثرة في هذا الاتساع والتطور محليا في البلاد التي تقوم فيها وفي البلاد العربية الاخرى في آن واحد . ولقد ظلت تقوم منذ انتهاء الحرب العالمية في كل بلد من البلاد العربية جمعيات واحزاب واجتماعات ومؤتمرات ومظاهرات واضرابات ومقاطعات ودعوات دعائية وثورات دامية تستهدف الفكاك من أسر الاجنبي واحتلاله وفساده وألاعيبه واستغلاله وعنفه والتمرد عليه والاستمتاع بالاستقلال والحرية والعزة القومية والحياة الحرة القومية السعيدة ، وتنبيه الشعور القومي في الامة وتأليبها وتوجيهها نحو الهدف ولقد كانت تشتد احيانا فتكون سيلا جارفا ينجرف فيه كل طبقات الشعب وينتظم فيه القطر الذي يشتد فيه من اقصاه الى اقصاه وتهز كيانه هزا شديدا ترتفع به روحه الى رفيع درجات البطولة والاستماتة وتتأجج ناره حتى يصل لهيبها الى عنان السماء فتلفت أنظار العالم وترجع المستعمر اياما لإزعاج مآثر حنا بعضه في الجزأين الثاني والثالث من هذه السلسلة ، وليس من بلد من بلدان العرب في المشرق والمغرب الا سجلت صفحات كثيرة من البطولة وخلدت صوراً عديدة للحركات الوطنية والنضالية القوية الرائعة في أشكال ومناسبات عديدة . فمن الطبيعي بالاضافة الى ما كان في هذه الحركات من مظاهر قابلية الامة وقواها الكامنة في مختلف أقاليمها ان يكون لها أثر فعال في تكوين روح الشعب وتقوية شعوره بالذاتية القومية وإيقاظ وعيه وتطويره .

ومن جهة اخرى فانه لم يكن يقوم في بلد حركة نضالية حتى تسترعي أنظار

وأذهان البلدان الأخرى فتثير فيها عاطفة الأخوة والحلم وتنفذها إلى التضحية
المادية أو المعنوية أو كليهما وبالتالي تقوي شعور الأخوة القومية العامة ومفهوم
المصلحة المشتركة العامة وواجب التضامن القومي العام .

- ١١ -

أثر قضية فلسطين وهرلاند

ولعل أثر حركات فلسطين ودورها في صدد ما نحن في بيانه أشد وأبرز من
غيره . فالذين حملوا عبء الحركة الوطنية فيها رأوا منذ البدء أنهم أمام محنة شاقة
وغزوة بعيدة المدى لا تشبه ما عرضت له البلاد الأخرى من محن وبلوى ، وأن
بلوهم بالإضافة إلى خطورتها ليست محلية طارئة يمكن أن تزول بضعف الغازي
المستعمر وتطورات السياسة العالمية . فمن جهة قاموا بواجب النضال محلياً بقدر ما
أطاقته قواهم وبنيتهم وروحهم ، واستطاعوا أن يسجلوا صفحات خالدة في مختلف
أدوار النضال ، ومن جهة قاموا بدعوة مستمرة قوية لتنبية العالم العربي خاصة
والعالم الإسلامي عامة إلى ما يحقد ببلاد العرب ومقدسات الإسلام من أخطار إذا
ما تمكنت اليهودية ورسخت قدمها في فلسطين ، وقد كانت دعوتهم وتنبيههم يلقي
في أحيان كثيرة أذناً سامعة وتجاوباً حسناً فتبادر بلاد العرب الأخرى إلى تأييدهم
بالمظاهرات والاحتجاجات والتشكيلات والمساعدات المادية والمعنوية والاشتراك
في الجهاد الدموي وبشهود المؤتمرات التي كانوا يدعون إليها ويعقدونها في فلسطين
وغير فلسطين ، ولم تلبث حكومات بلاد العرب أن اندمجت في ذلك كله اندماجاً
قوياً لم يسع الحكومة الانكليزية إلا الاعتراف به أثناء انتدابها المشؤوم وتسايروها بما
كان من اشتراكها في الابحاث والمؤتمرات التي جرت وعقدت للنظر في حل مناسب
لل قضية الفلسطينية بما فصلناه في الجزء الثالث من هذه السلسلة . فكان كل هذا
وسيلة لتقوية شعور أهل فلسطين بما بينهم وبين العالم العربي من أخوة ثم كان في
نفس الوقت وسيلة لتكثيف الأفكار والجهود في مختلف أقطار العرب وتلقيها
في صعيد واحد مما كان مظهره ما كان من أدوار هذه القضية وحربها الشعبية
والرسمية على ما شرحناه في الجزأين الرابع والخامس رغم ما كان من نهاية اليأس
وكارثة حاطمة حيث كان له تأثير إيجابي قوي في قوة الشعور القومي العام وتطوره
من دون ريب ، ولم يكن أثر هذه الكارثة في انكسار النفوس وخيبة الآمال

ليضعف هذا الشعور ، بل لعلها كانت من مقوياته بما يعد من مظاهره هذه اللوعة المريرة والشعور بالكرامة المنيئة والجرح البليغ في جميع بلاد العرب واوراسطهم .

- ١٢ -

جمود الوعي وسليته رغم ذلك ومما به الى الجهد

على ان من الحق ان يقال مع ذلك كله ان هذا الشعور ما يزال جامداً أو سلبياً ان صح التعبير ، وانه لم يصل الى درجة يحفز الامة الى مواقف وأعمال ايجابية منبعثة من ذاتها وتغلي بها إرادتها على حكامها ورؤسائها بما فيه مصلحتها القومية العامة ، وانه لا يزال في حاجة شديدة الى تركيز وتوجيه وتقوية حتى يخرج من جموده وسليته الى مجال الحركة الايجابية الذاتية ، ويتجه نحو التجديد والانقلاب قبولاً واملاءً في سبيل تحقيق اهداف الفكرة العربية الحديثة وهي قيام كيان عربي قومي عام يضم مختلف الأقطار العربية ، ويكون موحد الشعور والثقافة والتفكير والجهاز الاقتصادي والسياسي والعسكري ، يعم في ظله التعليم وتستغل إمكانيات البلاد والأمة وثرواتها ، وتحسن مشاهدتها وتزدهر حضارتها ، وتصلح احوالها الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، ويكون من القوة بحيث يضمن للأمة العربية الحرية والكرامة والسيادة والمنعة والتقدم في مختلف مجالات الحضارة والوصول الى مصاف الامم القوية الراقية ، وتبوؤ المركز اللائق بخصائصها وأجسادها وما تشغله من حيز جغرافي عظيم في ساحته وموقعه وثرواته وما تتمتع به من أسباب النفوذ المعنوي القوي في مختلف أنحاء الارض .

والأمة العربية في جميع أقطارها ما تزال بعيدة جداً عن هذه الأهداف بل لم تكد تبدأ سيرها في طريقها الصحيح على ما وصفنا حالتها في الجزء السابق . ويقف في سبيلها عراقل وعقبات كثيرة ومتنوعة منها الداخلي ومنها الخارجي ومنها الاجتماعي ومنها الثقافي ومنها الاخلاقي . ولا يمكن التغلب عليها واجتيازها إلا بالانقلابات الجريئة الواسعة في كل شيء : في أساليب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وفي أساليب التربية والتعليم وفي أساليب الحكم . وبما لا ريب فيه ان اتساع نطاق الوعي والشعور فيها بما يهد السبيل امامها إذا تيسر له ما هو في أشد الحاجة اليه من التركيز والتوجيه والتقوية حتى يصبح حافزاً قوياً تتقبل به النفوس الانقلابات المتنوعة المذكورة أو يساعد على حدوثها .

الفصل الثاني

- ١ -

الشباب وامجهم

والمرشح الطبيعي في الدرجة الاولى لهذه المهمة العظمى هم الشباب لان لهم مدداً من حيويتهم ونشاطهم ، وما يزالون لبني العود لم ترسخ فيهم العادات والتقاليد والافكار التي كثيراً ما تكون عقبات كأداء في طرائق العمل واساليب الحياة فضلاً عن الانقلابات ، ولانهم هم أصحاب العهد الذين يتحملون ضرر نواقصه وتعثره وينتفعون بما ياتي به الجهد في سبيل إصلاحه وتحسين شؤونه .

واقفهم في الحركات القومية

والناظر في تاريخ حركات الامم يجد الشباب من اجل تلك الصفات والاعتبارات هم العنصر الاقوي فيها . ولقد كانت الشباب العربي المثقف قشياً مع هذه البدئية العنصر القوي في انبعاث الحركة العربية كما يمكن ان يعرف من استعراض اسماء الذين اندمجوا فيها وشغلوا مجالاتها سواء الذين شغلوا صفوفها الاولى او الثانية أم الذين ذهبوا ضحاياها على ما ذكرناه في الجزء الاول من هذه السلسلة .

ولقد غدا شباب الامس الذين شغلوا تلك الصفوف شيوخاً ، وقد أملت بكثير منهم طواريء مادية ومعنوية بدلت من ذهنياتهم وقابلياتهم بل ومبادئهم فضلاً عن انهم بسبيل التواري عن المسرح ، فأصبح شباب اليوم هم أصحاب الموقف الطبيعي المدعورون إلى العمل القومي في مختلف مناحيه والجهد في سبيله .

- ٢ -

محاولات الشباب العربي ومجهودهم

ومع ان من الحق أن نذكر ان فئات منهم -- وقد غدوا اليوم كهولا -- في مختلف البلاد العربية قد ساهمت في الحركات القومية والنضال الاقليمي وقامت بمحاولات في صد التكتل من اجل الاعمال الجماعية ومن هذه الاعمال ما كان يتجاوز أحياناً الافق الاقليمي ويتصل باهداف الفكرة العامة فان من الحق ان نقول انهم

لم يشغلوا الحيز الذي يجب عليهم ان يشغلوه ولم يقوموا بالواجب الذي يجب عليهم القيام به ، فمنهم من رأى الامد بعيداً فسئم ومنهم من رأى العمل شاقاً فنكص ومنهم من قامت في وجهه بعض العقبات فارتد ، ومنهم من ارتكس في المنافسات والمشاحنات والفساسف والاعتبارات الشخصية وغدا مسخراً لها ، واذا كان هناك بعض محاولات دامت فانها ظلت في نطاق ضيق ولم يكن لها من المدى والاثر ما يمكن ان يقال انها سدت شيئاً منها من الثغرة القومية الواسعة التي نحن بسبيل الكلام عنها .

كذلك الامر بالنسبة للذين هم في دور الشباب الفعلي . فبعضهم حاول ومحاول ان يقوموا ببعض الاعمال وان يتكثروا في سبيل ذلك غير ان هذه المحاولات لم تتكشف عن نتيجة مبشرة مؤدية إلى الهدف ، هذا إلى تعلق الكثير منهم ان لم تقل اكثرهم الكبرى بالحياة الناعمة المترفة وعدم تحليهم بالجد والجدل اللذين هما عنصران لا غنى عنها في اي عمل عام وخاصة إذا كان يستهدف هدفاً خطيراً .

- ٣ -

مواقف النقاد فيهم وبين الشيوخ

ويردد هؤلاء وأولئك نغمة وقوف الشيوخ عثرة في سبيل نشاطهم وبروزهم وينسبون اليهم عدم تمكنهم من القيام بواجبهم قياماً تاماً وواسعاً ايضاً . والشكوى لا تخلو من وجهة حق . وقد كان هذا الموضوع في ظروف كثيرة من المواضيع التي اثارت الاخذ والرد ووصلت احياناً الى التهاثر بين الشيوخ والطبقة التي هي اليوم في دور الكهولة . وقد كان هذا بارزاً بنوع خاص على المسرح السوري في ابان الحركة السورية النضالية وحينما اخذت تؤتي أكلها وانبثق عنها العهد الوطني الاول عام ١٩٢٦ وبعده . فقد اراد الشيوخ ان يبقى دور الطبقة الحديثة ثانوياً وان تسير تحت جناحهم ، ولم يشجعوا ما كان يبدو منها من طموح الى الصدارة في الحركات والاعمال وظلوا يدلون بآرائهم وجهودهم واسنانهم وتجاربهم ، حيث كانوا هم رجال الرعيل الاول الذين حملوا عبء الحركة العربية الحديثة منذ انبعاثها وتحملوا في سبيلها المشاق وقدموا الضحايا ، وكان كثير منهم متخرجاً من المدارس العالية ثم قمرسوا بالاعمال الادارية والفنية المتنوعة وصار لهم خبرة ومران في الامور وجلد

على تحمل الجهد والشظف ، وصاروا يعتبرون أنفسهم أنهم اصحاب الحركة الذين يجب ان يكون زمامها في ايديهم ، وغاب عنهم انهم قليلو العدد ، وان الحركة القومية حركة عظيمة متشعبة النواحي من جهة ومتصلة بالاجيال التالية من جهة ثانية ، وان هذا وذاك يجعلها في حاجة ماسة الى كل قوة وكل حيوية في الامة ، وان الشباب هم اكبر مخزن لهذه القوة والحيوية وان المصلحة القومية تقضي عليهم ان يوسعوا صدورهم لهم وان يشجعوهم على العمل ويشركوهم في الجهد والمسئولية حتى يتهيأوا لحل العبء والسير به في المستقبل ، ولا سيما انهم في سبيل التوارى فثة بعد فثة .

وقد كبر على الطبقة الحديثة ان تكون في المركز والحد الذي ارادته لها الطبقة المتقدمة ولم تبال بالاسنان والجهود والتجارب والتاريخ من جهة ، واخذت هي الاخرى تدل بما حصلت عليه من معارف جديدة ودراسات حديثة ، وما عليه اذهانها من المرونة وقابلية التجدد والانسجام العصري ، وتنبذها بما ارتكس فيه بعضهم من ارتكاسات اخلاقية ووطنية وتحمل عليها حملات لاذعة وتهديمية احدثت رد فعل ادى الى المقابلة بالمثل والعناد والمكابرة ثم الى ضعف التوائق والتضامن .

وبين هذا وذاك هدرت قوى وذهبت جهود وشلت حركات وتعطلت مشاريع في ظرف تحتاج فيه الامة الى كل قوة وجهد وتجرد وتوائق وتضامن ثم في ظرف حوربت فيه من قبل المستعمر الباغي اشد حرب وافظعها والامها افساداً ودسيهه وكيداً وغفلاً .

٤ -

ومهما يكن من امر فان الشباب كما قلنا هم المرشحون في الدرجة الاولى للمهمة العظمى ، ولقد كانت من جراء انهماك كثير منهم في اللهو والزينة والفسافس والتصرفات والاخلاق المكروهة الشخصية والاجتماعية والتقصير في الواجب ان اشدت الحلة عليهم وان انفقوا الثقة بهم وان استولى شيء كثير من اليأس من ناهيتهم باشغال الفراغ الذي اخذ يتسع في مبادي العمل القومي المتنوعة من سياسية واجتماعية واصلاحية وتجديدية وتنظيمية ، وان اخذ مستقبل الامة يبدو حالكا قائما بما هو بليغ الاثر والخطر في كيانها ، وبما يدعوننا الى الهتاف القوي بضماثرهم ان

تستيقظ وبعقولهم ان تتدبر الامر . فبقاؤهم على ما هم عليه معناه بقاء الامة في حالتها الالية التي وصفناها وبقاء الوعي الذي اتسع نطاقه في حالته السلبية الجامدة مدة طويلة تتعرض له الامة والبلاد العربية لاشد المحن والاطوار والاضرار ، بل اكثر من هذا لان المسافة التي تفصل بين الامة العربية وغيرها من الامم السابقة لها ستزداد بعداً و سيزداد شأن الامة العربية بالتالي هو اننا ، وهم الى هذا أصحاب العهد وهم الذين يتحملون الضرر والهوان والعار من بقاء الامة في حالتها الحاضرة كذلك .

نضعف عدد المثقفين بسبب مصادقهم

ولقد تضعف عدد المثقفين منهم بالثقافة العالية اضعافا كثيرة جداً حيث غدوا يعدون بالآلاف المؤلفة في كل قطر ولا سيما في بلاد الشام ومصر والعراق ، فضلا عن عشرات الالوف المثقفين بالثقافة الثانوية والمهنية المتوسطة ؛ وهذه مزية كبرى تيسر لهم القيام بواجبهم لأنها من المساعـدات على الانسجام والاتساق والتوافق والتفاهم والتآزر ، وهي في الوقت نفسه سبب في شدة ما يلحقهم من المعرة إذا هم ظلوا على حالتهم ولم يقوموا بواجبهم .

- ٥ -

هناك برهم للعمل والجد

واننا لنهتف بهم من اجل ذلك كله هتافاً شديداً صادراً من قلب واجف مشفق عليهم وعلى الامة العربية ان يكف العابثون المقصرون منهم عن عبثهم وتقصيرهم ، وان يدركوا أنه آن لهم ان يتقدموا لحل العبء وإشغال الفراغ بجهد وقلب وجلد وايمان وتضحية ، وان يبدأوا من جديد بتنظيم انفسهم والتكفل كتلا متنوعة في كل قطر ؛ تأخذ كل كتلة على عاتقها ناحية من نواحي مهمة التركيز والتوجيه أو من نواحي الدعوة التجديدية والانقلابية . وبقيتنا وطيد انهم يستطيعون إذا فعلوا ذلك ان يأتوا بالعجائب . ونحن في حاجة الى كل شيء ، فالقرية مهملة جاهلة والعامل مهمل جاهل ؛ ونقائصنا عظيمة في الحياة البستية وفي التربية وفي شؤون الصحة والاجتماع ؛ وكثير من عاداتنا و اخلاقنا غير قوية ، والشعور بالواجب الاجتماعي والانساني والقومي والاخوي ضعيف ، وفي اكثر امورنا وحركاتنا نسير فوضى

دون اهتمام بنظام وتنظيم ؛ وكل ناحية من هذه الشؤون وامثالها يقضي جهوداً عظيمة وتشكيلات متنوعة ومتفرعة تتغلغل في كل حي وقريبة لتقوم بدعوتها الاصلاحية والتنظيمية والانقلابية والتجديدية .

عناصر النجاح

وقد طلبنا من الشباب ان يتقدموا لحل العباء يجد وقلب وجلد وايمان وتضحية لأن هذه العناصر لا بد منها للدوام والنجاح وكان فقدانها عاملاً فيما كان من اخفاق المحاولات السابقة . وكل من درس الحركات القومية في بولونيا وايرلندا وايطاليا والهند وغيرها يرى كيف كان القائمون على رأس هذه الحركات بل والمندمجون فيها يضربون اروع الامثال على ما كان منهم من تضحية وجلد وتحمل للشظف والحرمان وإقدام على أعظم الاخطار واستغراق تام في المهمة غير عابئين بمتع الحياة ولهوا واناقة اللباس والطعام ووسائل الترف فكان النجاح حليفهم واستطاعوا ان يقوموا بالاعمال العظيمة .

- ٦ -

المسألة المالية ومبرها

ونحن نعرف ان المسألة المالية بما يتحجج به الشبان في صدد نجاح اخفاق المحاولات . وهي مسألة خطيرة حقاً لأن المال هو العصب الاقوى في النشاط الجماعي . غير اننا نعتقد ان الذي ينقص الشباب ليس المال وإنما الجِد والتضحية . واننا لنرى كثيراً من الشباب ينفقون على لهوهم واناقتهم وتنقلاتهم مبالغ كبيرة ثم نراهم يقصرون في تسديد اشتراك ناد او جمعية قد لا يزيد عن ثمن علبتين من الدخان يحرقها الواحد منهم في اليوم أو عن ثمن بطاقة سينما أو جلسة في ملهى او مقهى أو على مائدة ميسر بسيطة فضلاً عن المركبة . ففي هذه السبل الكمالية والمحرمية يذهب من جيوب الشباب من المال ما يمكن ان يضمن حياة عدد من الاندية والجمعيات والمشاريع الاخرى في كل مدينة . فلو استشعر شبابنا - وآن لهم ان يستشعروا - بواجبهم وتبعثهم ، وأدركوا - وآن لهم ان يدركوا - ان ضرر الاستمرار في التقصير وعاره عائدان عليهم قبل كل أحد ، واندمجوا في حالة امتهم الالية -

وآن لهم أن يندمجوا - وضجوا بشيء من الكماليات واللهو والترف حلوا المسألة المالية حلاً حاسماً ، مع ان واجبهـم ومصـلـحتهم وحـال امـتهم إذا استـشـعـروا بها وادركوها واندمجوا فيها بجد وقلب يقضي عليهم بأن يضجوا بالكماليات كلها فضلاً عن المحرمات وان يعمدوا إلى التـقـشـف والزهد لحل هذه المسألة التي كثيراً ما كانت سبب الاخفاق والتي تمهد السبيل لنجاح المحاولات التي يجب أن يحاولوها والنشاط الذي يجب ان يبذلوه ، وهذا فضلاً عن أن هذا النجاح رهن إلى درجة كبيرة بتفريغ القلب والوقت معاً بما يقتضي الجـد والجلد والتـقـشـف وتضحية الكماليات .

- ٧ -

الدعوة الى منظومة قومية عامة

ولا يقتصر واجب الشباب بتكتلهم على النشاط في حدود أقطارهم الخاصة . فهذا واجب يجب ان يقوم به اكثر كتلهم . وهناك واجب عام يجب ان يتفرغ له فريق منهم في كل قطر ، وهو واجب توجيه الوعي القومي العام توجيهاً جماعياً يتناول جميع الأقطار العربية . فان الوعي والشعور بالاخاء القومي العام في أقطار العرب هما الآخران سلبيان وجامدان من جهة ، وان هناك عقبات وعراقيل وتيارات مضادة ضدهما من جهة اخرى . ولقد أوجد انقضاء حقبة طويلة على كيانات العرب الخاصة في كثير من أبنائها ذهنية الاقليمية الضيقة واعتباراتها ، فصاروا يرون لهم فيها مصالح ومآرب قد تفوتهم اذا ما أتمر الوعي بالاخاء القومي المشترك ثمرته في تحقيق هدف من اهداف الحركة العربية وهو وحدة الدولة ، كما ان الشعوبيين المستعربين باللسان دون القلب لا ينون يضعون العراقيل في سبيل هذا الهدف ، ثم هناك مصالح الاسر الحاكمة والمالكة والرفيعة واعتباراتها ، وهي من العقبات الكأداء في سبيله .

والوسيلة الى القيام بهذا الواجب إما الدعوة الى مؤتمر عربي شامل يشترك فيه ذوو الخطر بمن يعتنقون الفكرة العربية وأهدافها في كل بلد عربي في المشرق والمغرب فينتفقون على منهج شامل سياسي واجتماعي وثقافي ودعائي لتحقيق تلك الاهداف ، وينشؤون للمؤتمر فروعاً في كل بلد تتفرغ لتنفيذ المنهج وتوصل الى

ذلك بكل وسيلة وتنتفع من كل فرصة بل وتخلق الفرص المفيدة ايضاً ؛ واما بتأليف حزب قومي عام يوضع له مثل ذلك المنهج وتؤسس له فروع واندية في كل بلد فتتفرغ للسعي والعمل في سبيل تحقيق المنهج .

ونؤكد خاصة على فكرة التفرغ بحيث لا تشتغل هذه المنظمة بالسياسة والمشاغل الاقليمية إلا بالمقدار الذي يتصل بالأهداف العامة القومية والمنهج المتفق عليه .

ونحن نعرف انه جرت محاولات في سبيل عقد مؤتمر عربي عام في سنة ١٩٣٢ ثم في سنة ١٩٤٦ فأخفقت على ما ذكرناه في الجزء الثالث من هذه السلسلة . ونعرف كذلك ان منظمة عصبة العمل القومي حاولت سد شيء من هذه الحاجة فعقدت مؤتمراً قومياً عاماً وأنشأت له بعض الفروع ثم ألت بها بعض الهنات فجعلتها في مكانها ثم عصفت بها نهائياً . غير ان هذا الاخفاق لا يجوز ان يكون سبباً للجمود إزاء هذا الواجب القومي . ومن الممكن استئناف المحاولة بشيء من الصبر والتؤدة . ونعتقد ان الزمن وتطور الوعي معاً كفيلا ان اليوم بالنجاح القصد إذا ما سعي اليه شباب ذوو إرادة ورغبة وإيمان وتفرغوا له وتجهلوا بالجلد والجد في سبيله ، وان في كل بلد من بلاد العرب فريقاً غير يسير من الشباب مستعدين للتجارب . ويجب ان لا يستطال الأمد وان لا يقدر للنجاح مدة قصيرة . فان هذا مما سبب إخفاق كثير من المحاولات المحلية والعامة ومن شأنه ان يسببه دوماً . فامة مثل امتنا متفاوتة في حالاتها الثقافية ومتباعدة الأطراف ، وقد مر عليها حقب طويلة في حياة متباينة الظروف ، وما تزال كثرتها الكبرى جاهلة لا يجوز ان يقدر لنجاح مسعى مثل هذا المسعى فيها في طريقه عقبات عديدة ومتنوعة في امد قصير من دون ريب .



الفصل الثالث

- ١ -

مسكلة الجهل ومعالجتها

ومن اهم ما يجب ان نتجه اليه الجهود تعميم التعليم وازالة الأمية في الامية العربية في أقصر مدة ممكنة . فان ما بذل من جهد حتى الآن في مختلف الأقطار العربية على اشتداده وتزايدده يوما بعد يوم ما يزال دون المقتضى كثيراً وما تزال مشكلة جهل السواد الأعظم مشكلة قائمة من مشاكل الأمة العربية وحركتها القومية ، فنسبة الامية في العراق ومصر ما تزال نحو ٧٥٪ وفي سورية ٥٤٪ وفي الاردن القديم ٧٥٪ وفي عرب فلسطين ٥٠٪ تقريباً وما تزال النسبة أعلى من هذه النسب في انحاء الجزيرة والمغرب العربي . ومن تحصيل الحاصل ان يقال انه كلما اتسع نطاق التعليم اتسع نطاق الوعي والتطور القومي من مختلف النواحي وان الجهل هو السبب الاكبر لما ترتكس فيه الامية من فقر وضعف وفوضى وخمول وسوء اخلاق وعادات وذوق ثم لما هو بارز من التفاوت العظيم بين طبقاتها ، وقلة انسجام وتمازج واتساق في حركاتها ومحاولاتها .

- ٢ -

والمشكلة تبرز بنوع خاص بالنسبة للقرى والبادية وعسر إمكانيات المال والمكان والمعلم ، بل ان المشكلة تكاد تتركز هنا لان وسائل التعليم في المدن متوفرة اكثر ونسبة الامية فيها منخفضة جداً بالنسبة إلى القرى والبادية . ولقد كانت هذه المشكلة بما واجهته الجمهورية التركية التي لم تكن حالتها احسن من حالة البلاد العربية ، وظلت معقدة إلى سنة ١٩٤٠ ، فقد كان عدد الذين هم في السن المتراوح بين السابعة والسادسة عشرة (٣٥٧٤٩٩٠٩) ٨٠٪ منهم قرويون ، وكان عدد المتدربين على المدارس منهم (٨٨٤٧٠٩) أي ٢٣٪ فقط من المجموع ، وقد كان عدد مدارس القرى في سنة ١٩٣٨ (٤٧٨٨) من أصل نحو (٣٦٠٠٠) قرية ، وبكلمة اخرى ان نحو ٨٥٪ من القرى لم يكن فيها مدرسة إلى هذه السنة .

- ٢٢ -

وفي هذه السنة خطت الحكومة التركية خطوة حاسمة في سبيل حل المشكلة واعقتها بخطوة متممة لها في سنة ١٩٤٢ بعد ان رأت ان المحاولات النصفية لم تحلها وقد أسفرت الخطوتان عن نتائج عظيمة مما يسوغ القول ان تركية ستبلغ بها الغاية خلال عشر سنين من اليرم .

وقد انطوى في الخطوتين حل مشكلة التهذيب والارشاد والتوجيه الزراعي والصناعي في نفس الوقت ايضا . وكانت الخطوة الاولى إصدار قانون معاهد القرى حيث أوجب على وزارة المعارف إنشاء معاهد قروية لتنشئة معلمي القرى واختصاصيين بالمهن المتنوعة التي تحتاج اليها القرية ، وأوجب على طلابها خدمة عشرين سنة في التعليم القروي ونص على حرمان من يخل بهذا الواجب من وظائف الدولة الاخرى مع واجب إعادته نفقات تعليمه مضاعفة ، وأوجب دفع مرتباتهم من ميزانية الدولة ، واعطاهم الآلات والوسائل اللازمة للزراعة من بذور ومواش وغراس وآلات زراعية من ميزانية الدولة كذلك مقابل قيامهم بكل نوع من انواع التعليم والتربية بما في ذلك إنشاء مزارع وحدائق وكروم غودجية وفنية وارشاد اهل القرية وتدريبهم .

وقد كان التعليم الابتدائي ودور المعلمين الابتدائية بما تتحمله الولايات من ميزانيتها المحلية ، وكان يسير بسبب ذلك سيرا بطيئا وضعيفا فكان تحميل نفقاتها على مالية الدولة من أهم مظاهر الخطوة الحاسمة .

وكانت الخطوة الثانية قانون تشكيمات مدارس القرى ومعاهدها حيث نص على واجب مجلس القرية في إنشاء بناء للمدرسة وتقديم نفقات المدرسة الدائمة - غير مرتب المعلم - وتخصيص ارض مناسبة للمزارع النموذجية إستناداً إلى قانون القرية الذي يحول هذا المجلس فرض الضرائب لهذا الغرض وغيره من احتياجات القرية ، وحيث نص على مسؤولية المجلس المالية والجزائية إذا أبطأ أو قصر أو أهمل في واجبه هذا .

وقد فصل القانون واجب معلمي القرى ومرشديها كما يلي :

« تشغيل أراضي المدرسة لتكون مزرعة غودجية وإنشاء مصنع وحديقة للمدرسة وتشغيل مصنع المدرسة على وجه ينتفع به اهل القرية واتخاذ التدابير اللازمة لتعليم

وتهذيب أبناء المدرسة وحمل الاهالي على ذلك ، ورفع كل ما يهدد صحة الطلاب واتخاذ التدابير اللازمة لذلك وحمل الاهالي عليها ، وترقية مستوى الثقافة الوطنية في اهل القرية وتوجيههم وفق ما يقتضيه الزمن والحياة الاجتماعية ، واقامة حفلات في ساحة المدرسة في الاعياد والمواسم المحلية والقومية وانشاد الاغاني الوطنية والقومية ، واستعمال الآلات الموسيقية في أنشائها ، وتشجيع وتدريب اهل القرية على ذلك ، وجعل اهل القرية يستمتعون بالراديو بأوسع نطاق ممكن ، وعمل أعمال زراعية وصناعية وميكانيكية فنية تكون غاذج لأهل القرية ومفيدة في تحسين إقتصادياتهم ، واقامة معارض في المدرسة ، وبذل الجهد لاقامة أسواق عامة في المكان والزمان المناسبين ومساعدة أهل القرية فيما يقتضي من التدابير والوسائل لانعاش حياة القرية وزيادة غلاتها ونشاطها ، واشراك الطلاب واهل القرية في الاسواق والمعارض العامة التي تقام في أماكن يسهل عليهم الذهاب اليها واثارة إهتمامهم وارشادهم ، وتوسيع معلومات أهل القرية في شؤون الاحراج وفوائدها ، والاهتمام لصيانة الآثار التاريخية والفنية والبدائع الطبيعية في القرية وجوارها ، والتعاون مع القرية على عدم اندثار الاجناس الجيدة من الحيوانات وتحسينها ، ومساعدة اهل القرية في كل ما يمس حياتهم من خير وسوء ونفع وضرر واعلام مؤسسات الحكومة بكل ما يتصل بذلك ، والاهتمام بمصلحة القرية ومصلحة الدولة والدفاع الوطني، وبث فكرة التعاون في وسائل الزراعة والنقل المشتركة وتأسيس منظمات تعاونية متنوعة ، واتخاذ التدابير المناسبة مع المحيط والوسائل لتعليم وتعويد شباب القرية على السباحة والرحلة والمصارعة والفروسية والرمي والصيد واستعمال الدراجة العادية والبخارية والآلات الزراعية الحديثة .

ولقد انشئ وفقا للقانون الاول خلال ثلاث سنين عقب صدوره عشرون معهداً داخلها يتبع كل واحد منها مزرعة تجارب كبيرة ومعمل للصنائع اليدوية والميكانيكية المتنوعة .

والخطة المرسومة هي تخريج عدد يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ معلم ومرشد سنوياً وفتح مدارس جديدة في القرى بنسبتهم ، وقد وزعت المعاهد توزيعاً حسناً بحيث انتشرت في مختلف أنحاء البلاد واهتم خاصة ليكون طلاب كل معهد من أبناء

منطقته. وكيف دروسها وحقول تجارها ومصانعها حسب بيئة كل منطقة ومناخها. والخطوة ستيسر حل مشكلة امية الكبار في القرى وهي ناحية بارزة من نواحي المشكلة لان سواد الامة الاعظم في القرى ، لان هذه المشكلة منوطة هي الاخرى بمسألة المكان والمعلم ، فكلما فتحت مدرسة جديدة في قرية تيسر لكبارها الاميين ان يتعلموا القراءة والكتابة في بناء المدرسة وعلى ايدي اساتذتها أو باشرافهم وفي اوقات خاصة وبكلفة إضافية يسيرة .

ولقد تبع هذه الخطوة خطوة فنية مهمة ، حيث انشئ بالمعاهد الريفية المذكورة فصول لتخريج قابلات ومأموري صحة ، واستهدف تخريج (٥٠٠) قابلة و (٥٠٠) مأمور صحة سنوياً لاستخدامهم اجبارياً في القرى ، فجاءت هذه الخطوة متممة للعمل العظيم من ناحيته الاجتماعية والصحية إزاء القرية ايضاً .

- ٣ -

فجدير بالحكومات العربية إقباس هذه الخطوات في سبيل حل مشكلة تعليم القرية التي هي المشكلة الاولى في تعميم التعليم كما قلنا على ان تكون الخطوة كفيلة بحل المشكلة حللاً حاسماً ونهائياً خلال عشر سنين أو خمس عشرة سنة على الاكثر ، وفي ذات الوقت يجب على الحكومات ان تستفيد مما تيسره هذه الخطوات من إمكانيات في مجال إزالة الامية من الكبار من جهة وان تضاعف جهدها لاستكمال اسباب ايجاد مقعد لكل طفل في مدارس المدن وإزالة الامية من كبارها . ومن الواجب ان تشتد الدعوة إلى ذلك إستعداداً لا يجحد القائمون بأمر الحكم معه مناصاً من أجل في الامر وتحقيقه في اقصر مدة ممكنة .

- ٤ -

واجب اصلاح الاخطاء في مجال التعليم

وهناك امور مهمة متصلة بالتعليم لا يتسع المقام لتفصيلها وتعمل دراسات خاصة مثل المناهج ونظام الفحوص الخاصة والعامة والدورات الدراسية ، ونظام قبول الطلاب للمدارس الثانوية والعالية والمدارس المهنية والزراعية والصناعية والمتوسطة ، واعداد المعلمين الصالحين الخ الخ ، فان كثيراً من النظم والاسس القائمة في بلادنا

من وضع الاجنبي المستعمر الذي استهدف ايجاد الثغرات والامراض في بيئتنا القومية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية . فمن الواجب مضاعفة الجهد والعناية في إصلاح الأخطاء واقامة نظم التعليم والثقافة عندنا على امس مستوفاة الدراسة ومتسقة مع حاجات البلاد والامة واهداف حركتها القومية .

- ٥ -

مفطوط ونوميرات

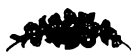
واذا كان من شيء معين نقوله هنا فهو ان من مصلحتنا القومية والثقافية والاقتصادية ان يكون الجهد الاكبر مصروفا إلى تعميم التعليم الابتدائي الذي يجب ان يضمن تخريج الطالب ملما بأوليات المعارف على اختلافها وقادراً على الانتفاع منها وان يكثر من المدارس الزراعية والصناعية والمهنية المتوسطة ويوجه القسم الاكبر من خريجي المدارس الابتدائية الذين يريدون مواصلة التعليم نحوها حيث يمكن بذلك تخريج أجيال صناعية وزراعية وفنية ومهنية ماهرة وعملية فيزداد بها النشاط والانتاج ويتحسن ، وان يجعل قبول المتخرجين من المدارس الابتدائية للمدارس الثانوية ومن هذه المدارس العالية رهنا بأسلوب من أساليب الاصطفاء يضمن به عدم تكثير الطبقة التي تحمل شهادات عالية وتكون في ذات الوقت ضعيفة المواهب والقابليات فلا تعمل في المجال الرفيع الذي تخرجت له ولا تنزل إلى المجال الأدنى منه فتظل عاطلة حائرة متدمرة وان ينقذ الطلاب من الصدفة العمياء التي تغلب في الفحوص النهائية وان يجعل للدراسة والجهد اليومي والشهري نصيب وأثر في مصائرهم السنوية ايجاباً وسلباً ، وان يجعل للتربية الاخلاقية والاجتماعية حيز كبير في المناهج والتنظيمات الدراسية لتلافي ما ارتفعت الاصوات بالشكوى مما يلبس في أبناء الجيل الجديد من ميوعة في الاخلاق والعادات والاجتماعيات والذوق ، ومن ضعف روح النظام والتنظيم ، ومن التحلل من الواجبات والتبعات والتقاليد .

- ٦ -

يجب تدبير المال على كل مال لهذه المسئلة

ولا ينبغي ان تقف المسألة المالية في الطريق . فكل شيء يجب ان يهون في

سبيل هذه المشكلة التي هي من امهات مشاكل الامة العربية . والحكومات العربية ما زالت تنفق على التعليم نسبة أقل بكثير من نسبة ما تنفقه البلاد الاخرى عليه مع ان تلك البلاد لا تقامي محنة المشكلة التي تقاسمها بلاد العرب . وتستطيع الحكومات العربية إذا جدت وحسنت - وآن لها ان تجد وتحسم - ان تحل المسألة المالية بأسلوب ما ، ولا سيما ان جهازها فضفاض وموظفيها أكثر بكثير من حاجتها والكفايات والمظاهر والنفخنة تستغرق كثيراً من المال عبثاً . وهذا فضلاً عن قدرة البلاد وواجبها معا في الدفع لحل هذه المشكلة الحيوية ، فضلاً عن حق الحكومة وواجبها معا في الاخذ من القادرين المتخمين بقوة القانون ما يكفي لحلها .



الفصل الرابع

- ١ -

مسائل الفوارق الطائفية وتنوع المذاهب والمدارس

وهناك مشكلتان من مشاكلنا القومية يجب بذل الجهد في معالجتهما . وهما متصلتان في ذات الوقت بالتعليم من ناحية ما .

- ٢ -

مشكلة الفوارق الطائفية

اولاهما مشكلة الفوارق القائمة بين مختلف الملل والنحل والطوائف . وهي من دون ريب من أهم نقاط ضعف الامة العربية ومن أهم الثغرات التي نفذت وتنفذ منها دسائس الدسائس ووساوس الشياطين وكيد الكائدين كما انها مما توهم به الامة العربية في حركتها القومية الحديثة وتعرفل سيرها .

- ٣ -

ومن هذه الفوارق ما هو بين المسلمين انفسهم ومنها ما هو بين المسلمين والنصارى العرب . ولسنا نقصد الى توحيد الملل والنحل وجعل الناس ملة واحدة ، فهذا غير وارد ولا هو ممكن مع كونه مرغوباً فيه ومفيداً جداً للمصلحة القومية ، وانما الذي نعنيه بذل الجهد في إزالة أسباب الحقد والضغينة والانكماش والحذر وسوء الظن والروح المتعصبة المتناظرة .

فالدم العربي الاصلي يجمع بين الشيعة والسنة والدروز والعلويين كما ان الاسلام من حيث المبدأ والتاريخ يجمع بينهم . غير ان بينهم من الفوارق والافكار المتضادة ما يجعل التضامن والتمازج الروحيين الصادقين غير قائمين او ضعيفين ، والفوارق في أصلها تمت إلى أسباب سياسية امتزجت بالدين وتغذت بالدعاية من جهة وبحوادث وإعتبارات متنوعة في مختلف المناسبات والادوار من جهة اخرى . وقد حاول الاجنبي المستعمر إستغلالها واثارتها بل ونجح بعض الشيء في محاولته ، وساعده على هذا النجاح بعض المتحررين والطامعين من أبناء هذه الملل والطوائف

حتى رأوا في بقاء طوائفهم متميزة منافع ووجاهة ومناصب قد لا يتيسر لهم إذا اعتبرت الطوائف الإسلامية واحدة .

ويوجد في كل طائفة فئة صالحة تستنكر هذا التمييز وتتأذى من إستمراره وتعرف ان بقاءه عظيم الضرر والخطر على المصلحة القومية العامة اولا وعلى مصلحة كل طائفة ثانيا كما ان كثيراً من أبناء هذه الطوائف يعرفون ان أسباب الفقرة قد تطوت في طباط الزمن المديد ، وان الاستمرار فيها عبث لا معنى له ولا سند له من دين وخلق ومصلحة وعاطفة .

فحملة صادقة مخلصه يتعاون فيها مثقفو هذه الطوائف ومخلصوها تعاوناً صادقا وتدار بلباقة وجد واستمرار ، ويتوصل اليها بشتى الطرق والوسائل وفقاً للظروف والمناسبات وتضطلع برسم خططها وتنفيذها المنظمات القومية العامة بالتضامن مع المنظمات المحلية من جهة ومع الدوائر الحكومية الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى من شأنها إضعاف قوة التمييز والفرقة .

هذا بالنسبة للكبار والجيل الحاضر . اما بالنسبة للأطفال فيجب ان تتكفل مناهج التعليم بمعالجة هذه المشكلة فيهم بحيث يكون التعليم القومي المشترك هو سياسة التعليم العامة في الوطن العربي ، حتى يسهل بذلك اندماج الجيل الجديد والايغال القادمة تحت لواء القومية الحفاق اندماجاً يصبح شاملاً وتاماً .

- ٤ -

وكما يجمع الدم العربي الاصلي بين كثيرين من مسلمي العرب على اختلاف نحلهم وكما يجمع التاريخ واللغة منذ القرون الطويلة بين كثير منهم ايضاً فان الدم العربي من ناحية والتاريخ واللغة من ناحية ثانية يجمع بين مسلمي العرب ونصاراهم كذلك في الشام ومصر والعراق . وما قبل في أغراض المباينة بين الفرق الإسلامية واستغلال الاجنبي المستعمر لها يقال بتمامه بل وبأكثر منه بالنسبة إلى المباينة بين مسلمي العرب ونصاراهم . وما كان من أحداث التاريخ في بعض الحقب إنما كان نتيجة ظروف واعتبارات ومواقف خاصة ودسائس أجنبية ونفعية متنوعة ، وقد كان الجهل والحق وضيق الافق والفهم من أقوى مغذياته . وبين المسلمين والنصارى فئة صالحة وغير قليلة تستنكر هذه الفقرة وتتأذى من إستمرارها وتلمس في ذلك

عظيم الضرر والخطر على القضية القومية العامة وعلى مصلحة كل من الفريقين معا ، وتعرف انه ليس في الحقيقة بين مصلحة المسلمين والنصارى أي تباين سواء في مجال السياسة والحكم والنظم والنشريع او في مجال الحقوق والواجبات المتقابلة او في مجال الاقتصاد والاجتماع ، او في مفهوم واهداف الفكرة العربية وما يعود على الفريقين من منافع وعز وسؤدد من تحقيقها . ولقد انطوى عهد الجهل وضيق الافق والفهم وانفتح عهد جديد يجعل التضامن في المصلحة الوطنية والقومية هو الأصل النافع الضروري دون ان يكون لفوارق الدين أي تأثير فيه . والعرب الذين يندمجون في هذا العهد لا يمكن ان يكونوا بدءاً في هذا الباب ، وليسوا في الحقيقة بدءاً . وعلى اعتبار ان اكثرية العرب الساحقة مسلمة فان في الشريعة الاسلامية في نصوصها الاصلية والسنن في العهود الاسلامية العربية الاولى ما يمهد لاقرار هذا المعنى قويا وطيداً بين العرب عامة في صدد ما يكون من اختلاف بعضهم عن بعض في الدين ، يضاف الى هذا ما انكشف من نيات الاجنبي المستعمر الدساس ومأجوريه وخاصة الذين ينتطعون للتبشير منهم نحو العرب مسلميهم ونصاراهم على السواء من الكيد والمكر وسوء النية وقصد التفريق واستهداف استغلال الجميع واحتقارهم . فكل ذلك اسباب مسهلة لمعالجة هذه المشكلة التي يجب ان يتضامن فيها متفقوا المسلمين والنصارى معاً ويقوموا بمحلة صادقة وقوية في سبيلها ، ويتوصل اليها بشتى الوسائل وفقاً للظروف والمناسبات وتضطلع برسم خططها وتنفيذها المنظمات القومية العامة بالتضامن مع المنظمات المحلية من جهة ومجمع الدوائر الحكومية الاجتماعية والثقافية من جهة اخرى .

هذا بالنسبة للكبار والجيل الحاضر . اما بالنسبة للاطفال فيجب ان نتكفل مناهج التعليم بمعالجة هذه المشكلة فيهم بحيث يكون التعليم القومي المشترك الذي يجب ان يكون اساس سياسة التعليم العامة في الوطن العربي وسيلة ناجعة الى ذلك حتى يسهل اندماج الجيل الجديد والأجيال القادمة تحت لواء القومية الحفاق اندماجا يصبح مع الزمن شاملاً وتاماً .

مشكلة تنوع المذاهب والمدارس ومعالجتها

اما المشكلة الثانية فهي مشكلة تعدد اساليب ومناهج التعليم، والتعليم الطائفي والأجنبي في البلاد العربية. وبقاء هذا التعدد ضار كل الضرر بالروح القومية والمصلحة القومية اللتين تقضيان بتوطيد الوحدة الثقافية والانظمة الثقافية في جميع درجات التعليم وطبقات المتعلمين اولاً وفي جميع معاهد التعليم ثانياً ، وان ينتظم هذا جميع البلاد العربية ثالثاً ، ويتناول جميع ابناء وبنات الامة على اختلاف مللها ونحلها رابعاً بحيث يكون من ذلك بوثقة تصهر الجميع وتخرجهم امة متجانسة في العقول والقلوب والاسلوب متحدة في الاهداف والغايات ترمي عن قوس واحد وعقيدة قومية واحدة والناظر اليوم فيما هو عليه التعليم ومعاهده في بلادنا يرى صوراً عديدة متناقضة مع هذه الغاية ونقصاً شديداً في كل ناحية ، وبدرك سراً من اسرار ما تتمرغ فيه امتنا من ضعف البنية والاخلاق واختلاف الميول والامزجة والغايات والاساليب.

- ٦ -

المدارس الاجنبية وسيرتها وآثارها

فمن هذه الصور ما يقوم في بلادنا من المدارس الاجنبية المتعددة الجنسيات المتنوعة المناهج والغايات والتي استعمل في الأعم الأغلب في اتجاه معاكس للغاية التي ذكرناها سراً وعلناً ومباشرة ومداورة .

وموضوع المدارس الاجنبية من المواضيع الخطيرة الأثر في حياتنا وحركتنا ومصالحتنا يجب ان يعار اهتماماً كبيراً وعاجلاً من جانب منظماتنا وحكوماتنا وان تشدد الدعوة الى ذلك . واذا كان حقاً ان لهذه المدارس بعض الفائدة في توسيع نطاق العلم فان مما لا يمكن ان يمارى فيه انه كان لها آثار سيئة ايجابية وسلبية في حياتنا القومية أضعاف أضعاف ما كان لها من فائدة .

فأكثر المدارس الأجنبية أو بالأحرى أكثرها الكبرى هي مدارس تبشيرية سيروتها وسيطرت عليها روح المبشرين المتعصبة التي يعرفها الحبيرون في مؤلفاتهم والبحاثهم وجدلهم ومطاعنهم الصريحة والضمنية التي تصدر عن غرض وهوى وحقد

وافق ضيق . وهذه الروح كانت عاملا قويا خاصة في بث روح الخوف والحذر والحد والريبة والانكماش بين المسلمين والنصارى العرب ، وفي صرف كل اتجاه يمكن ان ينبثق في نفس النصارى نحو العرب والعروبة على اعتبار ان الاسلام والعروبة لفظان مترادفان ، وفي إثارة الحقد بـل والاحتقار في نفوس الناشئة النصرانية العربية نحو العرب ، وفي تشويه تاريخهم تشويها منكرا .

ولقد كانت هذه المدارس من الناحية الاخرى وسائل استعمارية مباشرة ومدورة بما كانت تقتصر عليه تقريبا من ملء ذهن الناشيء بالأجنبي وادابه وتاريخه . وفي حين لا يكاد يكون قد عرف شيئا أو عرف ما هو مشوه وناقص وتافه من اللغة العربية والآداب العربية والتاريخ العربي يكون قد تشبع بتاريخ الأجنبي ولغته وآدابه وابطاله ومزاياه وفضائله وبالتالي قد استغرق فيه استغراقا شديدا . وهكذا ينشأ الناشيء الذي يتخرج في هذه المدارس غريبا عن العرب والعروبة في لسانه وروحه وعقله وعلمه مندجا بالأجنبي بكليته ، فترى كثيرا من فتياتنا وفتياننا مسلمين وغير مسلمين لا يكادون يبينون باللغة العربية ، ولا يكادون يفهمون شيئا عن العرب ولا يكادون يتحسسون بشيء من الشعور القومي العربي والكرامة القومية العربية في حين يكونون ملهين شديد الامام بتاريخ الافرنسيين أو الانكليز ولغتهم وآدابهم مندجين في عاداتهم وتقاليدهم وشعورهم ، وقد اتخذوا من اللغة الانكليزية أو الافرنسية لغة بيت ومجالس أو على الاقل صاروا يرقعون لهجاتهم العامة العربية بالروانة الانكليزية أو الافرنسية . وهذا سر ما نراه في مواونة لبنان وكاثوليكيه بنوع خاص من التعلق الشديد والاستغراق التام في كل ما هو افرنسي والكره والخوف والانتقاض الشديد من كل ما هو عربي اسلامي بما هو من مشاكل قضيتنا العربية في هذا القطر العربي على ما ذكرناه في الجزئين الاول والثاني من هذه السلسلة ، لان غالبية ناشئتهم تدرس في مدارس افرنسية مجتمة أو مصبوغة بالصبغة الافرنسية فضلا عن الصبغة التبشيرية العامة فيها .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان تعدد انواع وجنسيات المدارس الأجنبية ادى بطبيعة الحال الى تنوع الشعور في ناشئتنا التي تتخرج منها . وادى بالتالي الى تناقض الامزجة والمظاهر والميول والاساليب تناقضا عجيبا حتى صارت الامثال تضرب بنا وخاصة في بلاد الشام التي نكبت بالتنافس الأجنبي الاستعماري على

اختلاف الميول والامزجة والاساليب ليس في البلد الواحد بل في الاسرة الواحدة . ولم يكن هذا التعليم الأجنبي الاستعماري والتبشيري قاصراً على الطوائف النصرانية بل كان وما يزال ينهل منه عدد كبير من أبناء المسلمين . منهم من يرسله ذووه - على اعتبار ان النظام والتربية في المدارس الأجنبية خير منها في المدارس الحكومية والأهلية ، ومنهم من يرسله ذووه لاكتساب اللغة الأجنبية ، ومنهم من يرسله ذووه للباهاة او التزلف دون ان يفكر هؤلاء جميعهم بما يترب على ذلك من آثار سلبية وإيجابية في حياة أبنائهم واتجاهاتهم وشعورهم ومقوماتهم . وهكذا شمل سوء أثر هذا التعليم وضرره طبقة غير قليلة من نصارى العرب ومسلميهم على السواء حيث أساءت لأبنائها هذه المنشأة المسيخة المشوهة المغايرة كل المغايرة للكرامة القومية والمصلحة القومية والمعتلة للانسجام الذي يجب توطئه بين أبناء الامة الواحدة في الامزجة والميول والاساليب والغايات والشعور .

وجوب التخلص منها او تخفيف ضررها ونظاها

ومها قيل أن هذه المدارس ساعدت على اتساع نطاق العلم والتهذيب في بلاد العرب ، وانه قد نشأ في بعضها أفراد كان لهم جهد ومشاركة في الحركات القومية والوطنية وكانوا متشعبين بمبادئ الحرية والاستقلال والكرامة القومية فما لاشك فيه أن هؤلاء قليلون من جهة وان ما كان قد كان من قبيل رد الفعل من جهة اخرى ولم يكن على كل حال نتيجة جهد وتوجيه مخلصين ، وليس من شأنه على أي حال أن يبرر استمرار هذه المعامل البشرية في عملها لتشوّه اخلاق أبنائنا وأرواحهم وتعطل شعورهم القومي ، وتجعلهم يستغرقون شعوراً وانجذاباً في الأجنبي وتاريخه وآدابه وأبطاله دون تاريخهم وأبطالهم ، وخاصة ان الشعور القومي فينا لم يرسخ ويعم ويقوى ويكون لنا منه مناعة كافية ، وان بعض بلادنا ما تزال منكوبة بالأجنبي ، وان بعضها الآخر عرضة لمطامعه ودسائسه وتربصاته ، وقد آن لنا أن نتخلص منها وأن تشد الدعوة الى ذلك .

وإذا لم يكن امكان للتخلص منها في الحال فان الواجب يقضي ببذل الجهد السريع القوي لاستدراك امرها الى ان يصبح في الامكان ذلك بما هو ضرورة لا مناص منها وغاية لا يجوز النكوص عنها . وفي المثل الذي ضربه الكهابوت

احسن الاسوة . فقد ساروا في سياسة رشيدة وحازمة في سبيل ايقاف هذه المعامل وحدها اذاها وتترك من رغب في البقاء فيها ، حيث حظر التبشير والطابع الديني الكهنوتي على اي مدرسة اجنبية ، وحيث وضعت قيود وشروط شديدة على المدارس الاجنبية ، مما أدى الى اقبال كثير مما كان موجوداً ، ولم يبق في تركية مدرسة واحدة تحمل طابع التبشير او تسيير في اي اسلوب من اساليبه ، واصبحت اللغة التركية في ما بقي منها لغة اجبارية تعلم بواسطة اساتذة من الاتراك ترشحهم وزارة المعارف ، كما غدا هذا الباقي خاضعاً في كل شيء للسلطات الحكومية ونفتيشها اولاً ، وفيها مديروان تركي ثانياً ، وتكتب حساباتها وسجلاتها باللغة التركية ثالثاً ، ويدرس التاريخ والجغرافية والعلوم الاجتماعية باللغة التركية من قبل اساتذة اتراك وطبقاً للمنهج الثقافي العام رابعاً ، وهذا فضلاً عن تحريم تعليم التلامذة الاتراك جنسية (١) تعليمياً ابتدائياً في المدارس الاجنبية ، وقصر التعليم فيها على ابناء الجالية الاجنبية او التعليم الثانوي ، وعدم السماح بانشاء اي مدرسة اجنبية جديدة .

وقد كان عدد المدارس الاجنبية في تركية يبلغ المئتين فظل يتناقص حتى وصل الى واحد وثلاثين في سنة ١٩٤٣ يقتصر التعليم فيها على الاجانب والتعليم الثانوي وفي نطاق الشروط والقيود التي شرحتها آنفاً .

ومها تكن هذه الخطوة شاقة ومعقدة بالنسبة للبنا فان شدة أثر هذه المدارس في حياتنا القومية وشدة ضررها تتحملان كل شيء في سبيلها . ومن واجب الحكومات العربية الشرقية المعترف باستقلالها والتي تقارن سيادتها ان تسارع الى ممارسة هذه السيادة في هذه الساحة الخطيرة وبكل حزم ولو باقتباس ما فعله الكماليون ، ونعتقد ان النجاح فيها غير عسير ، ولن يستطيع أحد أن ينكر حقنا في تنظيم تعليم ابنائنا وتربيتهم والاشراف على تنشئتهم ومنع كل ما من شأنه ان يمسح اخلاقهم وعقولهم ويشوهها ويعطل شعورهم القومي ، وليس فيه اي تعنت ولا بغى ، وليس فيه الا الحق والعدل ، ولا يكابر فيه منصف مهما كانت نخلته وجنسيته . وعلى منظماتنا القومية ان تدفع الحكومات في هذا السبيل بكل قوة .

(١) يشمل هذا التعبير المسلمين وغير المسلمين من رعايا الدولة

المدارس الطائفية وسيرتها وآثارها

ومن هذه الصور المدارس الطائفية المتنوعة . وخطورة اثر التعليم الطائفي في حياتنا القومية كخطورة اثر التعليم الاجنبي في الروح وفي بعض الظروف والخصوصيات . فطلاب هذه المدارس ينشئون في جوفهم الطائفي ، وتظل روح الافتراق والتمييز والانكماش والحذر بل والبغض المتقابل هي السائدة فيهم . وبما يزيد الطين بلة ان كثيراً ما يكون اساتذة هذه المدارس من رجال الدين الذين لا يدركون خطورة التربية القومية والمصلحة القومية او الذين ينحرفون عنها قصداً انسياقاً وراء ذهنية ضيقة الالفق تدفعهم الى تنشئة تلامذتهم تنشئة طائفية بحتة في حين أن الذي يرجى من التعليم ومعايده بالاضافة إلى تثقيف الذهن وتوسيع دائرة المعرفة القضاء على الروح الطائفية السائدة في أوساطنا البيئية والاجتماعية على السواء .

واستمرار الروح الطائفية قوية في كثير من ابناء الطوائف المختلفة مع ما صار لهم من الحط الوافر في الثقافة والعلم واتساع الذهن والالفق يعود فيما نعتقد إلى درجة كبيرة إلى التربية الطائفية التي تلقوها في المدارس الطائفية على ايدي اساتذة طائفيين في روحهم وافقهم وانحرافهم ، وغدوا بها تحت سلطانها اللاشعوري رغم ما يتظاهرون به .

وإذا كان ليس في الامكان ازالة الروح الطائفية بالمرة في برهة وجيزة لأنها متصلة بحياتنا البيئية والاجتماعية الخاصة ايضاً ، وأن هذا المقصد السامي يقتضي زمناً طويلاً فان بقاء التعليم الطائفي مما يؤدي الى استمرار تلك الروح في حين أن التعليم هو معتمدنا ومرجوتنا في ازالتها مع الزمن وتبديدها بالروح القومية .

وجوب معالجتها واسلوبه

وليس من ريب في أن الوجه الصحيح هو الغاء التعليم الطائفي الخاص وجعل التعليم مشتركاً منذ درجاته الاولى فلا يكون الا تعليم قومي واحد ومدارس قومية واحدة تضم ابناء الطوائف على اختلافها وتسود فيها الصبغة القومية البحتة

وفقاً لمنهج ثقافي عام ، وبهذا يستطيع اضعاف الروح الطائفية السائدة في أوساطنا البيتية والاجتماعية تدريجياً الى أن تزول وتتوارى هذه المشكلة الخطيرة نهائياً . ومن الواجب على منظماننا القومية وحكوماتنا أن تبذل جهودها القوية في هذا المجال كما أنه يترتب على مثقفي الطوائف المختلفة أن يتضامنوا في تدعيم هذا الجهد والنجاحه وهذا مطلب قومي عظيم يستحق عناية كبيرة وجهداً جليلاً .

وقد لا يكون تحقيق هذا المطلب سهلاً ، فنحن نعرف شدة رسوخ الروح الطائفية والاعتبارات المتنوعة التي تغذيها . فمن الواجب والحالة هذه بدء الجهد في استدراك امر المدارس الطائفية ، وذلك في ايداعها الى ايدئيرة واسعة الافق تدرك معنى الفكرة القومية وما فيها من مصلحة عامة للجميع ، وابعاد الطائفيين المتعصبين عنها ، ونزع الكتب الطائفية من ايدي التلامذة وإبدالها بكتب قومية وتطبيق المنهج الثقافي العام بجد وعناية وجعل هذه المدارس تحت المراقبة والترصء القوي المستمر ، ونعتقد أن هذه الخطوة الاولى ستمهد السبيل الى الخطوة الحاسمة التي ذكرناها قبل إذا ما خطيت بحزم وجد ولباقة ، ومهما يكن في هذه الخطوات من صعوبة وتعقيد فان ما يعود منها على المصلحة القومية والحياة القومية من الخير والفائدة يهون في سبيلها كل تعب وتضحية وجهء .

- ٧ -

المدارس الخصوصية الأخرى

ومن هذه الصور المدارس الخصوصية المتنوعة الموجودة هنا وهنا ، والتي تقوم بجهء الافراء والهيات الخاص ولم يبرز فيها الطابع التبشيري والطائفي أو هي خلو منهما بالرة . ومهما يكن من خفة خطبها بالنسبة الى النوعين السابقين فان المصلحة القومية توجب استءراك امرها هي الاخرى بالاشراف الدقيق والتوجيه الصحيح ، وبتطبيق المنهج الثقافي العام وصبغها بالصبغة القومية البهئة ، وعدم السماح لها في اتخاذ منهج خاص ونظم خاصة وكتب خاصة وتوجيهات خاصة الا ما يكون فيه انساق مع تلك الصبغة أو تدعيم لها من ناحية من النواحي .

ومرّب النّجیل فی سبیل الوحدة الثّقافیة

هذا ، وغني عن البيان أن الجهود يجب أن تبذل في سبيل هذه الخطوات وفي سبيل الوحدة الثقافية العامة الشاملة لجميع البلاد العربية وخاصة البلاد المتقاربة في الانكشاف العلمي والثقافي بدون توان . فالوحدة الثقافية والصبغة القومية في المناهج ونظم التعليم ضرورة عاجلة ، ولا يقوم أمامها ما يقوم أمام الوحدة السياسية والاقتصادية من عراقيل وصعوبات من جهة وهي دافع قوي الاثر الى الاهداف القومية القريبة والبعيدة من جهة ثانية .

ونحن نعرف أن هذا الموضوع من المواضيع التي اخذت الجامعة العربية تعالجها منذ سنين ، غير أن السير السلحفائي وعدم الجد الذي اصطبغت به محاولات هذه الجامعة في هذا الموضوع وامثاله ابقياه في نطاق الكلام دون العمل والتنفيذ . فعلى القائمين بأمر هذه الجامعة إذا كانوا حقيقة قوميين يحبون خير امتهم أن يجدّوا على الأقل في هذا الموضوع الخطير الذي له أثر كبير في مستقبل حياتنا القومية ؛ وعلى المنظمات القومية أن يشتدوا في الدعوة الى ذلك وان لا يدعوا الامر على سجيته ، وان يدفعوا بالجامعة والحكومات العربية الى سبيله القويم بالقوة والسرعة .

ومرّب الاطفال بالتعليم الديني

ونحب بهذه المناسبة أن ننبه على نقطة هامة ، وهي اننا لسنا فقط لانرى ضرورة الى اقضاء التعليم الديني عن مدارسنا القومية بل نراه ضرورياً في دائرة التدابير الخاصة والحدود المعقولة من حيث الزمن والمكان والاسلوب ومن حيث الارتفاع بروح ابناء الامة الواحدة والوطن الواحد الى أوج الصفاء والتعاطف والمحبة والتضامن والتمازج كما تأمر به الاديان الكريمة ولا تتناقض في أسسه وجوهره .

وهذه التدابير مما يدخل بدون ريب في نطاق الامكانيات والبسر وليس فيها ما هو عسير إذا صدقت النيات وصحت الرغبات .

فالتعاليم الدينية في اصلها صافية نقية سمحاء من شأنها أن توقظ الضمير وتقوي وازع الخير وتصف نوازع الشر في الانسان ، وتلطف روحه وتجعله باراً رؤوفاً عطوفاً هيناً لنا متسامحاً من جهة ، وعزيزاً كريماً قوياً آخذاً باسباب الحضارة غير مستنكر للدنيا من جهة ، ومضحياً لا يقر الظلم والبغي والعدوان من جهة ، ثم تنأى بالانسان عن الاستغراق الشديد بالمادة استغراقاً يشغل جميع قواه وافكاره ويجعله جافاً جافياً من جهة . وفي كل هذا من الكنوز الروحية والقوى التهذيبية ما هو خليق بالتمسك به والعرض عليه بالنواجذ ولا سيما انه مظهر فيض الشرق العربي وطابعه القوي الزاخر بالاشراق والنور اولا ، وإن اثر تحكم المادة وضعف الروح الدينية في الغرب قد وصل الى حد شديد الخطورة بما يبدو من دوله وشعوبه من شرور وطغيان وبغي واستغراق واستهتار ثانيا .

والمهم في هذا ان يجاد تلقين هذه التعاليم وتجليتها اجادة متسقة مع سنائها ونقاها وهو ما يجب على منظمانا وحكوماتنا ونبهاء علمائنا العناية به كل العناية .

الفصل الخامس

- ١ -

وجوب الدعوة الى الهدى القرآني ونشئة الناشئة عليه

ونرى من واجبنا ان نتوسع قليلا في موضوع وجوب الاهتمام بالتعليم الديني بالنسبة للهدى القرآني خاصة على اعتبار ان كثرة العرب الساحقة مسلمة . ولقد كان القرآن هدى الامة العربية الذي اهدت به في صدر الاسلام الاول واستمدت منه نشاطها وحيويتها حتى كان لها تحت رايته تلك الصورة الرائعة الفخمة من قوة في السلطان وبسطة في الارض وحضارة ساطعة . وسيظل أقوى مؤثر في حياتها لانه كتاب دين كثرتها الساحقة ، ولانه احتوى من الاسس والقواعد والمبادئ والتلقينات ما من شأنه ان ينهض بها الى ذرى الكمال في كل مجال من مجالات الحياة ، وبوجهها في احسن السبل واشرفها وانزهها وانما سناء وصفاء وكمالا وحققاً ، ولان الدين الاسلامي الذي يمثله ليس ديناً روحياً او اخلاقياً او عنصرياً او اقليمياً وحسب كما هو حال الديانات الاخرى او جعلها بل هو دين عقيدة وسياسة ونظام وعمل وواقع معاً ثم هو دين انسانية كاملة واهاء عام سياسي واجتماعي يدخل في نطاقه جميع الناس .

من اجل هذا نعتقد بوجوب تنشئة الناشئة على هداة وبوجوب الاهتمام العظيم لبث تعاليمه وتجليتها في مختلف اوساط الامة واتخاذ التدابير الكفيلة بتخريج دعاة بارعين ووعاظ نابهين للقيام بهذه المهمة .

- ٢ -

دعوة الاخوان المسلمين وما فيها

وانه ليجمل بنا في هذا المقام ان نشيد بذكر منظمة الاخوان المسلمين التي قامت على هذه الفكرة والدعوة اليها . ولقد استجيبت دعوتها في القطرين المصري والشامي بنوع خاص بمقياس واسع وانضوى تحت لوائها عشرات آلاف المسلمين من مختلف الأوساط وفيهم طبقة كثيرة العدد من المثقفين وذوي المراكز الاجتماعية المرموقة فكانت حركة مباركة في حقيقتها ومظهرها بما كان من تحلي هذه الآلاف المؤلفة

باخلاق القرآن الكريمة وانفتاح الاذهان والاسماع لهذه الدعوة الفاضلة . وكل ما تأخذه على القائمين بهذه المنظمة خلطهم الدعوة بفكرة الدولة قبل الاوان حيث اغتروا بالعدد الذي انضوى تحت لواء دعوتهم وظنوا انه آن لهم ان يعملوا للوصول الى الحكم فأنار ذلك روح النزاع والمنافسة ونبسه اعداء الفكرة من ملحدين ومستغبرين ومتربصين فاخذوا يدسون عليهم ويمكرون بهم ويحاربونهم بالسر والعلن ويشغلونهم عن دعوتهم . وكما كنا نتمنى - ولا نزال نتمنى - ولم يفت الوقت - ان يظلوا متفرغين لنشر الدعوة والعناية ببلوغها الى اعماق القلوب في اوسع افق حتى تشمل اكبر عدد ممكن من الامة العربية ، حيث يؤدي هذا الى انقلاب اخلاقي واجتماعي وسياسي عظيم .

- ٣ -

ما يمكن نؤممه الى هذه الدعوة

وقد يكون موضوع هذه الدعوة موضع اخذ ورد من نواح عديدة . حيث يمكن ان يقول قائلون (١) ان فيها دعوة الى الرجعة الى الورا اربعة عشر قرناً بينا العالم يطير الى الامام و (٢) ان فيها تناسبا لما كان عليه المسلمون وحكوماتهم من الفوضى والجهالة والشذوذ والتناحر مع ان الملوك والحلفاء والامراء والحكام والوزراء والموظفين كانوا مسلمين وكان القرآن بين ايديهم ، وكذلك الحال في سائر المسلمين الآن مع ان صلتهم بالقرآن غير منقطعة ، و (٣) ان فيها ابقاء للامة العربية ضمن الاطار الشرقي القديم الضيق والتعاليم التي افقدتها قد سيتها الدينية المرونة والحركة وقابلية التطور في حين يجب ان تشتد الدعوة الى الانطلاق التام واعتناق اساليب الغرب في جميع مظاهر الحياة لانها هي الافق الاوسع ولانها هي القائمة على العلم والتجربة والضامنة لحرية الفكر وانطلاق العقل والتجدد المستمر دون ما عائق من دين وعثرة من تقليد قديم ولان الجود أمامها انما يؤدي الى الانكسار والخذلان والبقاء في حالة الضعف والذل والهوان وتحت وطأة الغربيين وسيطرتهم واستغلالهم و (٤) انها تتعارض مع المطامع القومية العربية والوحدة القومية العربية والفكرة القومية في أصلها حيث يعتبر الاسلام ذلك دعوة الى العصية ويشجبها ، وحيث فتح الاسلام الباب لغير العرب فدخلوا فيه فكادوا يبتلعون العرب واستغلوا

المساواة التي منحها لهم الاسلام فمحروم وتسلبوا عليهم في الكيان العام الذي تألف من العرب وغير العرب دون أن يجد العرب أو سوادهم في ذلك غضاة وكبير أمر ودون ان يحفزهم الى العمل على استرداد سيادتهم يجد ودافع قومي ، وادى هذا الى ذل العرب وتمزقهم .

- ٤ -

ردود على ما يمكنه توجيهه الى هذه الدعوة

ويمكن ان يقال جوابا على هذه الافوال (١) ليس في الدعوة الى القرآن رجعة ولا فقري بل ان فيها تجديدا وثورة، وان ما في القرآن من سعة في الافق ومرونة في التطبيق وسمو في الاسس والاهداف حينما يدرس بترو وامعان ما لا يبقى محلا للمراء وما يضمن للامة التي تسير عليه كل أسباب التقدم والانطلاق ، و (٢) انه يمكن لاي كان ان يدعي صادقا ان اي عصر استطاع ان يتغلب من تأثير المثل العليا الاخلاقية والاجتماعية والانسانية والسياسية التي اهتمها الادباء والفلاسفة والحكماء منذ القديم ، وان مما لا يمكن لاحد ان ينكره ان ما عند الغرب اليوم من آداب وافكار ونظريات ومثل ونظم وتقاليديرجع كثير منه الى ذلك القديم، فالدعوة الى استلهم القديم لا يمكن ان تكون دائما دعوة الى الرجعة والفقري مادام في هذا القديم من المثل العليا ما يساعد على افضل وسائل الحياة ومظاهرها . و (٣) ان من الحقائق التي لا يمكن المماراة فيها ان النظام شيء وتطبيقه شيء آخر وان عدم تطبيق نظام ما لا ينتج عنه دائما عدم صلاح ذلك النظام ، وان شذوذ أمة او دولة في ظرف ما عن الطريق القويم لا يتأني دائما عن عدم صلاح ما عندها من نظم ، وان هذا ليس محصوراً في بلد دون بلد وزمن دون زمن . و (٤) ان جذور الدين متأصلة في الناس الى درجة لا يمكن لاي قوة أو دعوة ان تقطعها منهم ، وان وجود واحد في كل خمسين الف او مئة الف يفكر هذا التفكير الذي يفكر به القائلون لا يعني ان من الممكن أن يتغلب الناس من تأثير الدين ونفوذه ، وما دام ان القرآن الذي هو كتاب المسلمين المقدس عامة وكتاب الكثرة الساحقة من العرب خاصة بين ايديهم يتلون صباح مساء ويعتقدون انه نبراسهم وفيه من الاحكام والمبادي والحدود ما يتناول حياتهم الفردية والاسرية والاجتماعية

والثقافية والاقتصادية والسياسية مما لا يقاس به اي كتاب ديني آخر فان صلتهم به وتأثيره فيهم لا يمكن ان ينقطع مهما تقلبت الظروف وتطورت الأحوال . و (٥) انه ما دام في هذه الاحكام والمبادئ والحدود من المرونة وسعة الافق والسمو والاحاطة ما لا يكابر فيه الا مكابر فان من الخير كل الخير ان تشتد الدعوة الى تفهم القرآن والاستبصار به والاستعداد منه وان من الشر كل الشر ان يترك السواد الاعظم من الامة التي تدين به وتقده في غفلة وجهل وعماء عما فيه يستغلهم المستغلون ويتحكم فيهم الجامدون و (٦) ان الدعوة الى القرآن لا يمكن ان تكون سببا في اي جمود وتوقف لان في ملهاته ومبادئه واحكامه ما يبيح اقتباس كل صالح نافع من أي كان وبقطع النظر عن جدته وقدمه ، وفيه ما يأمر ينبذ كل ضار فاسد مهما كان أصله وقدمه ، وفيه ما يدعو بكل قوة الى الاخذ باحسن الوسائل والاستعداد في كل ناحية من نواحي الحياة واثارة الهمم وايقاظ النشاط في الناس ، وفيه ما يفتح الطريق واسعا ليقوم ببناء الامة وكيانها على التفكير الحر والعلم الصحيح دون مانع ولا عثرة . و (٧) ان المادية والتفكير المادي قد طغى على المدنية الغربية حتى كاد يكون طابعا عاما لها وحتى كاد يعطل في الناس شعور الرحمة والبر والتسامح والوفاء والاخوة الانسانية وحتى كاد يمت في الانسان - او هو اماته فعلا - الضمير الانساني والحياء الانساني للذين من طبيعتها ان يمدد الانسان بنوازع الخير والبر والحق والاحسان والحشمة والتعفف والاتزان ، وحتى صار وجه الحياة الانسانية كالحا وصارت الحياة جعيا لا يطاق لان ميزانها الوحيد صار هو المادة وما يلزمه من إلحاد بشع وقسوة وتناحر وانانية وجشع وضعف شعور واباحية واستغراق في الشهوات والفواحش وتحلل من كل رابطة من روابط التقاليد والآداب الكريمة والعواطف الانسانية ، وتحليل كل وسيلة في سبيل تحقيق نزوات النفوس ومطامعها ورغباتها ، وقد انفق التوازن بالمرّة تقريبا بين القلب والعقل والعاطفة والعلم بما أقض مضاجع العلماء والباحثين من الغربيين انفسهم ، فمن الحق والخير ان تحصن امتنا من هذه الالويثة المهلكة ، ومن الشر والخطر ان يستمرسل بعض مثقفينا في الدعوة الى الانسياق في تيار الغرب المادي بدون تبصر ولا روية وبدون حساب للعواقب ، ومن الحق والخير ان نعمل جميعا على اعادة التوازن المفقود والانتفاع بعثرات الغرب وعيوبه ، وتغذية ضمير امتنا وخاصة

فأشئت بما يقوي فيها توازع الخير والبر والحق والعدل والكرامة والحياء والاتزان وكل ذلك كفيل به الدعوة الى القرآن فيما نعتقد . و(٨) انه ليس لاحد ان ينكر ان للابحار التاريخية اثرأ عظيماً في حياة الامم وقوة حيويتهما ومقاومتهم للصروف الدهر وموجع ضرباته ، وان الاسلام الذي جاء به الرسول العربي والقرآن العربي الذي نزل على هذا الرسول فخلدت به اللغة العربية وتقدس وتعالى له الاثر العظيم في حياة البشر وحضارتهم وتوجيههم نحو المثل العليا هو اعظم الابحار التي تستطيع الامة العربية ان تفخر بها وتعز ، وان في استمداده في تحريك الامة العربية وبعثها من جديد اعظم الفوائد والوسائل واقواها ، زان في محاولة اهمال ذلك او التهوين منه او تجاهله جحوداً منكراً لتلك الابحار وتعطيلها جانبياً لهذه الحوافز والوسائل والفوائد . و (٩) ان القرآن قد خلد حق العرب وشأنيتهم في الكيان الاسلامي في آيات عديدة منها ما هو صريح ومنها ما هو ضمني (١) ، وانه ليس من تعارض بين الدعوة اليه والدعوة الى القومية العربية والمجد العربي والفكرة العربية القومية ولا تدخل هذه الدعوة في متناول ما هو مشحوب من الدعوة الى العصية لان هذا انما كان موجها الى العصية القبلية التي كانت تقوم عليها تقاليد العرب والتي كانت تحول دون تكتل العرب ووحدتهم القومية بما كان من غايات الدعوة النبوية البارزة وبما هو معلوم لكل من درس الدعوة والسيرة النبوية . و(١٠) ان ما نوه به القرآن وخلده من شأن العرب في الكيان الاسلامي وتقديس اللغة العربية بسبب كونها لغة القرآن وتحميله لهم واجب الدعوة اليه وتقريره لمسؤوليتهم عن ذلك قد جعل للعرب شأنأ عظيماً في العالم الاسلامي من الممكن ان يعود عليهم منه اعظم المنافع والمفاخر المادية والمعنوية والسياسية والاجتماعية ، فمن الشر والخطر والحق ان يغفل هذا المعدن الغني وان لا ينتفع به الى اقصى حدود الانتفاع لصالح العرب

(١) ثمن في الايات التالية : «١» وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً البقرة ١٤٢ «٢» وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس . الحج ٧٨ «٣» كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله آل عمران ١١٠ «٤» ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . آل عمران ١٠٤ «٥» وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون . الزخرف ٣

وصالح المسلمين وصالح الانسانية معاً . ففوة الفكرة الاسلامية فونهم ومجدها .
 مجدم واعتلاؤها اعتلاؤهم وعليهم من اجل هذا الرجوع بالاسلام في معناه ومبناه
 واسسه واهدافه الى اصله الوضاء الصافي النقي وهو القرآن وتجليه مبادئه وبشها
 ورفع ما تراكم عليه من طبقات قرون الانحطاط والجهل والتغلب التي غطت محاسنه
 وغيرت معالمه . وكان من جرائها في كثير من الظروف من الصور والاشكال
 والمفاهيم ما لا يمت الى ذلك الاصل الصافي الوضاء بسبب صادق ، وتجليته للعالم
 نوراً وهاجاً ومنازاً هادياً فيه كل مبادئ الخير والحق والعدل والاخاء والمساواة
 والحرية والبر والكرامة والتضامن والمرونة لمتبعيه وللانسانية جمعاء والوقوف في
 وجه كل محاولة لتشويه وتعطيل وقيام المشاهد الروحية والدينية والتعمية
 المتناقضة معه .

ونجمل لنا بل تكاد تكون على مثل اليقين ان الذين يقولون تلك الاقوال قد
 اخذوا باقوال ودعايات المغرضين من مبشرين ومستشرقين ومستعمرين وكائدين
 وماكرين ودسائسين وهدامين واباحيين وملحدين من جهة ولم يدرسوا من جهة
 اخرى القرآن دراسة كافية واكتفوا بما قرأوه من نظريات علماء الغرب وتوجيهاتهم
 ومن كتب التاريخ الغربي واحداثه وصوره بوجه عام ومن كتب التاريخ العربي
 الاسلامي بعهد العهود العربية الاولى وصوره واحداثه بصورة خاصة .

وبما يمكن ان يوجه الى الدعوة القرآنية من نقد وتحفظ ان في كل بلد عربي
 فريقاً عربياً او مستعرباً غير مسلم وبتعبير ادق نصرانيا وان الفكرة العربية وحدها
 مجردة عن تلك الصبغة هي التي يجب ان تكون ناظم الدولة حتى ينسكب الجميع في
 بوتقتها ، وان من الممكن ان تؤدي تلك الدعوة الى إثارة العصبية الطائفية او
 تغليب الصبغة الاسلامية في الدولة العربية بما يتناقض مع ما ندعو اليه من وجوب
 شمول الفكرة العربية القومية والصبغة القومية العربية جميع العرب مسلميههم
 ونصاراهم على السواء ، ومن بذل الجهد في ازالة النعرة الطائفية في الملل والنحل العربية
 ولا نرى هذا وارداً وصحيحاً . فليس من تعارض على ما ذكرناه قبل بين
 الفكرة العربية والدعوة القرآنية ، وقد شرحنا الاسباب التي تجعلنا نرى وجوب بث
 الروح الدينية الصافية والمبانيء الدينية الكريمة في نفوس الناشئة العربية مسلمة
 ونصرانية وفوائدها ، والدعوة القرآنية ليست في الحقيقة الا من هذا القبيل ،

وإذا كانت تصطبغ بصبغة الشمول والسعة فإن ذلك بسبب كون كثرة العرب الساحقة مسلمة أولا وبسبب طبيعة شمول المبادئ الإسلامية القرآنية ثانيا . وفيما انطوى في التعاليم القرآنية والسنة النبوية والراشدية بالنسبة للمسلمين من غير المسلمين ضمانات وافية ، وهذه الضمانات تصبح أشد والزم بطبيعة الحال بالنسبة للصائري العرب المندمجين في الفكرة القومية والمتشاركين المتوائمين مع المسلمين العرب في العواطف والمصالح والدماء والاطوان واللغة . ولا عبوة بما كان من مشاهد واحداث في التاريخ الاسلامي ، فان لذلك اسبابا سياسية وغير سياسية . وكان منها دسائس الدول الاجنبية بل وكانت هذه الدسائس هي السبب الجوهرى الاقوى كما يعرف ذلك من درس هذا التاريخ .

ونظن اننا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان ما في احداث التاريخ الاسلامي العربي الاولى من مفاخر وامجاد خالدة وما في الفكرة الاسلامية وصلتها بالجنس العربي والنبوة العربية والقرآن العربي من مفخرة للعرب في الدرجة الاولى جدير بأن يكون مفخرة للصائري العرب كما هو شأنها للمسلمين منهم .

- ٥ -

استدراكات حول هذا الموضوع

ونريد ان نستدرك بعض الاستدراكات في صدد ما نحن فيه . فأولا إننا لا نقصد بما قلناه عن شأن العرب في العالم الاسلامي اننا نتطلع الى جامعة اسلامية سياسية عامة او خلافة اسلامية سياسية عامة يكون العرب على رأسها كما اننا نعرف ان مجال ذلك مسدود اليوم فلا محل للتخوف منه . ولا يقاس الامر بما كان عليه وضع السلطان الاسلامي عامة والسلطان الاسلامي العربي خاصة في سالف الدهر فاتساع السلطان العربي الاسلامي وشموله للاقطار التي دخلت في حوزة جيوش الفتح وقيام ذلك السلطان العام او تلك الخلافة الاسلامية السياسية انما

كان نتيجة لطبيعة وظروف الحركة الاسلامية واستمرارها طيلة المدة التي ساعدت الظروف على استمرارها هو كذلك امتداد لتلك الطبيعة والظروف . وقد انحلت هذه الجامعة السياسية العامة وانقضت العرى التي كانت تجمع افطارها فبرزت في كل قطر شخصية سياسية مستقلة اصطفت مع الزمن بصبغة القطر القومية وشخصيته المتميزة واصبحت هي الراسخة المستقرة ، فليس من مجال الى عودة الحال كما بدأت كما انه ليس هناك باعث له وليس له ضرورة اجتماعية او اقتصادية او حربية ، وليس له موجب وأصل ديني والسلطان في الاسلام وازع يقوم لمصلحة المجموع ضمن نطاق صالحهم وخيرهم العام ، وليس من صفاته المحتمة أو من موجباته أن يكون جميع المجتمعات والافطار الاسلامية تحت لواء سلطان واحد ، وليس هناك ما يمنع ان تكون الافطار الاسلامية بمجموعات مستقلة متميزة بطبيعة الحال . وقد كان الامر كذلك منذ الف ومئتي عام ، وكان وقت تلعب فيه ثلاثة من ملوك العرب بلقب الخليفة وامير المؤمنين في ظرف واحد في القاهرة وقرطبة وبغداد .

على ان هذا لا يعني اننا لا نحبذ ان تقوم رابطة باسم رابطة الشعوب الاسلامية على اسس تعاونية سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية . بل اننا نعتقد ان في ذلك كل الخير للعرب خاصة وللمجموعة الاسلامية عامة . ولعل فيه علاجاً ناجعاً لوقاية العالمين العربي والاسلامي من استغلال الغرب وتحكمه وسيطرته ومكائده فضلاً عن فوائده العظيمة المشتركة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ولا حرج على العرب ان يكون ذلك غاية من غاياتهم بل نعتقد انه واجب عليهم ، وليس فيه تعارض قط مع الفكرة العربية الحديثة واهدافها ، وفيه مجال ليقوموا بالدور الرئيسي في هذا الميدان مستمدين من شأنتهم التي خلدها القرآن لهم والتي يجب على المسلمين التسليم لهم بها ومن قدسية لغتهم التي يمكن ان تكون اللغة الرسمية لهذه الرابطة . وهذا العمل مستساغ اليوم بعد ان اتجه العالم الى عقد الاتحادات الكبرى بقصد ضمان المصالح المشتركة والسلامة المشتركة بين المجموعات المتماثلة أو المتجاورة ، ولا يمكن أن تكون الصبغة الاسلامية موضع نقد لان الاسلام كما

قلنا ليس ديناً روحياً وحسب يجب ان لا يخرج من نطاق القلب والمسجد .
وثانياً ينبغي ان لا يفهم بما ذكرناه ان جميع الوان حياة المسلمين يمكن أو يجب ان
تغدو مصبوغة بالصبغة الدينية . فنحن ابعد ما نكون عن هذا القصد من جهة
والشريعة الاسلامية هي من جهة ثانية مدنية في جل احكامها وما يتصل بعاملات
الناس وحقوقهم وسياسة الدولة ونظمها والاسرة وتشريعاتها كما يتضح لكل من
أمعن النظر في النصوص القرآنية ، وليس فيها سلطات ومظاهر كهنوتية بما كان
مثله يتصادم مع السلطات والمظاهر المدنية والسياسية في الغرب وبما أثار ذلك التيار
الذي جرى في اتجاه ليجاب فصل الكنيسة عن الدولة والذي تأثر به على ما يبدو
بعض كتاب المسلمين ومثقفهم فصاروا يقيسونه على الاسلام وبدعوا الى فصل
الدين عن الدولة في الدول الاسلامية مع انه قياس مع الفارق على ما هو واضح ،
كما انها ابعد ما تكون عن تلقين التعصب وضيق الافق نحو غير المسلمين الاصدقاء
والموالين والمواطنين والمسلمين والمعاهدين بل اقوى ما تكون تلقيناً بالبر والعطف
والوفاء والاحترام والمودة لهم وخاصة التبارى حينما تجلى وتفهم على حقيقتها .

الفصل السادس

الافطار السام ذو جرب الحذر منها

- ١ -

وبما يجدر الحذر منه ومكافحته الافكار المسمومة التي من شأنها ان تكون مرسماً ينخر مقوماتنا وكياننا القومي وعثرة في سبيل تحقيق اهداف الحركة العربية الحديثة .

- ٢ -

الاقليمية الضيقة وتفسيرها

١ - منها الاقليمية الضيقة . ففي كل قطر من الاقطار العربية اناس يتجاهلون ما يربط بلادهم بالبلاد العربية الاخرى من روابط كثيرة تجعلها وطناً عربياً واحداً وتجعل اهلها امة عربية واحدة ارسيتون فهمها وتأويلها ويدعون الى الانضمام في النطاق الاقليمي الضيق وتفرغ الجهد لترقية بلادهم ومصالحه الخاصة وعدم هدر قواها خارج هذا النطاق .

وتصدر هذه الدعوة من هؤلاء الناس بأشكال واساليب متنوعة . فمنهم من يسوق التفاوت الثقافي والاقتصادي بين بعض الاقطار ليدل على عدم امكان الانسجام وعبث المحاولة في سبيله . ومنهم من يسوق الظروف الجغرافية ويذكر ما يفصل بين الاقطار من ابعاد شاسعة ليدل على ذلك . ومنهم من يسوق الظروف التاريخية واختلاف الاصول والحضارات والمملكات . ومنهم من يرى في الاندماج في فكرة العروبة العامة متاعب ومشاكل يجب ان يكون قطرهم في نجوة منها . ومنهم من يرى الفكرة العربية هي الفكرة الاسلامية وبالتالي يرى فيها صبغة دينية اسلامية . ومنهم من يرى انه لا يمثل الفكرة العربية العامة إلا وحدة اللغة دون وحدة الجنس والاصل والثقافة والمشارب بما لا يصلح ان يكون وحده اساساً صحيحاً لوحدة قومية . ومنهم من يرى لاسباب جغرافية وتاريخية واصولية جنسية ان الهلال الحبيب الذي يشمل العراق والشام وحدة قائمة بذاتها فقط وان تلك

الاسباب لا تجعل الانسجام العربي العام مبرراً ولا ضرورياً ولا تسمح به .
و واضح ان في هذه الاقوال مغالطات ومفارقات كثيرة .

فالتفاوت الثقافي والاقتصادي قائم على اشد ما يكون بين طبقات كل قطر من
اقطار العرب نفسها ، فثلاثة ارباع المصريين مثلاً في جهل وفقر مربعين والتفاوت
بينهم وبين الربع الباقي اشد في جملته من التفاوت بين مصر كمجموعة وبين الحجاز
واليمن ولا نقول بين سوريا ولبنان . ومثل هذا يمكن ان يقال بالنسبة الى الاقطار
الاخرى . والتفاوت الاقتصادي والثقافي المذكور ليس اصلاً طبيعياً مع ذلك في
جبله الامة العربية ففي الامكان زواله . ولا يصح ان يكون مبرراً لعدم شمول
الفكرة العربية لمختلف الاقطار العربية او دعوى استحالة الانسجام بينها .

ووسائل الاتصال العصرية قد طوت المسافات وقربت الابعاد . وليست المسافة
بين آخر واول نقطتين في مصر شمالاً جنوباً اقل من المسافة بين القطر المصري
وسوريا والحجاز واليمن . وليس من المستحيل ان ترتبط الاقطار العربية في
المستقبل بل وفي المستقبل القريب بالخطوط الحديدية فضلاً عن الخطوط الجوية والطرق
المعبدة فيقرب ما كان بعيداً ويسهل ما كان صعباً . ويضاف الى هذا ان البلاد العربية
ليست بدعماً ، فالأبعاد بين اول وآخر نقطة شرقاً لغرب او شمالاً لجنوب بين اقاليم روسيا
او الهند او الصين او اميركا الشمالية لا تقل عن اول وآخر نقطة بين الاقطار العربية شرقاً
لغرب او شمالاً لجنوب بل ومنها ما يزيد عنها فيها ، ولم يكن ذلك البعد وارداً في صدد
ما هو قائم من وحدة هذه الممالك الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . وليس
صحيحاً في حال ان الفكرة العربية هي الفكرة الاسلامية نفسها وبالتالي هي فكرة دينية .
ولو كان هذا صحيحاً لاقضى ان تشمل الفكرة العربية البلاد الاسلامية غير العربية
بما لا يقبل به احد . وكل ما هنالك ان اكثرية العرب الساحقة مسلمون وهو شيء
وذاك شيء آخر كما لا يخفى . ولم ينحصر نشوء الفكرة العربية الحديثة في المسلمين
بل شارك فيه النصارى العرب ايضاً اصلاً وتطوراً . وليس صحيحاً كذلك انه لا
يمثل الفكرة العربية العامة إلا وحدة اللغة . فالوطن العربي الكبير هو منبت أو
موطن الجنس العربي ومهاجر موجاته التاريخية التي سميت خطأ بالموجات السامية
قبل الاسلام بمدة طويلة . وقد اصطبغ بالصبغة العربية الحاسمة قبيل الاسلام وبعده .

ويجمع سكان هذا الوطن الكبير تاريخ واحد يمتد الى ثلاثة عشر قرناً بدون انقطاع كما يجمع بينهم وحدة روحية وثقافية وتشريعية ممتدة كذلك الى مثل تلك القرون الطويلة ؛ بحيث ظلوا يعيشون في جو تاريخي وروحي وتشريعي وثقافي واقتصادي وسياسي واحد تقريباً ؛ وهو بعد متصل الاجزاء بدون اي فاصل جغرافي او عنصري . وكل هذا يجعل مصالحه واحدة ايضاً ؛ ويجعل القضية العربية العامة او الفكرة العربية القومية العامة من القوة والعمق والصحة والبدهة اكثر مما هي في كثير من القضايا القومية الاخرى . . وهذا الذي نقوله يساق ايضاً الى الذين يسوقون الظروف التاريخية واختلاف الاصول والحضارات والمملهات التي كانت في العهود التاريخية القديمة حيث يجعل زعمهم غير صحيح . وهذا فضلاً عن ما في تحطبي دهر طويل يتمثل في ثلاثة عشر قرناً بعد الاسلام الرجوع الى ما قبله من مكابرة ومفارقة في حين ان الوحدة القومية في البلاد الاخرى موطدة بسبب وحدة لغة ووطن وتاريخ واصول لا ترتفع الى اكثر من مئات قليلة من السنين . وكذلك يساق هذا القول الى الذين يقصرون مدى الوحدة القومية على اهللال الحصيب . ويقع هؤلاء في مفارقة اخرى . فهم يتخطون القرون الثلاثة عشرة المذكورة وآثارها التي وطدت الوحدة القومية بين الاقطار العربية جميعها من مختلف عناصرها ويتجاهلونها ليقولوا ان وحدة اهللال الحصيب قائمة على وحدة الاصول المتمازجة التي سكنت فيه من اشوريين وكلدانيين وبابليين وآراميين وفينيقيين وكنعانيين ، ويتناسون ان هذه الاصول ترجع الى اصل واحد هو الجنس العربي المسمى بالجنس السامي والذي يسكن انساله اليوم جزيرة العرب وجزيرة العرب من الاقطار العربية الافريقية بالاضافة الى سكان اهللال الحصيب ، والحجة دامغتهم في شمول النظرية التي يسوقونها على ما فيها من تحفظ لثلاثة عشر قرناً . ولقد انشأ الذين يقولون بهذا القول حزباً له فروع في مختلف بلاد الشام واستطاعوا ان يضموا اليه عدداً غير قليل من الشباب من مختلف الانحاء والاديان وبدوا كأنهم اصحاب عقائد ومبادئ يدعون اليها ويدافعون عنها مع ما في دعوتهم هذه من تلك المفارقات والمغالطات . ومن عجب امرهم ان دعوتهم في بدء امرها كانت مقتصرة على سوريا الطبيعية ، وكانوا يخرجون العراق منها كغيره من الاقطار العربية لأسباب ثقافية واقتصادية وجغرافية وتاريخية واصولية بل ولم يكونوا يبالون بالعروبة ويقولون

انها قد طرات على سوريا طروءاً ، ثم قبلوا أن تتصف سوريا بالعروبة وظلوا على عدم امكان الانسجام بينها وبين الاقطار العربية ، ثم إذا هم يعتبرون العراق من سوريا حيث صاروا يطلقون اسم سوريا الطبيعية على الهلال الخصيب الذي يشمل العراق ، ويقولون بالعرب والعروبة ورسالة سوريا الخالدة في قيادة الامة العربية دون ان يعدلوا عن قولهم بامّة سورية تامة ووطن سوري تام ودون ان يقولوا كيف يمكن التوفيق بين هذا وذاك ، حتى يبدو من هذا التبديل والتعديل في اهداف الحزب ومبادئه ومن هذا التناقض ان قصارى ما كان بهم له الذين قاموا بالحزب وجعلوا منه مؤسسة ذات نظم ومظاهر شبيهة بالنظم والمظاهر النازية ان يكون لهم منظمة ذات نظم ومظاهر خاصة وحسب ، لتنشط في سبيل ما ترموه من خطط واهداف بما جعل بعض الناس يغمزون بهم وينسبون لهم مآرب خاصة . اما القول بأن الاندماج في الفكرة العربية العامة يحجر المتاعب والمشاكل فهو ظاهر الوهن والسقوط وخاصة في زمن يحتقر فيه ويستذل القليل الضعيف ويعتز فيه الكثير القوي ، وتكتل فيه الامم المتشاكلة والمتجانسة بل المتجاورة . وها هي روسيا والصين والهند والولايات المتحدة تتألف من مئات الملايين بينما هي شاسعة الاقطار متباعدة الاطراف حتى ليكون كل منها قارة بذاتها ، وفيها إلى هذا الكثير من الطوائف والاجناس والعديد من اللغات والاديان . .

ولقد ألمنا بشيء من هذه الافكار ونبناها على ما فيها من مغالطات ومفارقات ومناقضات في الجزء الثاني من هذه السلسلة وفي أحد فصول هذا الجزء السابقة ، وقلنا انها نفت من سموم المستعمرين والشعوبيين والمبشرين اعداء العرب والعروبة واعداء الاسلام الذي يدين به كثرة العرب الساحقة .

ومع انهم قلة بين الجهرة العربية ، وان الشعور القومي العربي العام قد غدا شاملاً مختلف الاوساط والاقطار كما قلنا في مناسبة سابقة فان المصلحة القومية توجب على شباب العرب القوميين ومنظماتهم ان لا يغفلوا عن سمومهم ومغالطاتهم ومفارقاتهم لانها مهما يكن شأنها لا بد من ان تترك أثراً وان تكون عراقيل وعقداً نفسية وفكرية في طريق الحركة العربية الحديثة واهدافها . .

٣ فكرة الاممية

٢ - ومنها فكرة الاممية والانسانية العامة والدعوة الى نبذ الفكرة القومية ونسبتها الى الرجعية والقرون المظلمة ووصفها بعدم الاتساق والانسجام مع مقتضيات العلم والنور والحرية .

اننا لانكر ما في الفكرة الانسانية والاخاء الانساني التي الشامل لاتتقيد بقيود الجنس

والحدود الجغرافية والتي تستهدف تضامن بني البشر جميعا لحير البشرية وتكاملها والقضاء على اسباب النزاع والاحقاد والمطامع والشهوات المستعصية في مختلف الامم والطبقات والافراد ، وسيادة السلام والمحبة بينهم من خيال أخذ يتصل بالمثل الانسانية العليا التي طالما تكلم فيها ودعا اليها كبار المصلحين وعظماء الفلاسفة في مختلف الاجيال ؛ كما اننا لا ننكر انه قد يوجد في كل بلد وامة من البلدان والامم القوية فضلا عن الضعيفة جماعات تعتنق هذه الفكرة باخلاص وتدعو اليها عن عقيدة وايمان غير ان الذي نعتقده ان الذين هم في حالة مثل حالتنا وفي موقف مثل موقفنا ضعفاء في بنام وقواهم ، وموضوع تشاد ومطامع بين الاقوياء الذين يتربصون بهم الدوائر ويتوسلون بكل وسيلة الى السيطرة عليهم واستغلالهم والتحكم فيهم لا يصح في حال ان تروج بينهم مثل هذه الفكرة . لان انبثائها فيهم غير مؤد الى نتيجة عملية ايجابية في صدها بالذات في حين انه مؤد حتما الى اضعاف التماسك القومي ثم الى اضعاف المقاومة القومية فيهم في وقت هم أشد ما يكونون فيه حاجة الى قوة التماسك والمقاومة القومية .

هذا الى ان هذه الفكرة في سعتها التي ذكرناها مقدر عليها ان تبقى مثلاً أعلى متصلاً بالنظريات والدعوة والاماني اكثر منها داخلية في نطاق العمل والحقيقة الراهنة فالقوارق الطبيعية والاخلاقية والاجتماعية والروحية والجغرافية والتاريخية والقوية قوية الجذور عميقة الاصول في البشر الى درجة تجعل قيام إخاء إنساني عام وشامل يزول به التنازع وتفسل منه الاحقاد وتتضاءل فيه المطامع ويكون الحق والسلام والمحبة هي السائدة هو في حكم المستحيلات وعلى الاقل الى الالف السنين . ووجود ضعيف وقوي وفقير وغني وجاهل وعالم وغني وزكي وبليد ونشيط وقليل وكثير هو في حكم الناموس الطبيعي الذي لن يتبدل والذي سيظل يعمل عمله في الانسانية والى هذا فان الامم القوية التي يقوم من بينها الدعاة الى هذه الفكرة والتي هي في حالة من القوة والكثرة والمكانة تجعلها قدوة وتسمح لها ان تتبنى الفكرة دون ان تخشى نتائجها من ضعف وتراخ وتعرض للارتكاس شديدة التمسك بمقوماتها القومية دائبة على التشاد والتنازع والرغبة والسعي في التحكم والتبسط في الارض وطبعها بطابعها القومي الخاص بها استعمل كل منها ما يستعمله من الوسائل والدعايات المتنوعة الخداعة التي لا تخفي ما تحتها من راهن الحقائق وواقعها وان الامم الصغيرة والضعيفة في مختلف انحاء الارض وسواء منها التي هي في ارقى درجات الحضارة والعلم والرفاه او المتأخرة فيها شديدة التمسك بمقوماتها القومية ولا ترى في هذه الفكرة بديلاً عنها . ولقد رأينا روسيه التي تبنت الشيوعية المنظوي فيها معنى من معاني هذه الدعوة في اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها تعمد الى النفخ في نار القومية لالهاب عزائم

بنيتها في النضال من جهة وتعود من جهة أخرى الى سياستها التقليدية العنصرية فتبسط ظلها على أوروبا الشرقية التي فيها شخصيات وطنية وجغرافية خاصة متذرة بما يجمع بينها من صلات عنصرية سلافية كما انها لا تتوانى في ترصص الفرص لتحقيق ما اعتادت السياسة القيصرية القديمة ان تترسمه من خطط وخطوات استعمارية بحجة ضمان ما تسميه حدودها القومية ومجالها الحيوي القومي ايضا .

ولقد رأينا الولايات المتحدة الامركية التي كانت منطوية على نفسها والتي كانت أعرق الامم حرية وأشدّها إنطلاقاً وأبعدها عن فكرة الاستعمار والاستغلال وأقلها تقدماً بتقاليد قديمة قومية قد غيرت اثناء الحرب المذكورة وبعدها من ذهنيته وأخذت تسير سيرة الامم القوية الاستعمارية وتحاول بسط سلطانها ونفوذها الاقتصادي والسياسي او بالأحرى الاستعماري والاستغلالي على العالم وجعل كلمتها هي الحاسمة في مشاكله وقضاياه دون مبالاة بما تقتضيه في سبيل ذلك من مناقضات الحرية والحق والشرف والعدالة والنزاهة ودمغ محاولاتها بطابع ذاتي وقومي خاص حيناً رأت نفسها أقوى من غيرها من الامم وأغنى حتى إنها لتشبك في نزاع خفي قوي مع بريطانيا التي هي امها لغة ودما وتقاليد بسبيل ذلك .

وقد يرد على البال ان الدعوة الى الفكرة الانسانية والاممية العامة من مصلحة الامم الضعيفة المضطّدة لانها اشد من غيرها حاجة الى شيوع هذه الفكرة ورسوخها حيث تخلص بذلك بما يلم بها من ضعف واضطهاد وتضمن لنفسها ما يعز عليها في نظام الاجتماع الراهن من المساواة والحرية ضمن المجموعة البشرية . وعلى احتمال صحة هذا الوارد فان خطر هذه الدعوة اول ما يصيب الامم الضعيفة المضطّدة لانها تبث فيها ضعف المقاومة والتمسك والامل الكاذب الذي لا يفي شيئا في مجال واقع نظام الاجتماع الراهن . واذا كان اليهود هم اكثر الدعاة الى هذه الافكار وامثالها فان ما كان يحفزهم الى ذلك وضعهم الاجتماعي الخاص من كونهم مشتتين في كل أرض ومعرضين لمختلف انواع الاذى بقطع النظر عن أسباب ذلك وبواعثه ، وليس لهم كيان قومي يهيمهم ان يحافظوا عليه . وهم إنما يبتئون هذه الافكار في الامم القوية وذلك من مصلحتهم ومفيد لهم دون ان يضرهم في حال . على انهم وهم الذين تبثوا بث مثل هذه الافكار وانشاء المنظمات المتنوعة الاسماء بسبيلها قد اخذوا يغيرون نهجهم الآن بعد ان صار لهم كيان ووطن قومي وصاروا يرون وجوب تقوية الدعوة والمقاومة القومية في امتهم؛ بما فيه الدلالة على ان وضعهم الاجتماعي الخاص هو الذي كان يبلي عليهم بث تلك الافكار بما لا يمكن ان يكون سبيلاً لمحتذيه العرب ولهم ما لهم من الكيانات والمصالح القومية وهم معرضون لما هم معرضون له من المطاعم والتربصات فالواجب القومي يقضي والحالة هذه على منظماتنا وحكوماتنا ومؤسساتنا

الثقافية والادبية والصعافية ان تتضامن في التنبيه على ما في إنبثاث هذه الفكرة من اخطار على كياننا القومي ودرئها وسد الثغرات التي يمكن ان تنفذ منها وان لا تستهين بضعف تيارها وضيق ساحتها الآن . فاهمالها قد يساعد على توسيعها ولا سيما ان اليهود الذين هم ابرع من يكر ويكيد ويصول ويجول في هذا الميدان والذين قد توطد بيننا وبينهم من الحقد ما توطد سيضاعفون جهودهم ومكرهم وكيدهم لنا من هذه الناحية بالإضافة الى النواحي الاخرى لانهم يعرفون ان كل ضعف يلزم بنا هو قوة لهم وان كل تماسك ومقاومة فينا هو خطر وضرر عليهم . ومثل هذا يقال بالنسبة للانكلز والافرنسيين بنوع خاص الذين يتربصون بنا الدوائر ويهدفون الى إضعاف بنيتنا القومية ليضمنوا بقاءنا في فلكهم من حيث ندرى ولا ندرى .

ومن تحصيل الحاصل بأن نقول ان هذه الدعوة هي غير الدعوة الانسانية البارة الرحمة التي تهدف الى توطيد المساواة بين أبناء الوطن الواحد ومساعدة الضعفاء والبائيسين والمحرومين وإثباتهم حقهم المعقول في الحياة . وهي كذلك غير الدعوة التي تهدف الى تعاون الامم في مجالات الخير والبر والرحمة والسلام العام ايضاً او التي تهدف الى بث فكرة المساواة والحرية بين بني الانسان وبث فكرة مساعدة قادريهم على البر في ضعفاتهم وبائسيهم ومحروميهم ايضاً بقطع النظر عن الفوارق الجنسية والدينية واللونية . فهذا كله سائغ وواجب معاً على شريطة واحدة هي ان نستوحيه من منابعا المقدسة التي هي معين لا ينضب والتي هي أقوى من دعا اليه بأسلوب بلغ الغاية في الروعة والجلال والشمول وان لا ننساق فيه وراء دعوات أجنبية مريبة تحتوي مبادئ وأهدافاً متناقضة جميعها او بعضها مع مبادئ تلك المنابع ومع مقوماتنا ومصالحنا القومية معاً .

٤ الدعوة الى الاستغراب

٣ - ومنها الدعوة الى الاستغراب، ونعني الدعوة التي تستهدف احتذاء كل ما عليه الغرب من مظاهر مدنيته وعلومه وعاداته ومآثله واماليه بدون قيد وشرط تفريق وانتباه فهناك امور عامة مشتركة ليست مطبوعة بطابع امة خاصة ولا تبقى كذلك حيث تلقاها الامم عن بعضها وتحذتها بسهولة ويسر إذا ما سارت في طريقها واستكملت اسبابها المادية بدون حرج ولا ضرر ، كالمسائل العلمية والفنية والصناعية فالخاكي والمذياع والنور الكهربائي والسيارة والطيارة والقطار والبخرة والعلوم الرياضية والفلكية والفيزية والكياوية والكهربائية والميكانيكية والطبية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والحقوقية والسياسية وسائر مسائل العلم والصناعة ومنجزاتها وأساليبها الخ كل هذا بما لا يمكن ان ينطبع بطابع قومي خاص او بما لا يمكن ان

يبقى مطبوعاً بطابع الامة التي نشأ فيها لأول مرة ، واكثرها وان كان اليوم غربياً فهو ملك الانسانية المجتهدة الدؤوبة التي تتصل اصولها بالاجيال ، والتي قد تكون اشتركت في اصلها وتطوراتها جميع الامم التي كان لها شأن ما في تاريخ الحضارة والمعرفة والتي لا شك في ان لامتنا العربية حصة غير بسيرة فيها . فنحن لا نرى فقط مانعاً من احتذائها واقتباسها والسير فيها أبعد شوط ممكن بل نرى ذلك واجباً قومياً محتماً . فهي من جهة اسباب تفوق الغربيين علينا هذا التفوق العظيم الذي نلسمه في كل مظهر من مظاهر الحياة العملية والنظرية ، وضعفنا فيها من اهم اسباب ما نحن فيه من ضعف وفقر وما نحن معرضون له من استغلال وتهضم ، ولن نزال كذلك حتى نأخذ حظنا منها ونباري الغربيين فيها مباراة تامة تجعلهم ينفذون يدهم من امم وبلاد صغيرة قد اخذت حظها التام من ذلك كله وبارت به الامم الكبيرة فلم يبق مجال لهذه في سبيل التسلط والاستغلال عندها ، وهي من جهة ثانية وسائل واسباب رفاه وقوة وتمكن وحضارة وعمران ومعرفة وسعة افق ونظام من حقنا وواجبنا معاً ان نأخذ بنصيبنا منها على اوسع ما يمكن لنستمتع بنعيم الحياة وعزها وسوددها واطايبها استمتاع الانسان العاقل لا البهيمة البلهاء . وليس في تقاليد آبائنا ومنايع شريعتنا النظرية والعملية ما يمنع من ذلك البتة ، بل فيها كل ما يحض على الاقتباس والاحتذاء فيما يكفل لنا القوة والسودد والرفاه والسعادة المادية والمعنوية وقد يدخل في هذا القسم مسائل ووسائل اللباس والاثاث والبناء والطعام والشراب فكل ما ليس فيه مغايرة للمحظورات الدينية التي حظرت في الحقيقة للمصلحة الانسانية والصحية والخلقية والاجتماعية ليس من مانع من اقتباسه واحتذائه بل وفي هذا الاقتباس خير للامة والبلاد من ناحية انسجامها واتساقها في هذه الوسائل والمظاهر وخاصة اللباس حيث ان من الثابت ان الزي الغربي اي السروال الضيق والسترة او القميص ادعى الى سهولة الحركة والعمل من القباز والاردية والسراويل الفضفاضة . اما الرأس فان تنوع اشكال غطاءه في مدتنا يجعل المنظر متنافراً جداً حيث يستطيع المراقب ان يعد عشرين نوعاً منها من الطربوش الى اللبده الى القاووق الى القلبق الى الكوفية والعقال الى الكوفية اللف بدون عقال الى الطواقي والعائم المتنوعة الاشكال والالوان ولقد اخذت العادة تجري على كشف الرأس وليس لهذا مانع من دين ولا ذوق ولا تقليد . ولذين يودون ان يغطوا رؤوسهم في المدن وخاصة

في شدة الحر والبرد ان يستعملوا القبعات ، فليس لذلك كذلك مانع من دين ولا ذوق ولا تقليد ، وقد اخذت قوات الامن والدفاع ضباط وانفار يستعملونها فجاءت مقبولة غير مستنكرة . ويعلم الجميع ان الطربوش الذي يغطي العرب به رؤوسهم في المدن ليس عربيا في اصله . وقد خصصنا المدن بالذكر لان الكوفية والعقال زي جميل ونافع في القرى والبادية .

وهناك امور ليست اهمية مشتركة وهي مطبوعة عند كل امة بطابع تلك الامة الخاص كالاخلاق والعادات والتقاليد والآداب والذوق والروح . فليس من إمكان للمرء في ان هناك خلقاً وتقاليد وآداباً وذوقاً وروحاً انكليزية ومثلها افرنسية ومثلها المانية ومثلها روسية الخ ، وليس هناك مجال للمكابرة في ان للعرب ايضا خلقاً وتقاليد وآداباً وذوقاً وروحاً خاصة بهم ، وهذه الامور هي مقومات كل امة ومنبع الهامها ودعامة قوتها المعنوية . واصولها أو جراثيمها راسخة عميقة ترجع الى الاحقاب الطويلة المتباعدة ويشترك في تكوينها وتسيجها عوامل كثيرة ذاتية من الدم الى الجنس الى البيئة الى الدين الى اللغة الى التاريخ الى الحروب الى القصص والسجاي والمفاخر الخ حتى تصبح معقدة تعقيداً عجبياً وتصور من اجل ذلك طابع الامة اللاشعوري الخاص في الوقت نفسه . فالاستغراب في هذه الامور أي تحيّي العربي عن مقوماته هذه وتحليله بمقومات امة غريبة اخرى مؤد اولاً الى الارتباك والتشويش وغدو اذواقنا وأخلاقنا وتقاليدنا وثقافتنا وآدابنا مرقعة متناقضة ، وثانياً الى إضعاف مقوماتنا وبنيتنا ومقاومتنا القومية ، ولن يؤدي في حال الى إستبدال تقليد بتقليد وذوق بدوق وروح بروح وأدب بأدب إستبدالاً صادقاً وشاملاً للأسباب والتعقيدات التي ذكرناها .

وبما يؤسف له ان شيئاً من هذا قد طرأ على بعض بيئاتنا بتأثير ضعف الشعور بالذاتية القومية وناموس تقليد الاقوى ، بما كان أثراً من أثار الدعايات والدسائس والاغراء والمدارس الاجنبية والتبشيرية فصار ابناء هذه البيئات مرقعين متناقضين في أذواقهم وميولهم وأخلاقهم وتقاليدهم وروحهم ، اختلطت فيها الطوابيع الانكليزية والافرنسية والالمانية والاميركية والطلليانية اختلاطاً ظاهرياً مزيفاً صاروا به اعجوبة واضحوة ، وضعفت به مقوماتهم ومقاوماتهم القومية وكادوا يفقدون به ذاتيتهم .

فالواجب القومي يملئ علينا التفريق بين الامور وعدم الاندفاع مع الربح كيفما هبت ، والواجب يملئ على منظمتنا وحكومتنا ومؤسساتنا الثقافية والاجتماعية والادبية والعلمية والصحافية الاهتمام لهذه الناحية اهتماما كبيرا وللتزامن في التنبه على ما فيه من أخطار على كياننا القومي ودرئها وسد الثغرات التي يمكن ان تنفذ منها كذلك ولو كانت الآن ضيقة محدودة والاحتفاظ بطابعنا القومي الخاص فيما لنا من تقاليد وعادات وثقافة وأدب وفن وذوق وروح وخلق وسجايا مما يمكن ان يذكر امثالا منه كعواطف المروءة والغيرة والارحية وتقاليد الضيافة والجوار ورباط الاسرة وحياة البيت والحياء واحتشام المرأة وتحفظها وقوامه الرجل على البيت واستقلاله بعبء نفقاته الخ الخ وتقوية المهمل الضعيف منها إذا كنا نريد ان نكون امة قوية محتومة بين امم الارض الكبرى .

واذا كان هناك ما يجب تعديله مما هو غير مستحب او غير منسق مع ظروف الزمان وضروراته وليس في تعديله حرج ولا ضير فان هذا يجب ان يجري بكل احتياط وتؤدة وروية وان يكون منسجما ومتفقا مع ارواحنا وسجايانا وما تتحمله اصول تقاليدنا الحسنة ولا يخرج عن ملهات منابعنا وان لا يترك فوضى دون ما ضابط ولا ناظم .

على اننا لا نخشى التخطئة إذا قلنا ان كثيرا مما يرى مكروها او معوجا بما عندنا من عادات وأذواق وأفكار شخصية او اجتماعية او ببتية لا يمت الى اصول تقاليدنا و منابعها بسبب وثيق ، وهو طاريء علينا في أدوار انحطاطنا الاخيرة وأثر من أثارها ، واننا إذا رجعنا الى منابعنا وملهاتنا وعصورنا الاولى استطعنا ان نجد معينا لا ينضب نستمد منه القوة والجدة والحيوية ، كما اننا إذا تفقدنا تقاليدنا وأخلاقنا وأذواقنا ومقوماتنا وآدابنا القومية وجدنا في اصولها ومقاصدها كثيرا مما يجب ان نحفظ به فخورين معتزين .

الفصل السابع

مسألة المرأة العربية

- ١ -

خطورة هذه المسألة وصلتها بالحركة العربية

ولقد أثرنا الى مسألة المرأة وما يجب ان يحتفظ به من التقاليد العربية في امرها اشارة عابرة . وليس هذا كل شيء في شأنها بطبيعة الحال . فان مسألة المرأة العربية مما يجب ان يكون له حيز مهم في حركتنا القومية ومناهجها . فهي احد الركبن اللذين يقوم عليهما بنيان الامة فضلاً عن كونها الام والمربية وربة البيت . وكل هذا يسوغ على مسائلها خطورة عظيما ويجعل لها أثراً في حاضر الحركة العربية ومستقبلها تختلف قوة وضعفها وسلبها وإيجابها حسبما تكون عليه حالة المرأة العربية وحركتها وسيرتها ومركزها في الدولة والمجتمع والامرة .

ولقد كان هذا الموضوع من المواضيع التي اهتم لها الناهضون من الامة العربية منذ بدء اليقظة الحديثة ، وكان من أهم المواضيع التي دار حولها البحث والجدل والاخذ والرد والتجاذب والتدافع بأساليب عديدة ولاعتبارات متنوعة .

- ٢ -

بدء الحركة النسائية العربية الحديثة

فالشباب العرب الذين احتكوا بالغربيين أو تعلموا في بلادهم لمسوا ما تقوم به المرأة الغربية من أدوار عظيمة في حياة المجتمع عامة وفي حياة البيت وتربية النسل خاصة ، وما تتمتع به من نصيب كبير من الحرية وما هي عليه من الثقافة التي تساعد على القيام بتلك الادوار ، فآخذوا ينعون جهل المرأة العربية وخاصة المسلمة وإهمالها وما هي فيه من تضيق وحرمان وعزلة وقيود ، ويدعون الى تعليمها وتحريرها ، وأخذ فريق منهم يدعو الى سفورها ويرى انها لا يمكن أن تؤدي الادوار العظيمة التي تترتب عليها في المجتمع والامرة ولا ان تنال ما ينبغي أن تناله من العلم والثقافة والمركز الاجتماعي الا به .

ولقد نقل في هذه الاثناء عن الغرب ما يوجهه كتابهم وباحثوهم ومفوضوهم الى الشريعة الاسلامية من انتقاد ، ويتهمونها به من جمود واستبداد بشؤون المرأة من حجاب وقيود وتجهيل وعزلة وطلاق وارث وتعدد الخ فانبرى الكتاب والعلماء المسلمون للرد عليهم ، يدفعون عن الشريعة الاسلامية ما نسب اليها من جمود وقصور واستبداد وقيود ، ويبينون الحكمة فيما احتوته من شؤون الطلاق والتعدد والارث ، ويقررون انها لا تمنع بل تحت على تعليم المرأة وانها قد ضمنت لما من الحقوق مالا نظيره في الغرب ، ويضربون الامثال على ما كان لها في العصور الذهبية الاسلامية من مكانة وحرية واثر علمي وأدبي وسياسي ، وينسبون ما يمكن أن يكون واقعاً عليها من التشديد والتقييد والارهاق الى الجهل الذي ألم بالمسلمين في سلسلة قرون انحطاطهم وجمودهم ، ويؤيدون الدعوة الى وجوب تعليمها وتمتعها بما قررت له الشريعة من حقوق وحرريات ، وينبهون على قبح ما اعتيد عليه من عادات مغايرة للشريعة نصاً وروحاً .

- ٣ -

آثار هذه الحركة

ومن الحق أن نسجل بان ما كان من أخذ ورد وبيان حول حقوق المرأة وما أورد في هذا الصدد من النصوص والامثلة الشرعية والتاريخية قد جلا تلك الوجمة التي حاول الغربيون الصاقها بالشريعة الاسلامية جهلاً او عمداً ، وجأت بصورة ساطعة الاستبابة والحكمة والشروط الشرعية المعقولة في الطلاق والتعدد والارث ، وكان عاملاً من جهة اخرى - مع تقدم الزمن والتعليم وانتشاره - في تقدم المرأة في مضمار التعليم اشواطاً غير يسيرة ، وفي انتشار التفرقة من التعدد والطلاق بدون سبب معقول وشرعي ، وفي تبدل موقف الرجل من المرأة ومعاملتها بالحسنى والاعتراف بحقوقها ودورها في الحياة وخاصة في الاراسط النيرة ، فانحلت عقد كثيرة في صدد تعليم الفتاة وتربيتها وثقافتها وزواجها وطلاقها وارثها وحريتها وحقوقها ، وضعت أو زالت عادات قبيحة ظالمة ، وذهنيات عجيبة كريمة نحوها ، وهيبات لها هذا المجال الواسع الذي هي فيه اليوم .

الحجاب والسفور

واذا كانت معركة السفور والحجاب ظلت ناشبة مدة غير قصيرة بل وما تزال قائمة الى الآن في مختلف الاوساط والانحاء الاسلامية مع ما طرأ عليها من خفة حدة وتراخ فان ذلك راجع لاسباب اخرى . فنقليد الحجاب تقليد قديم استقر في الازمان ان له اصلا دينيا شرعيا ، وهو ذو علاقة وثقى بموضوع العرض الحساس وما يمكن ان يجرح اليه التخلي عنه من امور لا تهم بسهولة ويسر، وضيق نطاق التعليم والثقافة وقوة اثر الذين كانوا يلتزمون الجانب الحجابي ويرجعونه الى اصل ديني وقيام عهد دولة الخلافة التي كانت روح المحافظة فيها هي السائدة المتحكمة ، كل ذلك كان له اثره بطبيعة الحال . ومع ذلك فان طرفي المعركة كانا متفقين أو كالمتفقين على الاسس الاخرى من ناحية ضمان الشريعة لحقوق المرأة ومركزها وتعليمها والدعوة الى ذلك أولا والاعتراف بان ما هي فيه من مركز غير مستعجب هو مناقض لنصوص الشريعة وروحها ثانيا ولما كانت عليه حالة المرأة المسلمة في عصور الاسلام الذهبية ، ثالثا . وهذا بما ساعد ولا ريب على انحلال تلك العقد وزوال كثير من تلك العادات والذهنيات البغيضة .

ونستطرد الى القول ان الذين نسبوا الحجاب او بتعبير ادق النقاب الى اصل ديني وقرأني حلوا النصوص ما لانتحل، وغفلوا عما كان عليه الامر في صدر الاسلام الذي كان هو الاقرب عهداً وفيها للقرآن ، ولم ينفذوا الى ما هناك من تعارض وتناقض بين ما قرروا بحق من صلاحية الشريعة الاسلامية للخلود وتمشيتها مع كل زمن ومكان وبين فهم كونها قد فرضت ازياء واشكالا خاصة في اللباس لا يمكن ان تنفلت من نواميس التبدل والتغير والتطور فالايات القرآنية لم تكن في صدو فرض زي خاص للمرأة المسلمة ثابت على الدهر ، وانما هي في صدو ظروف خاصة في زمن خاص لمصلحة خاصة أو في صدو الحث على التعفف والاحتشام والابتعاد عن مواقف الريبة والاذى أو في صدو تنظيم دخول الناس على بعضهم كما يمكن ان يظهر ذلك واضحا لكل من يعمن النظر فيها، ثم هي ليست على كل حال في صدو لف المرأة المسلمة بذلك اللفاف الذي سمي بحق الزكبية . وتنقيب وجهها بالنقاب وهو

الذي كان موضوعاً من مواضيع المعركة والذي لا يمت باي سبب الى صدر الاسلام وانمسا هو زي خاص ظهر في بعض العصور الاسلامية المتأخرة (١) والروايات والكتب التي وصلت اليها عن ذلك الصدر بصورة لا تقبل التأويل والمماثلة بأن المرأة المسلمة في القرن الاسلامي الاول لم تكن متلففة ولا متنقبة وانها كانت ترى الناس ويراها الناس وتحضر مجالسهم ويحضرون مجالسها ، ومن النساء من كن يعقدن في بيوتهن مجالس الادب ويتزعمن الحركات والاحزاب السياسية والحربية ويشغلن حيزاً واسعاً في مجال الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والادبية ومن هؤلاء من هن من أقرب الناس الى النبي كعائشة وسكينة . هذا عدا ان كثرة النساء المسلمات الساحة كن وما زلن سافرات مشاركات للرجل في جميع مجالات نشاطه دون أي انكار وجدال ونعني بهن سكان القرى والارياف ..

- ٥ -

فوز الدعوة السوفورية

ولقد تطورت الحالة بعد الحرب العالمية الاولى تطوراً عظيماً ، حيث هزت الحرب الناس هزاً عنيفاً وجعلتهم يرضخون للواقع في كثير من وسائل الحياة ومظاهرها ، واتسع نطاق التعليم وشمل الفتيات بنفس السعة تقريبا التي شمل بها الفتيان ، واخذ المتشددون يتوارون طبقة بعد طبقة ، وانصار المرأة وسفورهاها وحقوقها يكثرون يوما بعد يوم بالمقابل ، وكان فيما كان بعد الحرب المذكورة الانقلاب الكمالي الذي نسب فيما نسب الحجاب ، وتابعت ايران تركية في ذلك ، فكان هذا كله مما هباً الميدان لنجاح معركة السفور عملياً في بلادنا بعد ان كان يجها نظرياً قبل الحرب المذكورة .

وقد كانت مصر وخاصة القاهرة الميدان الاوسع للتنفيذ قبل الحرب العالمية الثانية . وقد تأتى هذا عن اسباب عديدة ، فقد كانت القاهرة متفوقة على العواصم العربية الاخرى في الكثافة والثقافة والصحافة والحيوية والحركة النسائية ، وكان زعيم حركتها الوطنية الاكبر سعد زغلول (٢) من انصار المرأة وسفورهاها فاستغل زعامته

(١) اقرأ رسالتنا القرآن والمرأة .

(٢) كان سعد من اقوى انصار قاسم امين صاحب كتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة الذين كان اصدارهما في وقت صدورهما عملاً جريئاً عظيماً حتى لقد اهدى قاسم كتابه تحرير المرأة اليه .

القوية الشعبية ودفع السفور الى الامام دفعة قوية في سنة ١٩٢٢ (١) حيث مزق بيده في احد المواقع الوطنية انقبة بعض النساء ، وحيث كانت زوجه قدوة لغيرها . وحيث اخذت حركة السفور بعد ذلك في القاهرة والاسكندرية تتسع وتتقدم بخطوات واسعة ، حتى لقد شهدنا المعرض الزراعي الصناعي في القاهرة سنة ١٩٣٣ فلاحظنا ان النساء السافرات كن كثيرات الى درجة كان عدد المنقبات من النساء قليلاً جداً بالنسبة اليهن ، وقد ابدينا ملاحظتنا بذلك الى بعض اصدقائنا المصريين فقال ان هذا محصول ست سنين فقط ، وان النساء السافرات كن هن النادرات في المعرض الزراعي الصناعي الذي اقيم في نفس المكان قبل ست سنين .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فاثرت هي الاخرى تأثيرها القوي العنيف واخذت خطوة السفور في مصر تتسع اتساعاً عظيماً بحيث يمكن ان يقال ان السفور في مصر قد توطد وكاد يغدو مألوفاً في المدن ، وإن المرأة المسلمة المصرية قد اخذت تبرز سافرة في المحافل والمشاهد على اختلاف انواعها الى جانب الرجل دون ما حرج ولا تحفظ واذا كان بقي في المدن نساء منتقبات أو غير بارزات فان هذا بقية من مظاهر استمرار التقليد في الاوساط المحافظة ، وهذا المظهر ما زال موجوداً في ترقية مع ان السفور والبروز فيها موطنان رسمياً ، وقد اخذت بلاد الشام والعراق تخطو هي الاخرى خطوات واسعة في هذا الميدان حتى غدا السفور في مدنها وخاصة في كبرى مدنها مألوفاً وحتى لم يعد من حرج ولا تحفظ فيها من بروز المرأة سافرة في المحافل والمشاهد على اختلاف انواعها الى جانب الرجل مثل اختم المصرية ، وقد غدت المسألة مسألة وقت اكثر منها مسألة فكرة ليكون السفور عاماً في المدن العربية كما هو الأمر في تركيا وايران والباكستان والهند واينديونيسيا وبلاد البشناق والقازان . وقد خصصنا المدن بالذكر لان المرأة العربية المسلمة في اريف سافرة بارزة منذ الاصل ومشاركة للرجل في مختلف مجالات النشاط .

(١) هذا العمل كان قبل الانقلاب الناصبي الكهالي في تركيا

بين الانطوائ والاثارة

وقد أصبح من الواجب التفكير في النهج الذي يجب أن يسار عليه بعد أن وصل الامر الى هذا الطور ، فهناك فريقان من الامة يقف كل منهما في طرف ، احدهما ينعى السفور وما اخذ يستتبعه من الدعوة الى فتح كل باب للمرأة وانطلاقها في كل مجال ومزاحمتها للرجل في كسبه ومجال نشاطه وتطلعها الى مشار كته في كل شيء ويدعو الى ابقائها في حدود بيتها . وثانيها يندد بذلك ويقرر المساواة التامة بين الرجل والمرأة في المواهب والقابليات والحقوق الخاصة والعامة وحققها في الاستمتاع بكل ما يستمتع به الرجل من هو وجد ويرى في تقيدها ومنعها عن ذلك عدوانا لامبور له .

هدى القرآن في موضوع المرأة

أما أن المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات الخاصة والعامة وفي الاهلية المدنية التامة فما لا سبيل الى انكاره كما لا سبيل الى انكار ما يستتبع هذا من كونها ركنا مساويا له في الدولة والمجتمع والاسرة ومن حقها في ممارسة تلك الواجبات والحقوق في مختلف المجالات الحكومية والشعبية والاجتماعية والاقتصادية وفي التهيء لها بنيل اقصى ما يمكن نيله من ثقافة فنية وعلمية ومهنية أسوة بالرجل دون قيد وشرط . وهذا مؤيد بالقرآن الذي هو نبراس المسلمين والذي خاطب المرأة بجميع ما خاطب به الرجل وكلفها بجميع ما كلف به الرجل من تكاليف دينية ودنيوية واجتماعية واقتصادية وسياسية وحملها تبعاتها المادية والمعنوية والدنيوية والاخرية واعتبرها تامة الاهلية والنصرف من الوجهة المدنية والمالية دون ما فرق ولا يميز عن الرجل .

على ان القرآن أوجب عليها الاحتشام التام في الزي واللباس امام غير محارمها من الرجال واتقاء اسباب الفتنة والاغراء والابتعاد عن مواقف الرية واجتناب كل ما يؤدي الى الانحراف والشذوذ ، ووجب على الرجل نفقتها في كل ظرف وحال ، واحتوى من التقارير والتلقينات ما ينطوي فيه تقرير كون ربوبية البيت والامومة والزوجية الصالحة الامينة من أهم مهامها ومجالاتها .

وجوب الاتقاد في الدعوة الانطلاقية وخطاها

فمن الواجب والحالة هذه ان ينشد دعاة الانطلاق في دعوتهم الى الانطلاق دون قيد وشرط وتحفظ وترو وفي جميع مجالات الجسد واللب والكل الاتقاد . ولا سيما انهم يعرفون من دون ريب ان ادباء الغرب وعلماء قدماءوا المكتبات وشغلوا المطابع بما كتبوه ويكتبونه منذ أمد غير قصير في موضوع المرأة وما كان من انطلاقتها المفرط من آثار في حياة المجتمع والاسرة وما كان منه وما يكون من فواجع دامية ووقائع حاطمة ، وما عاد على المرأة نفسها من جرائمه من أخطار واضرار وما تعرضت له من مآزق وعقد ومشكلات ، وما انفتح على المجتمع منه من ابواب الاباحة والفوضى والمفاسد وزعزعة بنيان الاسرة والمشاكل الاقتصادية العامة والخاصة من جراء مزاحمة المرأة للرجل في ميادين الاعمال حتى الشاقة منها واخلو البيت من ربه وحرمان الطفل من عاطفة امه وعنايتها والجنوح الى التفلت من الحياة الزوجية وقبورها الخ ..

ولقد أخذت بوادر هذا كله وآثاره تبدو في بلادنا نتيجة لتيار الغرب والدعوة الانطلاقية وخاصة في مصر التي كانت الميدان الاوسع لخطوة السفور حيث أخذت طبقته الرفيعة تسبغ الاختلاط الواسع والتبرج الشديد والمشاركة في المسابح والمراقص والملاهي والمعاورة وحيث أخذت تقع المآسي الاسروية وحيث بات الحوف يساور الناس من اشتداد التيار وعدواه للطبقات والبلاد الاخرى .

واخوف ما يخاف منه ان تنخدع المرأة العربية بالدعوة الانطلاقية التي فيها على كل حال دعوة الى حريتها وحقوقها فلا ترى جوانب الاخطار والاضرار والمتاعب التي نكتنفها ولا تلبث ان ترى نفسها في وسط بلائها .

وهذا بما يجعلنا نلح على أصحاب الدعوة الانطلاقية بالاتقاد والتدبر في الامر وأن يجتهدوا في ما كان في الغرب وفيما أخذ يكون عندنا عظة ونذيراً . وعليهم أن يذكروا انه مهما كان المرء نواقاً للتمتع بالحرية والانطلاق فان ذلك لن يتيسر له بسبب ما تملأ الحياة الاجتماعية من عقد واعتبارات لا سبيل الى تجاهلها ، ولن يتسنى للمرء أن يحمل الناس على احترام حقوقه وكرامته وان يحتفظ بينهم بحسن الاحدوثة

والاعتبار لمصلحته المادية والمعنوية معاً الا اذا راعى ظروفاً كثيرة هي التي تلي على البشرية أن تضع قوانينها ونظمها وتقاليدها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والسلوكية . ومهما قال الانطلاقيون فانهم لن يستطيعوا أن يكابروا في أن الطبيعة قد جعلت لكل من الرجل والمرأة وظيفة مختلفة وان هذا يقضي بان يكون لكل منهما خصائص وتقاليد ومجالات خاصة دون أن يكون في هذا الاختلاف ضير أو هضم أو إجحاف لانه يمت الى الاختلاف الطبيعي الموجود بين الاثنين ، ولانه شرع على السواء لكل منهما حيث يبيع لكل منهما ما يبيع ويوجب على كل منهما ما يوجب ، على ان هذا لا يعني حرمان المرأة من الاعتبار والاحترام وممارسة الحقوق والواجبات لان ذلك مضمون لها في شرعنا .

- ٩ -

مصراعمة المرأة المرحل في الكسب وآثارها

والدعوة الى فتح مجال الكسب على مصراعيه للمرأة ذات وقع خلاب لها ، غير ان من الواجب ان يذكر الداعون الى ذلك ان في هذا تضيقاً على الرجل في ساحة عمله واحتمالات كسبه ومقاديرها بالنسبة لبلادنا التي ما تزال مجالات الكسب ضيقة فيها . وفي هذا في نفس الوقت تضيق على الزوجة والاولاد الذين حملت تقاليدنا واجب الاتفاق عليهم على الرجل اولاً ، وصرف للرجل عن انشاء اسرة لما يكون في حاجة الى نفقات لا تتحملها ظروف ساحة كسبه الضيقة ثانياً ، وتحميل للمرأة عبء اعالة نفسها دون ما ضرورة لانها واجدة من يضمن لها ذلك ثالثاً ، وصرف لها عن التقيد بقيود الاسرة واغراء لها بالانطلاق من هذه القيود رابعاً ، واثقال كاهلها بعبء تنوء به عاجلاً او آجلاً ويفقد لها مزايا عظيمة تتسق مع طبيعتها الجنسية خامساً . وفي كل هذا ضرر بين على الرجل والمرأة والمجتمع على السواء .

ونستدرك بأن ما نقرره هو ما يجب أن يكون قاعدة عامة وما هو من نتائج فتح باب العمل للمرأة على مصراعيه ، وانه لا يسري على ما يمكن ان يكون هناك من ضرورات وظروف تجعل بعض النساء مضطرات الى العمل ، أو على ما يمكن ان يكون هناك من ميادين تكون المرأة فيها أوفر استعداداً للعمل فيها . فليس في هذا وذاك مانع وضرر بطبيعة الحال وخاصة اذا سار في حدود القصد والاعتدال

اضطراب الافراط في الاختلاط

والافراط في الاستقبال والقبول والاختلاط في جميع المجالات وخاصة مجالات اللهو والملاهي والمسارح والمراقص والمساح والمنازه والحلوات والتبرج يؤدي من دون ريب الى اغراء الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ، وقد يسوق كلا منها الى نسيان ما عليه من واجبات وما هو مقيد به من روابط وعقود اولا ويسبب المآسى والنكبات الهادمة لبنيان الاسرة ثانيا . ويجب ان نتذكر في هذا المقام حقيقة لا يصح المسكوت فيها وهي ان الرجل بطبيعته هو المهاجم وكثيراً ما يكون طالبا لتطين هذه الطبيعة دون ان يهتم للظروف والعقود والنتائج . وقوته وطبيعته الجنسية تجعلانه في نجوة من السقوط وسوء العاقبة في اغلب الوقائع والحوادث ، والضرر والشر من هنا الافراط واقعان على الفتاة قبل الرجل كما هو واضح . وهذا فضلا عما يؤدي اليه من نفقات عظيمة ينوء بها اكثر الناس وقد يسوق في ظروف كثيرة الى الآثام والجرائم الاخلاقية والاجتماعية .

ولقد أخذت عادة التأخر في الزواج تنفشو بين الشباب . ومع ان الغلو في المهور والامراف في الاعراس اسباب مهمة لذلك فان للافراط الذي نحن في صده دخلاً قويا فيه ايضا ، حيث يفسح المجال لكثير من الشباب للاستمتاع البريء وغير البريء بما يجعله غير متعجل للزواج . وما يجدر التنبيه عليه هنا هو ان رغبة الفتيات في الحياة الزوجية اشد من رغبة الفتيان ، وان كثيراً من الشباب لا يتورعون عن استغلال هذه الرغبة في ذلك الاستمتاع بما يكون وبالعلى الفتاة في الدرجة الاولى .

التقاليد والفروع القومية في كل ما ينصل بالمرأة

من اجل ذلك كله يجب ان يكون لنا تقاليد نسير عليها في جميع الشؤون المتصلة بمركز المرأة في الدولة والمجتمع والامرة سواء كان ذلك في صدد ممارسة الحقوق والواجبات ام في صدد البروز والمظهر والعمل ام في صدد صلات الرجل بالمرأة وصلات المرأة بالرجل وحياتها الزوجية ومملكتها البيئية . وفي القرآن طائفة

من الآيات والاحكام تلهم وتقرر ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات خاصة وعامة في الدولة والاسرة والمجتمع وما يجب ان يكون هناك من حدود وآداب في صلات الرجل بالمرأة وصلات المرأة بالرجل وقد جاءت باسلوب حكيم رافع وصالح لكل ظرف وزمن . كذلك في السنة النبوية وفي تقاليدنا القومية وفي سجايانا وارواحنا ما يمكن ان يلهمنا شيئا غير يسير ليكون لنا منها التقاليد المنشودة . يضاف الى هذا وذاك ما يجب ان نستخلصه من العظة في تجارب الامم وشكاواها وتحذيراتها ايضا .

وها نحن اولاء نورد فيما يلي ما نعتقد انه يصح ان يكون تقاليد قومية لنا متسفة مع منابغنا وروحنا ومصالحنا القومية والاجتماعية :

اولا : في الازياء والاجتماعات

- ١ - لا مانع من ظهور المرأة العربية سافرة .
- ٢ - يجب عليها ان تحتشم في ثيابها وزينتها وتستتر مفاتها حينما تكون تحت انظار غير محارمها من الرجال . ويحسن ان تحمر وأسها بنهار وان يكون لها رداء خارجي للصيف وآخر للشتاء سابغان كزري قومي للخروج والاختلاط .
- ٣ - لا ينبغي لها قط ان تراقص الرجال ولو كان في مرقص خاص .
- ٤ - لا ينبغي لها قط ان تغشي الحانات واماكن اللهو المريبة ولو كان معها محرم
- ٥ - يجب ان تمتنع عن تعاطي المسكرات في اي حال . والاحشم والاكرم لها ان لا تدخن .
- ٦ - لا ينبغي ان تشترك في المسابح والرياضات عارية أو شبه عارية مختلطة مع رجال غير محارم لها .
- ٧ - لا ينبغي ان تشترك في رحلات ونزهات مختلطة الا ومعهما احد محارمها .
- ٨ - لا ينبغي ان تقوم بأسفار طويلة وبعيدة الا ومعهما احد محارمها .
- ٩ - لا مانع من شهودها المشاهد والحفلات والاجتماعات العامة البريئة بزيا المحتشم . ومن المستحسن ان يكون معها احد محارمها .
- ١٠ - لا مانع من استقبالها رجالا غير محارمها ولا من زيارتها لهم واجتماعهم لمقاصد العمل والنشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بزيا المحتشم .

وثانياً في صدد الحقوق والواجبات العامة

١ - المرأة والرجل متساويان في جميع الحقوق والواجبات العامة باستثناء ما ورد فيه نص قرآني او سنة نبوية ثابتة .

٢ - للمرأة الحق في ان تنال كل ما تقدر عليه او تريده من انواع الثقافة والفنون وان تشجع على ذلك ويفسح مجاله لها دون قيد وشرط .

٣ - للمرأة الحق في ممارسة جميع الاعمال الاجتماعية والسياسية الرسمية وغير الرسمية بما في ذلك الحياة النيابية مع الرجل وان تشجع عليها كل التشجيع وان يفسح مجالها لها دون قيد وشرط .

وثالثاً في حياة الامرة

١ - يجب التذكير في الزواج والاهتمام لانشاء الاسر .

٢ - يجب الكف عن الغلو في المهور والاسراف في نفقات الاعراس .

٣ - لا مانع من رؤية الخطيبين لبعضها واجتماعها قبل العقد ضمن القواعد التي مرت في الفقرة الاولى بل ويجب التشجيع على ذلك .

٤ - يجب العدول بالمرءة عن الزواج الغيبي والاجباري بالنسبة للفنئ والفتاة على السواء .

٥ - المرأة هي ربة البيت والرجل هو المكلف بالانفاق .

٦ - للمرأة على زوجها ما لزوجها عليها من حق التكريم والرعاية والأمانة والصيانة والمساعدة والتوفيه .

٧ - قوامه الرجل على المرأة لا تعني السيطرة والتحكم والاستبداد والحرمان وانما تعني الحماية والمساعدة والصيانة والانفاق .

٨ - يجب على الزوجين ان يهتما لجعل البيت مصوناً محتوماً متمتعاً بما يمكن من اسباب الراحة ووسائل التوفيه .

٩ - يجب على الزوجين ان يهتما لتربية اطفالهما تربية قومية وخلقية واجتماعية صالحة وان يكونا لهم الاسوة الحسنة في كل ذلك .

١٠ - يجب ان يكون المثل الاعلى للمرأة ربة بيت حكيمة واماً بارة وزوجة امينة صالحة . وان يكون المثل الاعلى للزوج زوجاً اميناً كريماً واباً عطوفاً .

١١ - يجب ان تكون جميع مسائل الطلاق والتعدد منوطة بالحكم وان لا ينفذ أي شيء منها إلا بعد الحكم وان تكون الاحكام متسقة مع النصوص التي لا تبرر التعدد إلا في حالة القدرة والضرورة ولا تقرر الطلاق إلا إذا قصد به الفراق وبعد تعذر الوفاق في نطاق تلقينات التروي والمهل الواردة في القرآن والسنة .

ورابعاً في الحياة الاقتصادية

١ - للمرأة الحق التام كالرجل في احتياز الثروة والملك وتنميتها والتصرف فيها حسبما يتراءى لها فيه مصلحتها .

٢ - للمرأة الحق التام في نيل استحقاقها في الارث وفق الأحكام الشرعية القائمة على غاية الحكمة والعدل .

٣ - للمرأة الحق في تعلم المهنة والفنون التي تمكنها من العمل والتكسب على مختلف الدرجات والانواع . ومن المستحسن ان تتجنب ما هو شاق مذهب للانثوية ومشاهدها منها .

٤ - العمل للمرأة في دوائر الحكومة وغيرها يجب ان يكون مقيداً بالقيود التالية :

آ - ان لا يكون لها ثروة وإيراد خاص يكفلان لها معيشة معتدلة .

ب - ان لا يكون لها من هو مكلف باعالتها ونفقاتها وقادر عليها ضمن حدود الاعتدال .

ت - ان يكون لها امرة محتاجة الى مساعدتها .

ث - من المستحسن ان تعمل المرأة التي تحتاج الى التكسب في ساحات التعليم والتربية والطبابة والكتابة والمحاسبة والصيدلة والحمامة والبيع والصحافة في الدرجة الاولى دون الاعمال الشاقة المذهبة لانوثتها .

ج - ان لا يحول عملها دون واجباتها في بيتها ونحو زوجها واطفالها .
وانا لنرجو مخلصين من كل مسلم وعربي ان يجعل هذه القواعد وما يدخل في معناها ومدادها نصب عينه ، وان يدعو اليها غيره ويبث فكرة التمسك بها ويقف الموقف الحق الخالص في الدفاع عنها ، كما نرجو ان تشغل حيزاً مهماً في مناهج منظماتنا القومية والاجتماعية والحكومية ايضاً .

نوجه ونحذير فخاصه بالمرأة العربية

وهذا الرجاء موجه في الدرجة الاولى الى المرأة العربية لأنها موضوعه الخاص، وهي هدف ما ينجم عن الشذوذ عن مداه من ضرر وخطر ومتاعب ومشاكل قبل غيرها . وعليها ان تتروى في الامر وان لا تنجر في تيار التقليد الغربي الذي اخذ يجرف بعض الفئات الارستوقراطية في مصر خاصة ، وان لا تتخضع بما يساق من الحرية والانطلاق التام ، وخاصة ان كل ما صار له من اثر هو الانجراف بذلك التيار وحسب .

وكلمة اخيرة يجدر ان نوجهها الى المرأة العربية . فتقرير حقوقها وواجباتها في الدولة والمجتمع لا يكفي لممارستها تلك وقيامها بهذه بسبب ما طرأ على تلك الحقوق وهذه الواجبات من شوائب متنوعة المدى ومفاهيم متعاكسة خلال القرون التي تلت عصر الاسلام الذهبي ، وان الامر ليجتاح الى إعداد واستعداد للممارسة والقيام من جهة وسعي وجد في سبيلها من جهة اخرى . ورغم ما اتيح للمرأة العربية من فرص التعليم والنشاط وما كان من كثرة عدد المثقفات فان الحركة النسوية العربية ما تزال ضعيفة ضيقة النطاق بل نكاد نقول انها ما تزال عملية تفكيه وترفيه اكثر منها عملية جادة تستهدف اهدافاً خطيرة وفي طريقها عقبات كثيرة حتى في مصر التي يبدو أن الحركة النسوية فيها اقوى منها في غيرها من الاقطار العربية . وهذا فضلاً عن انهاك الكثرة من المثقفات في اللهو والالعاب والمظاهر والسفاسف مما جعل كثيراً من الرجال لا يثقون بهذه الحركة ولا يعولون عليها .

فعلى المثقفات من نساء العرب ان يضعن ذلك كله نصب اعينهن ، وان يوقن ان كل ما يمكن ان ينتظره من انصار حر كتهن هو المساعدة والتشجيع وفسح المجال ، وان العبء الاعظم إنما يقع عليهن ، وان عليهن ان يجددن ويدأبن بقوة وسعة في سبيل الاستعداد لممارسة الحقوق والقيام بالواجبات من جهة وفي سبيل إقارهما للمرأة العربية من جهة، وفي سبيل بث الثقة في حر كتهن وفي انصارهن بل وغيرهم وكسبها من جهة .

الفصل الثامن

مسائل القرية والبادية والعمال ومشاريع البر والمعاونة الاجتماعية والصحية

- ١ -

وبما يجب ان تشتد الدعوة الى الاهتمام به مسائل القرية والبادية والعمال ومشاريع البر والمعاونة الاجتماعية . فهذه الشؤون تتصل كما هو واضح بينان الامة وكيانها لانها متصلة بغالبية افرادها . وستظل الامة مرتكسة فيما هي مرتكسة فيه الى ان تعالج هذه الشؤون معالجة ناجعة وشافية .

- ٢ -

حالة القرية والفلاح

فالقرى التي فيها مدراس مازالت اقل بكثير جداً من التي ليس فيها حتى لتكاد النسبة في بعض اقطارنا تكون واحداً الى عشرة ولا تزيد في احسن الحالات عن واحد الى اربعة . وهكذا ينشأ اطفال اكثر القرى جهلاء ويقضون اعمارهم في حياة الجبل والغباء ، فتتطفئ مواهب كثير من ابناء الامة وتهدر قواهم وحيويتهم .

وكثير من القرى بل اكثر القرى ما يزال محروماً من المياه الصالحة للشرب ومن وسائل الصحة والعلاج والوقاية كما أن مساكنها محرومة من اسباب الراحة والصحة . وبهذا يتعرض ابناءؤها لمختلف الامراض والعوارض .

وما تزال القرية متأخرة جداً في اساليب الزراعة والصناعة الزراعية الحديثة . وتوزيع الاراضي ما يزال يمت الى الاساليب الاقطاعية باقوى الاسباب حيث تكون اراضي القرية أو قسم كبير منها ملكا لكبار الملاكين في اكثر الاحيان فلا يكاد فلاحها ينال ما يقيه من الموت من جاف المأكل وزري الملابس وزريبة المسكن الا بشق النفس .

والامراض المحلية والمزمنة والسارية على اختلافها تنهك قوى الفلاح وتفثك فيه فتكاً ذريعاً .

وشأن القبيلة العربية كشأن القرية العربية من حيث الاهمال والحياة

أو أشد ، وتزيد عليها بالحياة القلقة المضطربة التي تحياها والتي تضعف حيويتها وتجعل التماسك بينها وبين سائر وحدات الامة مفقوداً وحالة القبيلة هذه في بعض افطارنا خطورة شديدة من حيث كثرة القبائل فيها وبلوغها في النسبة الى مجموع السكان درجة عالية .

- ٣ -

مادة العمال

والعامل العربي كالفلاح العربي لم ينل ما ينبغي ان يناله من العناية والاهتمام . فمستواه المادي منخفض وحياته البيئية بائسة ومسكنه رديء ، وعرضة للاستغلال والتعطل ، ومستقبله ومستقبل امرته غير مضمون ، ولم توفر له ولها أسباب العلاج المجاني ، وليس لهم قدرة على دفع نفقات العلاج ، واولاده في الاعم الاغلب محرومون من فرص التقدم العلمي والنفسي .

- ٤ -

مادة مشاريع البر والصحة

وما في الافطار العربية من ملاجيء ومبائم ومستشفيات وعبادات مجانية ومؤسسات إحسان وتفريج وضممان اجتماعي ضعيف جداً لا يمكن أن يسد حيزاً ذابال من الحاجة . ومع ان هناك التفاناً الى هذه الامور اكثر من ذي قبل انسباقاً وراء التيار العالمي العام فان ما فعل في هذا المجال لا يكاد يعدو التفكه ولا يزال بعيداً جداً عن تحقيق الغاية أو السير في سبيل ذلك والوصول اليه في مدة قصيرة فضلاً عن أن بعض البلاد لم تكد تخطو خطوة ما في هذا السبيل .

فالواجب يقضي الالتفات الى هذا الامر بعين الجد ووضع مناهج شاملة والسير حثيثاً في سبيل تحقيقها في أقصر مدة ممكنة ، واعتبار ذلك واجباً قومياً عاداً وجوبه الاجتماعي والانساني .

ولا يتسع الكتاب لفصيل المذاهج حيث يتجمل ذلك كتاباً بل كتباً خاصة ، ولكننا نرى أن نورد بعض الخطوط التي تعن لنا في هذا الباب .

ماذا يجب ان نفعل في مجال القرية

ففي مجال القرية :

١ - يجب ان يجعل الفلاح صاحب ارض حتى يستطيع أن يشعر بالاستقرار والطمأنينة ، ولا تهدر انعايه ويتخلص من بؤس الحياة التي يتمرغ فيها . ويجب ان يساعد مالياً وبقرروض طويلة الامد على تأسيس العمل وتسييره والخطوة التي خطتها الجمهورية التركية في هذا الشأن والتي سيرد تفصيلها في فصل آت جديدة بالاقتراس في هذا المجال .

٢ - يجب ان يدخل نظام البناء والمهندسة الحديث على القرية .

٣ - يجب ان يكون في كل قرية مدرسه وأن يكون لكل مجموعة من القرى المتجاورة مدرسة داخلية زراعية وصناعية وان يفسح المجال لابناء القرى الناهين ليسيروا على حساب الدولة في اشواط التعليم العالي مجاناً .

٤ - يجب ان يكون في كل قرية كبيرة او متوسطة ما يسمى اليوم بالمجموعة الاجتماعية التي تشتمل على عيادة وصيدلية وقابلة وممرضة ومرشد اجتماعي وأن يكون مثل هذه المجموعة لوحدات من القرى الصغيرة المتجاورة ايضاً .

٥ - يجب أن تكافح الامراض المحلية والسارية في القرى مكافحة شديدة وان تزال اسبابها .

٦ - يجب ان تبذل العناية للمناحية الجمعيات التعاونية التي يمكن ان يعود منها فوائد عظيمة من حيث الانتاج والتصدير والطرائق والوسائل الفنية ووقاية الفلاح من المرابين والمستغلين ، وان تعمم حتى تشمل جميع القرى .

٧ - يجب ان ترتب دورات متابعة للمحاضرات الاخلاقية والاجتماعية والصحية والفنية والقومية استهدافاً لبث الوعي القومي وتقويته وتركيزه والدعاية للصالح الاخلاقي والاجتماعي والصحي والفني .

٨ - يجب ان يكون في كل قرية مسجد يتولى امره رجل نير ونابه .

٩ - يجب ان تسن قوانين وانظمة كفيلة بتحقيق هذا المنهاج وان تحتوي هذه القوانين فيها تحثويه ايجاب قيام هيئة مسئولة في كل قرية تحت طائلة الجزاء .

١٠ - يجب ان يفسح المجال لمشاركة ذوي العقل والنباهة من القرويين في الحياة العامة وان تمثل القرية تمثيلاً صادقاً في مؤسسات الدولة المتنوعة فلا تظل تلك الحياة وهذه المؤسسات وقفاً على ذوي الجاه والثراء والالقب والاقطاع من ابناء المدن والقرى .

وهذا المنهاج صالح للتطبيق بشيء من التعديل على البدور ايضاً مع العناية الشديدة في تحضيرهم .

- ٦ -

ماذا يجب ان نعمل في مجال العمال

وفي مجال العمال :

١ - يجب من القوانين القويمة التي تحمي العامل من الاستغلال والاطار وتضمن له حق الحياة المعقولة في المسكن والمطعم والملبس والعلاج والوقاية والترفيه كما تضمن هذا الحق له في الشيخوخة ولارملته وايتامه بعد موته .

٢ - يجب ان تشجع الحركة التعاونية والنقابية العمالية تشجيعاً قوياً بحيث تشمل جميع العمال على اختلاف الاعمال وتمنح التشكيلات التعاونية والنقابية المنح والمساعدات المختلفة التي تمكنها من النجاح في اهدافها المتنوعة .

٣ - يجب ان يكون في كل مدينة مدرسة صناعية متوسطة .

٤ - يجب ان يمكن الناهون والاذكياء من ابناء العمال من السير في اشواط التعليم العالي مجاناً .

٥ - يجب ان يعتنى بتنوير اذهان العمال بالمحاضرات الاخلاقية والاجتماعية والصحية والثقافية وان يساعدوا على تأسيس اندية لهم يقضون فيها اوقات فراغهم فيما يفيدهم ثقافياً ورياضياً واجتماعياً .

٦ - يجب ان يشجعوا على المشاركة في الحياة العامة وان يفتح المجال لاذكيائهم وعقلائهم في هذه الحياة وان يمثلوا في مؤسسات الدولة المتنوعة تمثيلاً صادقاً .

٧ - يجب ان يساعد العاطلون منهم على الحياة وعلى العمل معاً .

ماذا يجب ان نفعل في سبيل مكافحة الامراض ومعاونة المحتاجين المعجزيه
وفي مجال مكافحة الامراض :

- ١ - يجب ان تكثر المستشفيات والعيادات في المدن الكبيرة والصغيرة على
السواء حتى تسد حاجة الناس على حساب الدولة وان تجهز بما تحتاج اليه من وسائل
الطب الحديثة والاطباء الاختصاصيين .
- ٢ - يجب ان يجبر الاطباء على حسن التوزع في انحاء البلاد كخدمة إجبارية .
- ٣ - يجب ان تحدد اجورات المعالجة تحديداً معتدلاً لا يعجز عنه متوسط الحال .
- ٤ - يجب ان تبذل العناية الكبرى لمكافحة الامراض المحلية والسارية وازالة
اسبابها في الريف والمدن على السواء .

وفي مجال البر والمعاونة الاجتماعية :

- ١ - يجب ان تنشأ في المدن الكبيرة والمتوسطة ملاجئ متنوعة لفقراء العجزة
والشيوخ والزمى وذوي العاهات والايتم والعميان بحيث تسد الحاجة وتحتفي
المنابر التي تجرح الكرامة والانسانية بما تقع عليه العين في كل قرنة من كل مدينة
من المدن العربية .

- ٢ - يجب ان يرتب لاسر فقراء العاجزين والشيوخ والزمى وذوي العاهات
والارامل مخصصات شهرية تضمن لهم حياة معقولة .

- ٣ - يجب ان يعالج الفقراء والمعوزون مجاناً في المستشفيات والعيادات وان
يمنحوا ما يحتاجون اليه من علاج مجاناً وان يساعدوا على المعيشة طيلة عطلتهم
بسبب المرض .

ولا يقولن قائل إننا نضرب في بيداء الخيال ، وان الكتابة ورسم الخطط شيء
والتنفيذ والعمل شيء آخر . فما نرمسه ليس خيالاً ولا متعديراً . وقد حققه غيرنا
تحقيقاً كاملاً وقريباً من الكمال . ولسنا من جبلة اخرى ، ولا بنقصنا ما فيهم من
مواهب وقابليات وما عندهم من إمكانيات ، وكل ما نحتاج اليه عزيمة صادقة وجلد
وإخلاص وحسن ادراك للواجب ، وهو ما يجب ان تشدد الدعوة اليه .

محب على الاغنياء والنادريه تغزبه صابريه الاصم

وطبيعي ان هذه المناهج تحتاج الى المال . وبالرغم من فقر سوادنا الاعظم فان في كل بلد من بلادنا طبقة قادرة على الدفع بحيا بعضها حياة فيها من البذخ والترف ما يصل الى السفة تستطيع ان تسد فراغ المال ويجب ان تسده .

ولقد كثر ما قرأنا وقرأ الناس ان بعضهم في مصر مثلاً يقيم حفلة تكلفه آلاف الجنيهات ، وينفق على تبغه وسياراته ومشروباته وزينته وزهوره وكلابه ولعبه فضلاً عن ثيابه وخدمه وحشمه شهرياً مئات الجنيهات ، وان آلافاً من الاغنياء يغادرون مصر سنوياً الى مغاني اوربا ويبلغ ما ينفقونه فيها عدداً غير قليل من ملايين الجنيهات ، وان هناك من يخسر في سهرة ميسر واحدة العشرة آلاف والعشرين الف جنيه ثم يخرج هادىء الاعصاب كأنه لم يخسر الا جنيهاً او نصف جنيه وانه ليس من النادر ان تشتري وتهدى حلية واحدة لسيدة من السيدات او عروس من العرائس بقيمة خمسين الف جنيه او اكثر ، وانه ليس من النادر ان تبلغ قيمة حلى شلة من السيدات في حفلة من الحفلات الملايين من الجنيهات ، وانه ليس من النادر ان يكلف فستان واحد الفاً أو الفين من الجنيهات ، وانه ليس من النادر ان تشتري سيارات قيمة الواحدة أربعة آلاف أو خمسة أو ستة ، وان قيمة السيارات الملاكية في مصر تبلغ عشرات ملايين الجنيهات ، وان هناك طبقة من الناس يعيشون في قصورهم واثاثهم وتحفهم وخدمهم وحشمتهم ومراسمهم ولذائهم وحفلاتهم وسميرهم ولعبهم حياة الف ليلة وليلة ، وتبلغ نفقة الاسرة منهم الخمسين والمئة والخمسين الف جنيه في السنة ، وان هناك افراداً واسراً عديدة يصل رقم ايرادها أو ربحها السنوي مئة الف ومئتي الف واكثر من الجنيهات . وشيء من هذا ولونسياً موجود في لبنان في الدرجة الاولى وسورية والعراق في الدرجة الثانية بما يدل على ان هناك طبقة غير قليلة العدد قد استقطبت فيها الثروة والغنى بدرجة استقطاب الفقر والعوز في السواد الاعظم . وهذا الدليل قائم في توزيع الملكيات الارضية في الاقطار العربية حيث اثبتت الاحصاءات ان نحو عشرة آلاف شخص أو اسرة يملكون نحو نصف اراضي مصر الزراعية بينما هناك الملايين الذين لا يملكون حفنة

تواب ، وان في سورية اشخاصاً وامراً يملك الواحد منهم عشرات الآلاف واحياناً مئات آلاف الدوغمات في عشرات القرى بينما هناك مئات الآلاف الذين لا يملكون شيئاً . ومثل هذا في العراق وشي . منه في الاردن كذلك . فهذه الطبقات يجب ان تغذي خزينة الدولة ومشاريعها الاجتماعية والجيوية فضلاً عن مطالبها الاخرى لانها هي التي تنتفع في الدرجة الاولى بما توفره الدولة من الامن والسلام والنظام وحرية الاستمتاع ، وهي التي تسيطر على ثروة الدولة المنقولة وغير المنقولة وتتصرف فيها ، ويجب ان تجبر على ذلك . ولا ندعو في هذا إلى بدع ، فجميع بلاد العالم تأخذ به وتسير فيه . وهذه الطبقة في بلاد العالم تقدر هذا الواجب وتؤديه بطوع ورضى إلا في بلادنا حيث تنهرب منه ، واذا رأت احبانا ان تسير الظروف بالتبوع فيكون تبوعها تافهاً مع المنزّ والطنطنة والقاب المحسن الكبير وبقصد التولف إلى الرؤساء والكبراء وابتغاء تأمين المصالح والمنافع الخاصة ونيل الازمنة والالقاب التشريفة .

واقد بلغ من امر الضرائب التصاعدية في بريطانيا مثلاً ان يؤخذ من اليراد أو الربح الذي يصل مئتي الف جنيه مئة وتسعون الف جنيه . وليست بريطانيا هي المفردة في هذا الباب فجميع البلاد الغربية تسير على منوالها او ما يقاربه . وبذلك وحده يمكن ان تهيم الميزانيات الضخمة لمشاريعها المتنوعة حتى ليصل ما يصيب الفرد في بعضها مئة جنيه واكثر في حين لا يصيب الفرد في اكبر الميزانيات العربية عشرة جنيهات ومنها ما ينزل إلى نصف هذا الرقم . وحل هذه الميزانيات يسدها القادرون والاغنياء بطبيعة الحال . ولقد فرضت تركيه في أثناء الحرب ضريبة خارقة على الثروة بقيمة خمسة مليون ليرة لفقات الجيش وقالت ان السواد الاعظم يدفع ضريبة الدم بما يجتشد في الجيش من مئات الالوف من ابنائه فعلى القادرين والاغنياء ان يدفعوا ضريبة المال مقابل ذلك . وفي الغرب مشاريع خيرية كثيرة جداً تقوم على تبرع الاغنياء والقادرين في حين لا نكاد نستطيع ان نذكر مشروعاتها ما قام وعاش على تبرع اغنيائنا .

وهناك اعتبار آخر يجب ان يلاحظه اغنياء البلاد العربية وقادروها وان يحملهم على الدفع ، وهو ما تعج الافكار به اليوم من الدعايات المنبئة المنبهة الى مايقاسيه

قراء من بؤس وحرمان بسبب استغلال الاغنياء وجشعهم ، والى تحمة الترف
والبدخ وسفه التبذير الذي يرتكس فيه هؤلاء وما ينطوي في هذا من خطر وشر
عليهم . فاذا ما أدركوا هذا ودفعوا أمكن تهدة بال السواد الاعظم بما تقدمه لهم
الحكومات من خدمات تساعد على رفع مستواهم وتعليمهم وتربيتهم وتشغيلهم
وضمن الحياة المعقولة لهم في حالة امكان العمل والعجز عنه .

والامر أولا وآخرآ يحتاج إلى عزم وحزم وقوة ارادة ورغبة صادقة وبعد نظر
في من يتولى مقاليد العرب من رؤساء وحكومات ونواب . وهذا ما يمكن ان يكون
اذا ما اشتدت الدعوة اليه ووجه الوعي نحوه بما يترتب على شبابنا ومنظمتنا
وكتابتنا وخطباتنا ووعاظنا بحيث لا يبقى محيص لاولئك من التجاوب مع الدعوة
أو التخلي عن المقاليد الى من يتجاوب معها .



الفصل التاسع

نحو الوحدة العربية

- ١ -

ومن أهم ما يجب ان يشغل حيزاً مهماً في جهودنا ومناهجنا القومية مسألة الوحدة العربية بطبيعتها الحال . فهي من أهم اهداف الحركة العربية الحديثة . ولقد شرحنا في الجزء الرابع من هذه السلسلة ظروف قيام جامعة الدول العربية في سنة ١٩٤٤ وما كان من أثر ضعف بنية الامة العربية وضيق أفق رؤساء العرب وتغليبهم للاعتبارات الشخصية والاقليمية في ضياع الفرصة التي منحت ، وتطور المشاورات من مشاورات وحدة عربية الى نظام الجامعة الراهن الذي قصارى ما كان من فائده العملية تنسيق مواقف الحكومات العربية ازاء الاحداث السياسية العربية وغير العربية من آن لآخر تنسيقاً غير مضمون التنفيذ والتجاهل مع ذلك ، مع مشاهد ملهوسة البهة من التشاد والمكائدات في كثير من المواقف كمنظر من مظاهر المنافسات والاعتبارات الشخصية والاقليمية التي استحوذت على الرؤساء ، وبقاء اكثر مواد ميثاقها حبراً على ورق وعدم انجاز اي شيء ذي بال منها انجازاً ايجابياً وموفقاً .

- ٢ -

الوحدة منسقة مع شعور العرب ورغبتهم العامة

ولو استغفيت الشعوب العربية استفتاء حراً من الضغط والدسائس لجاءت النتيجة حتماً في جانب الوحدة المطلقة الشاملة . وإذا كانت ساكنة عما هو خلاف رغبتها واراقتها فان هذا السكوت مظهر من مظاهر جمود وعيها وسلبيتها التي المعذ لها في مطلع الكتاب واهينا بوجوب تقويته وتوجيهه .

وقد اقامت سورية على هذا الدليل الحاسم في الدستور الجديد الذي وضعته جمعيتها التأسيسية عام ١٩٥٠ حيث احتوت مقدمته هذه الفقرة : « ونعلن ان شعبنا الذي هو جزء من الامة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع الى اليوم الذي تجتمع فيه امتنا في دولة واحدة . وسيعمل جاهداً على تحقيق هذه الامنية في ظل الاستقلال

والحرية ، ، وحيث احتوى نص قسم رئيس الجمهورية والنواب الدستوري على العهد « بالعمل على تحقيق هذه الوحدة . » على ان هذا الدليل تقدم من سورية قبل هذا الظرف ايضا حيث كانت الوحدة العربية في الدرجة الاولى والاتحاد العربي في الدرجة الثانية مطلب الوفد السوري في مشاورات الوحدة العربية على ما ذكرناه في الجزء الرابع من هذه السلسلة ، وحيث كانت لرئيس جمهوريتها شكري القوتلي كلمة ذهبت مثلاً جاء فيها « ان سورية لن تقبل ان يرتفع على بلادها تلم آخر غير علم الوحدة العربية » .

وبما لا ريب فيه ان النظام الجمهوري الذي يقوم في سورية كان عاملاً مهماً ساعد على تقديم سورية هذا الدليل في كل موقف اقتضاها منذ عهدا الوطني الثاني، وان هذا النظام او كان قائماً في الاقطار العربية الاخرى لكانت ارادة الشعوب العربية فيها ظهرت قوية رائعة في هذه الوحدة ولكان في الامكان تحقيق هذا الهدف العظيم في هذه الحقبة من تاريخ العرب الحديث ولكانت كارثة فلسطين قد تفوديت في الوقت نفسه .

- ٣ -

معاكسة الوحدة او الاتحاد

والذين تتبعوا ظروف قيام الجامعة العربية يعلمون ان الملك السعودي جعل احتفاظ كل قطر من اقطار العرب التي كانت مدعوة للاندماج في حركة المشاورات بمجالاته الراهنة دون اي تبديل أو تغيير شرطاً أساسياً لاندماجه في الحركة وجعل ملك اليمن يتمسك بنفس الشرط ، ولم تندمج المملكتان السعودية واليمنية أو بتعبير ادق ملكاها في الحركة الا بعد تضامن ملك مصر معهما في هذا الشرط ، وظلوا يفضون في كل مناسبة وازاء كل حركة او رغبة تهدف الى تحقيق شيء من الوحدة او الاتحاد موقف الممانعة بشتى الوسائل .

دور مصر في امطانية تخفيض شيء، منه هذا الهدف

ولقد بدا من الملك فاروق من حسن الرغبة والاستعداد للاندماج في الحركة العربية والتشجيع عليها وحمل رجال الحكومات والاحزاب المصرية على السير فيها رغم عدم ايمان بعضهم بها وشعوبية بعضهم ما بعث التفاؤل والاعتباط ، غير

انه لم يبد منه اي حركة ايجابية في سبيل الوحدة او الاتحاد اللذين هما من أهم اهداف الحركة العربية إذا استثنينا الضمان الجماعي الذي شرحنا ظروفه ومداه في الجزء الخامس من هذه السلسلة والذي ما يزال حبراً على ورق بعد توقيع معاهداته الذي مر عليه نحو سنة ونصف مع اننا نعتقد ان دعوة وجهداً جديدين منه في سبيل الوحدة او الاتحاد يمكن ان يكون لها أثر ايجابي قوي في الاقطار العربية او بعضها على الاقل ، لان مركز مصر وملك مصر من شأنها ان يبعثا الطمأنينة في القلوب وان يحلا في ذات الوقت مشكلة التنافس والتناوب القائمة بين الهاشميين والسعوديين .

دعوة الملك عبد الله

وإذا كان الملك عبد الله ظل يدعو الى الوحدة والاتحاد وخاصة بالنسبة لبلاد الشام فان هذه الدعوة ظلت تفتزج بالمطامح الشخصية والدعايات والحركات المتنوعة التي كانت تجعل سورية تنقبض عنها مع ايمانها بها وتثير من المشاكل والخاوف ما من شأنها احباطها كما كان شبح النفوذ الانكليزي الذي يشمل المملكة الاردنية طوعاً ورضاءً جائئاً وراءها ، وبالتالي إن هذه الدعوة بالاسلوب الذي كانت تجري به والدعايات والحركات والخاوف التي كانت ترافقها كانت هي الاخرى بمثابة المانع والحائل دون بلوغ الهدف .

الكثرة ببناءه مع الوحدة

وإذا كان لبنان مع نظامه الجمهوري لا يقدم الدليل الصريح الذي قدمته سورية فان ذلك راجع لاعتبارات اخرى لا تدخل لنظام الحكم فيه ، ولدسائس الافرنسيين ووساوسهم ومبشرهم ورجال الكهنوت حيز كبير في هذه الاعتبارات على ما شرحناه في الجزء الثاني من هذه السلسلة . ومع ذلك فالكثرة سكان لبنان في جانب الوحدة أو الاتحاد حتماً لو جرى فيه الاستفتاء الحر الذي المعنا اليه . فان نصف سكانه الذين هم محمديون وفريق غير يسير من مختلف الطوائف النصرانية من انصار الوحدة . ولا يمكن المماراة في ذلك لانها من الحقائق الملموسة التي يقوم عليها الدليل من حين لآخر في مختلف الظروف والمناسبات .

الرغم من الانكسار في تحت شكل العرب

ولن ننسى الانكسار وغدرهم ومكرهم وكيدهم في هذا الموضوع الجبوي منذ البداية إلى النهاية . فقد غدروا بالعرب وخانواهم ولما يحف مداد العهود التي قطعوها لهم على يد الملك حسين ، وآثروا مع فرنسا على تقطيع اوصال سوريا واستعمارها وقطع الروابط بينها وبين العراق والحجاز ، ثم ظلوا هم وشركاؤهم في الجرم والاثم يواصلون مؤامراتهم بمختلف الاساليب حتى بدت بلاد العرب اشلاء متناثرة واجزاء متناثرة . وكانت غدرتهم الكبرى فيهم في فلسطين وما انتهى امرها من قيام الدولة اليهودية وانقطاع عقدة الصلة بين شمال بلاد العرب وجنوبها وشرقها وغربها فضلاً عما ثار بين العرب من احقاد وضغائن وريب كانت اليد الانكليزية الاثيمة طولى في اسبابه على ما شرحناه في الجزء السابق . وقد انتهى بنا الكلام عند الحديث على ظروف قيام الجامعة العربية وإخفاق حركة الوحدة والاتحاد الكلي او الجزئي اثناء الحرب الى تقدير ان الانكليز كانوا هم ايضا من اسبابه على ما شرحناه في الجزئين الثاني والرابع من هذه السلسلة .

الاتحاد قد يصلح ليكون المرحلة الاولى

ومها يكن من أمر فانه آن للعرب ان يفكروا تفكيراً جدياً وعاجلاً في هذا الهدف ويتحركوا نحوه وان تشدد الدعوة الى ذلك بعد ما كان من إخفاق تجربة الجامعة العربية وعدم سدها الحاجة الشديدة الى تعاون حقيقي وثيق بين الدول العربية وظروف الامة والبلاد العربية الداخلية والخارجية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية تقضي بالتعجيل في هذه الحركة وعدم تركها لزمان طويل . وإذا لم يكن الوعي القومي العربي قويا كاسمها تستطيع الامة العربية ان تملي به ارادتها ولا يستطيع رؤساؤها تعطيل هذه الارادة فان رجالات العرب البارزين على المسرح القومي والسياسي والقباضين على ازمة الامور والمؤثرين فيها مدعوون الى التفكير الجدي العاجل في هذا السبيل ، وهم قادرون فيما نعتقد إذا ما جدوا

وتضامنوا على عمل شيء كثير في هذا الباب .

وإذا كان وضع الاقطار العربية الراهن سواء من ناحية وجود كيانات شخصية واقليلية ورسوم اعتباراتها او من ناحية سلبية الوعي وجوده او من ناحية التفاوت الثقافي والاقتصادي لا يساعد على قيام وحدة سياسية شاملة في ظل دولة واحدة في هذه المرحلة من مراحل تاريخ العرب ولو على نمط الولايات المتحدة الذي يمكن ان يكون مثاليا بالنسبة للبلاد والشعوب العربية فلا مانع من مساندة هذا الوضع وجعل تحقيق فكرة الوحدة العربية على مراحل بحيث يكون هدف المرحلة الاولى قيام اتحاد يشمل :

١ - الشؤون العسكرية فيكون هناك جيش متحد تحت قيادة واحدة ونظم واحدة وسياسة عسكرية واحدة .

٢ - الشؤون الخارجية فيكون هناك تمثيل سياسي واحد وسياسة خارجية واحدة
٣ - الشؤون الاقتصادية العامة فيكون هناك نقد واحد وجمارك وبرق وبريد ومواصلات موحدة في النظم والادارة مع رفع أي قيد وشرط عن تنقلات الاشخاص المنسوبين الى الاتحاد واموالهم وإقامتهم ونشاطهم وعملهم .

٤ - شؤون التربية والتعليم فيكون منهج ثقافي واحد من جهة النظم والمناهج والخطط التعليمية العامة .

٥ - التشريع العام فتكون القوانين المدنية والجزائية والذاتية والاصلاحية والاجتماعية واحدة صادرة عن مصدر تشريعي واحد كما هي الحال في الولايات الاميركية ويبقى لكل دولة استقلالها الداخلي فيما يتصل بطرائق التطبيق والامن والعمران والتنظيم والوظائف والجباية وما يتصل بهذه من قوانين وتشريعات وتشكيلات وتحفظ كل دولة بشكل حكمها الراهن كذلك ، ويقوم على ادارة الشؤون الاتحادية المذكورة مجلسان يشترك فيها ممثلون من الدول المتحدة واحد اجرائي أو تنفيذي وآخر تشريعي بنسبة يتفق عليها وتكون مستمدة من ظروف ودور وتكاليف كل دولة من الدول المتحدة، وتقسم نفقات المصالح والمؤسسات الاتحادية بين الدول المتحدة وربيعها ووظائفها بنسبة ميزانية أو عدد سكان كل دولة أو بنسبة اخرى تنسجم مع الظروف الاجتماعية لكل دولة . ويضع مجلس تأسيس

مشترك قانوناً أساسياً لهذا الاتحاد تحدد فيه الاهداف والغايات والحقوق والواجبات والسلطات والكيفيات بصورة عامة .

ويندمج في هذا الاتحاد مصر وسوريا ولبنان والعراق والاردن والمملكة السعودية والمملكة اليمنية أي دول الجامعة العربية اليوم ان امكن . ويجب ان يكون مركزه مصر لما لها من ميزات عديدة تجعل مركزيتها للاتحاد مضمومة من قبل الدول الاخرى عدا كونها قد تكون حلاً لمشكلة النفسية والتنافسية القائمة بين رؤساء العراق والرياض والاردن واسرهم . ومع انتانجيل الى أن تكون رئاسة الاتحاد لمصر وملكها بناء على ما ذكرناه من الميزات تقوية لمعنى الاتحاد القومي الذي تستهدفه الحركة القومية فان من الممكن الاستغناء عن رئاسة رمزية وملكية له إذا ثارت الاعتبارات الشخصية والاكتفاء برئاسة عملية يتناوبها ممثلو الدول المتحدة في دورات سنوية .

وهناك أمارات عربية في انحاء جزيرة العرب جنوباً وشرقاً وشمالاً لها كيانات خاصة على صغرها وتلعب فيها الاصابع والمطامع الاستعمارية فتجعلها تحرص على هذه الكيانات مع اتصالها الوثيق الجغرافي بسدول اليمن والسعودية والعراق ، والافضل في المرحلة الاولى على الاقل ان يضم كل منها الى الدولة الاكثر قربا والاشد صلة جغرافية واجتماعية واقتصادية . وإذا تعذر هذا فلا مانع من دخولها في الاتحاد كشخصيات خاصة اسوة بالاردن ولبنان .

وطبيعي ان تكون الدولة الليبية التي سيد شن وجودها رسميا بعد قليل عضواً في هذا الاتحاد كما ان من الطبيعي ان تكون كل من تونس والجزائر ومراكش اعضاء فيه حالما يتم تحريرها الذي يجب على الاتحاد العربي بعد تكونه بذل جهده المتصل في سبيله .

وهذه الصورة التي ترسمها تطوي ولا ريب على نواة المملكة العربية المتحدة التي يستطيع فيها سبك الامة العربية في قالب واحد ، وتوجيهها في اتحاد واحد والحاق المتأخر منها بالمتقدم من النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، وتكثيف جهودها وقابلياتها واستغلال إمكاناتها العظيمة حتى تصل الى اكمل ما يمكن من درجات الثقافة والرفاه والكرامة والقوة والصالح الاجتماعي والفردية

والاقتصادي وتنبؤ مركزها اللائق بها بين امم الارض كأمة ذات ايجاد تاريخية وذات خصائص وقابليات عظيمة ، وفي اثناء ذلك تكون فكرة الدولة الواحدة قد نضجت فتغدو نواة الاتحاد حقيقة . للمملكة العربية المتحدة التي نرى ان تقوم على نمط ونظم الولايات المتحدة الاميركية .

وطبعي اننا نقدر ان هذا ليس سهلاً كسهولة رسمه على الورق . ولكن الجهد المنظم والجد والاخلاص في السعي والايمان بالفكرة والهدف - وكل هذا بما يجب على منظمتنا توجيه الشعور اليه وتركيزه فيه - من شأنه تهوين كل عسير ، ولا سيما إنه ليس امام هذه الامة طريق آخر يضمن لها حياة كريمة قوية غير هذه الطريق

- ٦ -

مرد العرب كقيل بالثقل على المصاعب والعراقيل

ومها يكن من احتمالات عراقيل الاجنبي في سبيل تحقيق هذه الصورة في مرحلتها الاولى التي هي مرحلة خطيرة من دون ريب توصل الى تلك الحقيقة فاننا لا نشك في ان الامر قبل كل شيء هو امر العرب انفسهم والارادة ارادتهم . ولقد كانوا يسجلون في نضالهم القومي خلال الحقبة التي مضت ومن حين لآخر حينما تمزج النجدة وتنخسهم عنهم همزات الشياطين من مستعمرين ومستغلين وكائدين وانزاعيين ، وتتأجج عاطفتهم التي لا يعود يقوى على إطفائها شيء والتي كان يرتعد امامها كل منافق دساس وضعيف مخامر أروع الصفحات ويضربون في البطولة والاستبسال والتضحيات ابر الامثال وتقوى ارادتهم وجلدهم حتى يثيرون بقوتها اعجاب العالم بما وصفنا بعضه في الجزء الثاني والجزء الثالث من هذه السلسلة . وعراقيل الاجنبي انما تنجح بما يمكن ان يجده من ثغرات او ضعف في ارادة العرب ورغباتهم وجددهم وإخلاصهم وانانيتهم . والجهد المنظم الدائب من شأنه ان يسد هذه الثغرات فلا يجد الاجنبي منفذاً للدسائس والمكائد والعراقيل او يضيق المنافذ امامها بقدر الامكان ..

نعلبي على ما يمكن ابرازه في صدور الاتحاد

ولقد يقال ان ارتباط بعض الدول بمعاهدات فيها التزامات عسكرية وغير عسكرية في حين ان بعضها حر من كل قيد قد يجعل الاتحاد بينها خطراً على الدول المطلقة من حيث كونه يجرها الى داخل الشبكة مع الدول المقيدة . وقد قيل هذا حين قامت الدعوة الى اتحاد ثنائي بين بعض الاقطار . ونحن لا ندري كيف يمكن ان يكون هذا إذا احتفظت كل دولة بكيانها . فالمعاهدات الموجودة إنما تنص على التزامات معينة في داخل اراضي الدولة المقيدة بها وحسب . والاتحاد إذا قام فسوف يقوم بموجب ميثاق مماثل لميثاق جامعة الدول العربية من وجهة الاسلوب الفني مبدلاً في الاسم والمدى وقوة الالتزام والتنفيذ . ولقد كانت تلك الحالة موجودة حينما قامت الجامعة العربية فلم تمنع قيامها واشتراك المقيد والمطلقين على السواء فيها . ولقد كانت موجودة كذلك حينما عرض الضمان الجماعي بدلاً من الاتحاد الثنائي فلم تمنع من مضي الدول العربية في بحثه وابصاله الى مرحلته الكلامية النهائية واشتراك الدول المقيدة والمطلقة على السواء في توقيع معاهدة الدفاع المشترك التي انبثقت منه . وخطر وقوع الدول المطلقة لو صح وروده فانما يكون إذا نشبت حرب عامة . وفي هذه الحالة يكون الخطر واقعاً عليها سواء اتحدت مع غيرها او لم تتحد لانها محاطة بالدول المقيدة ومن العسير عليها ان تدافع عن حياها بالقوة كما ان الدول الكبرى لن تحترم هذا الحيا من نفسها وقد رأينا أمثلة كثيرة على ذلك في اوروبا وآسيا وفي بلادنا نفسها اثناء الحرب العالمية الاخيرة

ولقد قلنا ان خطر الوقوع في الشبكة يرد إذا صح وروده في حالة الحرب وليست هذه الحالة دائمة ابدية . ومدة السلم على كل حال اطول . فالمصلحة القومية تقضي ان لا يتعطل والحالة هذه مشروع اتحاد الدول العربية الذي يهدف الى اهداف عظيمة تتصل بصميم الحركة العربية الحديثة واهدافها وحياة العرب وبلادهم ومصالحهم ومستقبلهم من مختلف النواحي وفي جميع الظروف والحالات . وتعلية الى ان تتفككت الدول المرتبطة بالمعاهدة ، وخر لتحقيق هذه الاهداف بل وقد يكون

مؤخراً لنجاة هذه الدول من حيث تكون هذه النجاة أكثر امكاناً حينما ينتظم الاتحاد جميع الدول العربية ويغدو لها جيش متحد واقتصاد متحد وتشريع متحد وسياسة متحدة وبكلمة واحدة جبهة متحدة قوية .

يضاف الى هذا ان الدول المرتبطة بالمعاهدات معترف باستقلالها وسيادتها التامتين وممارسة لها ، وفي شعوبها روح نرد قوية ضد المستعمرين والزامات هذه المعاهدات وهم متحفزون للتفلت منها، فالاتحاد والحالة هذه من شأنه ان يثبت القوة ويشدد العزيمة في سبيل النضال والفكاك في شعوب هذه الدول قبل غيرها .

وتطور روح العالم وما اثاره من روح التمرد والتوفر والتحفز في الامم الشرقية يعسر يوماً بعد يوم استمرار نظام الاستعمار والمعاهدات التي تقوم على عدم التكافؤ واماليب الشباك والتطويق الراهنة فضلاً عن انه يجعل امتداد ذلك الى ما هو سليم منه اسد عسراً . ولقد نجا بقوة هذا التطور بلاد اغنى واوسع من البلاد العربية المقيدة بالمعاهدات كاندونيسيا والباكستان والهند وكانت يد المسيطرين عليها اسد وطأة من يد اصحاب هذه المعاهدات . ولقد نجت سوريا ولبنان كذلك بقوة هذا التطور ونحن نعرف مقدار اشتداد اليد والمطامع الافرنسية .

ولقد اخذت الدول العربية المرتبطة تسعى جاهدة في سبيل الفكاك ولم تعد تسبغ ما كانت تسبغه من قبل ؛ ولم يعد يسع الدول المسيطرة إلا الملاينة والمسايرة والتأويل والتفسير بما يؤيد ما قلناه من امكان النجاة وقوته بالاتحاد من جهة وعسر الامتداد من جهة اخرى . هذا الى ان الدول الناجية قوية الشعور بخطورة ماتتمتع به من عزة وكرامة وانطلاق وفخورة به وشديدة الحرص عليه . ومن العسير ان تخدع عن امرها وتغفل عن اي شبكة تنصب لها . وليس من الصعب ان توجد الصبغ والشروط التي تضمن لها ما تتمتع به من حرية وانطلاق فوق كل ذلك .

لذلك نعتقد انه يجب ان تشدد الدعوة الى هذا الاتحاد وان يتضامن المحلصون من رجال العرب وشبابهم في تحقيقه في اقرب وقت ممكن .

- ٨ -

مراحل اتحادية اذا لم يمكن الاتحاد مرة واحدة

على انه اذا تعذر السير في مرحلة الاتحاد العام مرة واحدة فلا مانع من السير

فيها على مراحل أيضاً حيث يقوم الاتحاد في اول الامر بين البلاد المتقاربة في الحياة
العصرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية اي مصر وسوريا ولبنان
والعراق والاردن ، او بين بعضها والبعض الآخر ثم تبذل المساعي لانقام السلسلة .

اتحاد الاردن والعراق اسهل خطوات هذه المراحل

وإذا تعذر هذا كذلك فلا مانع من ان تكون الخطوة الاولى اتحاد الاردن
والعراق حيث يتراءى لنا انه عملية سهلة التحقيق . فالاسرة المالكة في البلدين
واحدة وليس بينها اي اعتبار من تلك الاعتبارات المانعة التي تساق في صدد اتحاد
غيرها ، والسياسة التي ترتبطان بها وتجريان عليها ايضا واحدة سواء اكانت عربية
أو خارجية . وقد تكون هذه العملية تجربة ناجحة يتأثر بها غيرها من البلاد العربية
وفيها في ذات الوقت حل للأزمة التي تضيق خناق الاردن سنة بعد سنة بسبب
حرمانه من الاسباب والموارد الذاتية بعد أن سيطر اليهود على كل هذه الاسباب
والموارد كما فيها تطمين لقلوب اهلهم سواء منهم الذين على الضفة الشرقية ام الغربية
وتهدة لحوفهم الدائم من العدو الغادر المتربص بهم الرابض على حدودهم الطويلة
حيث تنفتح الآفاق ويغدو مجال النشاط والحركة والعمل والأمل واسعاً امامهم من
مختلف النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والقومية ، ولعلها الى هذا كله
تؤدي الى تخفيف بد الانكليز ووطأنهم في الاردن حيث تغني الاردن عن الاعانة
الانكليزية التي تجعلهم ذوي اليد الطولى في الجيش ثم في سياسة البلاد .

وليس من محل ولا مبرر لتأخير هذه العملية السهلة والعظيمة الفائدة بحجة ان
الاولى اتحاد اجزاء الشام اولا . فمع قوة هذه الحجة فان تحقيق هذا القصد ليس
سهلاً وسائلاً للظروف والاعتبارات التي ذكرناها قبل قليل .

دعوة رؤساء العراق والاردن ورجالهما الى تخفيف عاهلهم

ورؤساء الاردن ورجاله مدعوون للتدبر في هذا الاقتراح والسعي لتحقيقه
وتسهيل اسبابه في الدرجة الاولى لأن بلادهم في حالة اقتصادية سيئة وستزداد
سوءاً على سوء . ونعتقد ان هذه الحالة غير خافية عليهم . وهم لا يفتأون في كل

مناسبة يثيرون حديث الوحدة العربية وأهداف النهضة ويبدون استعداداً لكل تضحية في سبيلها . فعليهم ان يبرهنوا على صدقهم في هذا القول دون تمسك وتشدد بالاعتبارات الشخصية وان يقدموا على خطة ايجابية محققة للعلية عاجلاً . وإلا فتكون الحجة قد لزمتم من ناحيتين الاولى ناحية قول لا يؤيده عمل والثانية كونهم إذا لم يستطيعوا ان يتحدوا مع العراق اي إذا لم يستطع الأخ ان يتحد ويتفق مع اخيه فليس لهما ان يعتبرا على غيرهما . وهذا بالاضافة الى انهم يبرهنون على انهم غير عابئين بالحالة السيئة التي عليها بلادهم من الناحية الاقتصادية ومن ناحية الامن والخوف بدافع الاعتبارات الشخصية .

ولا يعني هذا ان واجب رؤساء ورجال العراق في هذا الموضوع اقل من واجب رؤساء الاردن . فكثير منهم من رجال الحركة العربية ودعاة الوحدة العربية . ول بعضهم مواقف ومشاريع ايجابية في هذا الصدد . ولا يفتأون هم الآخرون يرددون واجب انقاذ فلسطين والاردن في حالة اقتصادية سيئة فضلاً عما يقلقه من عدو العرب القادر . ولقد كان موقف العراق العسكري في حرب فلسطين مكتنفاً بالغموض . ووجه اليه بسببه النقد والمسؤولية على ما شرحناه في الجزء الخامس . فعليهم ان يتلافوا ما كان ايضاً وان يتضامنوا في تحقيق هذه الخطوة التي نعتقد انهم يدركون مداها واثرها في الحركة العربية واهدافها وفي قضية فلسطين الشبهدة حاضراً ومستقبلاً . ولا ندري ما هو موقف الانكليز إزاء مثل هذا الاقتراح . ونحن نعرف انه كان موضوع بحث منذ سنتين ولم يمكن تحقيقه . ولا نستبعد ان يكون الانكليز هم الذين حالوا دونه استبقاءً ليدم الطولى على الاردن وتقديراً من تضامن شعبي عراقي اردني فلسطيني قد يزعجهم او يطوح بهم . ولا نستبعد كذلك ان يدسوا في سبيل تعطيله من جديد سرّاً إذا أرادوا ان يتظاهروا كما هي عادتهم يتوك الامر لرغبة الشعبين . غير أن من الواجب ان يكون العراقيون والاردنيون اقوى من ان يحول الدس الانكليزي دون الاقدام على تحقيق هذا الامر الحيوي جدا لهم جميعاً وخاصة للاردنيين . فالأمر امرهم اولا وآخرآ ، ولن يستطيع الانكليز منع تحقيقه إذا جدوا وعزموا وصدقوا في الرغبة . ولقد آن لنا

ان نقدم على امور بوحى انفسنا وان لا نبالي بما يريد الانكليز او لا يريدونه (١) .

- ٩ -

وبعد فاننا نسوق ما نسوق من المقترحات المراحلية والاتحادية التي تتسع لبقاء اشكال الحكم ونظمه الراهنة في البلاد العربية على حالتها تمشياً مع ما هو واقع من حالة الحكم في بلاد العرب ، ولما نراه من حرص رؤساء العرب على التمسك بمراكزهم وكياناتهم الاقليمية ، ولأننا لا نرى في اي بلد الاستعداد والقدرة معاً على تحقيق الوحدة بالفرض والاملاء في هذه الحقبة من تاريخ العرب . وهو الطريق الذي سارت فيه ايطاليا والمانيا اللتان كانتا مثل بلادنا مقسمة الى ممالك وامارات ودويلات ومنها ما كان راضخاً للسيطرة الاجنبية فحققت به وحدتها واستطاعت في ذات الوقت ان تخلص الاقطار الراضخة للسيطرة الاجنبية من هذه السيطرة . ولم يكن ملوكها وامراؤها اقل حرصاً من ملوكنا وامرائنا على الاحتفاظ بكياناتهم وسلطانهم والاستمرار في الاستمتاع بالملك والحكم لأنفسهم واختلافهم من بعدهم .

(١) كتبنا هذا قبل اغتيال الملك عبدالله بيضة اسابيع . ولم نر ان نغير منه شيئاً . ولقد ظهر ان الملك الراحل كان يسعى في تحقيق مشروع منه وان العراق كان متطابقاً معه ، وان الملك قدم مشروعاً والعراق قدم مشروعاً وان كلا المشروعين يهدفان الى الغاء الحواجز المرورية والجزرية وتوحيد السياسة الخارجية والدفاعية والنقد ، وان الفكرة كانت في طريق التحقيق . ولقد ارتفعت بعد وفاته اصوات من العراق واخرى من الاردن بوجوب تحقيق الفكرة وبدا ان هذا صار في نطاق الامكان ثم لم يلبث ان تمثر . وقد لمس ان للانكليز اثرا في هذا الثمر وهو ما خناه . وفي هذه الاثناء صدر من توفيق ابي الهدي رئيس الوزارة الاردنية تصريح علق فيه تحقيق الفكرة على التفاهم العربي العام . وقد وقع هذا التصريح عند الناس موقع الاستغراب لان صاحبه هو الذي اضطلع بتنفيذ الوحدة الاردنية الفلسطينية رغم ما كان من توتر عربي عام ومما رضى عربية عامة . وهو يعرف قبل غيره ان التفاهم العربي العام حول هذا الموضوع وما يدخل في نطاقه لن يكون لان الاعتبارات الشخصية والاقليمية تتف في سبيله ، وهو مشروع سائع لا يحتمل ان يكون مثيراً لتوتر عربي عام اذا ما كان برضاء الشعبين وهو ما هو حاصل . وحاجة الاردن الى عملية اتقاذية تزداد إلحاحاً يوماً بعد يوم لان مقومات بقاءه لحدته وكفائته لنفسه تتضاءل يوماً بعد يوم فن واجب من في الاردن والعراق ان يقدموا على تحقيق هذه العملية الاتقاذية في اسرع وقت ممكن اذا كانوا حقاً يريدون الخير لامتهم وبلادهم ويصدقون فيما يقولون من انهم يحملون الاعتبارات والمصلحة القومية فوق الاعتبارات والمصلحة الشخصية . ولن يستطيع الانكليز ولا غيرهم منع ذلك اذا ما صدقت النيات وصحت الرغبات في الاردن والعراق .

الفصل العاشر

- ١ -

نار فلسطين

وبما لا ريب فيه ان قيام الاتحاد العربي كفيل بغسل عار فلسطين وتحقيق ثأرها . غير ان هذا منوط بسرعة تحقيقه ونعتقد انه لا يجوز تأخير نار فلسطين الى حين تحقيقه إذا تأخر اكثر مما ينبغي بما هو محتمل كثيراً . لأنه كلما طال الزمن توطدت الدولة اليهودية وعمقت جذورها وكثر عدد سكانها وعظمت امكانياتها واستعداداتها صار اقتلاعها أو تغيير شيء من معالمها الراهنة على الاقل اشد تعذراً وصعوبة ، وغدا ضررها وخطرها العسكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي على العرب وبلادهم اشد واعظم . والمتنبع للحوادث يرى اليهود ناشطين في سبيل ايقاع هذا الضرر اشد النشاط ، وهم ينتهزون كل فرصة ومناسبة لمعاكسة مصالح العرب ومسايعهم وتشويه اسمهم في الاوساط الدولية العامة والخاصة كما انهم لا ينون في بث الدسائس ورسم خطط التدمير والتجسس والتعطيل والتفكيك عليهم في داخل بلادهم ايضاً . وقد ذكرنا ما اكتشفته حكومة العراق من نواياهم الرهيبة ومخازن سلاحهم في الجزء السابق بما من شأنه ان يضاعف من قلق العرب ومهمهم ويحملهم على شدة الاهتمام ، وهذا فضلاً عن مطامعهم ونزعتهم التوسعية التي سوف تزداد كلما كثر عددهم وعظمت استعداداتهم والتي سوف ينتهزون اي فرصة مناسبة لتحقيقها تدريجياً بكل ما يكون في طوقهم . وكل هذا غير غائب فيما نعتقد عن اذهان وافهام العرب ورجالهم الرئيسيين .

فالصبر على اليهود طويلاً خطر كل الخطر على كيان العرب وبلادهم ومصالحهم الخاصة والعامة والداخلية والخارجية والسياسية وغير السياسية ، ومن اعظم واجبات العرب والحالة هذه ان لا يضيعوا لحظة واحدة في التفكير والتدبير لدفع هذا الخطر ، وليس من شأن غير القوة ان تدفعه فضلاً عن انها هي المعول الوحيد لغسل العار الشديد الذي لحقه اليهود وحلفاؤهم بالعرب واسترداد اعتبارهم في نظر

الدنيا . وكل امل واحتمال في حل مشكلة فلسطين على نحو ايجابي ومرض الكرامة العرب وحققهم بغير القوة العربية عبث وسخف ، لأن غير العرب هم ضد العرب صراحة وضمناً وسكوناً ما دام العرب لا يعمدون الى القوة ، واليهود في الخارج اقوى وسائل وتأثيراً من العرب حتماً بحيث انهم قادرون على احباط اي مجهود عربي سياسي .

- ٢ -

واجب العرب في هذا الامر

واجب العرب في هذا الباب متنوع الجبهات . فمن جهة يجب ان يتم شباب العرب ومنظمتهم وصحافتهم ووعاظهم وخطبائهم واسانذتهم وكتابهم لبث الدعوة وتوجيه الشعور العام وتقويته في هذا الانجاه . ومن جهة يجب ان يشدد اهتمام الحكومات العربية للتسلح والاستعداد والتدريب بأوسع مقياس ممكن . ومن جهة يجب السير في تحقيق نصوص معاهدة الدفاع المشترك بكل جد واخلاص وسرعة . والامر ان الثاني والثالث بما يجب على شباب العرب ومنظمتهم وصحافتهم ووعاظهم وكتابهم وخطبائهم الدعوة اليها ومطالبة الحكومات بها .

- ٣ -

المرحلة الاولى في هذا الواجب

وقد يكون اقتلاع جذور الدولة اليهودية غير ممكن مرة واحدة وانه لا بد له من مراحل ، ولا مانع من ذلك ما دام انه من مقتضيات الواقع الذي لا يمكن تجاهله . والمرحلة الاولى يجب ان تكون ارغام اليهود على تنفيذ قرارات هيئة الامم في قضايا الحدود واللاجئين وتدويل القدس . وإذا قامت الحكومات العربية في الامرين السائفين - تطبيق معاهدة الدفاع وشدة الاهتمام للتسلح - يجد ودأب وايمان فانها تستطيع ان ترغم اليهود على ذلك وتضطلع بتنفيذه بالقوة إذا لم ينصاعوا . ويجب ان يتم هذا خلال سنتين او ثلاث على الاكثر . ولا نراه عسيراً إذا ما جدت الحكومات العربية وأبت ان تسجل على نفسها وشعوبها عاراً جديداً قد يكون اشد من الاول وانكى . وهي بعد اعضاء في هيئة الامم التي قررت تلك القرارات

والتي كلما طولبت هذه الهيئة بتنفيذها قالت انها لا تملك وسائل التنفيذ. وللحكومات العربية بعد منظمة اقليمية من واجبها تأمين السلامة والسلام في منطقتها. واستمرار اليهود في بغيتهم وعدم تنفيذهم قرارات هيئة الامم مما يخل بذلك ، ولا سيما ان هناك مليون لاجئ جردهم اليهود من كل مقومات الحياة ، وهم الآن يتصرفون بأملاكهم وبيوتهم وحقوقهم وقرامهم وبساتينهم ومرافقهم بغياً وعدواناً واصحابها في اشد حالات البؤس والحرمان ، وبقاؤهم على هذه الحال مما يؤدي الى الاضطراب .

امطار ذلك ومبرراته

ونعتقد ان الحكومات العربية إذا وقفت وقفة قوية جماعية بعد ان قد استعدت في التسلسل ونظمت خططها وفقاً لمعاهدة الدفاع المشترك تستطيع ان تحقق تنفيذ تلك القرارات دون ما حاجة الى استخدام القوة ايضاً . ونقول هذا ونحن غير ناسين ان انكلاتره واميركا وفرنسا اعلنت في بيانها الثلاثي الذي ذكرناه في الجزء السابق عزمها على منع اي تعديل في الحدود بالقوة . غير اننا نعتقد ان في هذا الاعلان تهويشاً على العرب ، وانها إذا ما تيقنت من تصميم العرب ستجد نفسها امام موقفين ، اما تكرار مثل كوريا في البلاد العربية واما الضغط على اليهود وارغامهم على تنفيذ قرارات هيئة الامم . وقد رأينا كيف كان امر كوريا وما نخله من غصص وندم وحسرة وفواجع . ولا يرد ان اصبع الروس كانت في كوريا ، فان احتمال المضاعفات الداخلية والخارجية في الشرق العربي مخزن النفط الاعظم لا يمكن ان يغيب من بال الدول الثلاث الى درجة ان يجعلها تقدم على عمل عنيف جماعي ضد العرب ، وخاصة ان لموقفهم مبررات قوية لم تكن في ظروف كوريا ، لانهم ليسوا مفتاتين على اليهود ولا باغين وانما هم يجعلون انفسهم اداة لتحقيق قرارات هيئة الامم وصيانة كرامتها كما فعلت اميركا والدول التي انجرت معها ...

فالامر اولا وآخرآ في يد العرب وورهن مجدهم واخلاصهم واما انهم بقضايهم ، ولقد آن لهم ان يجحدوا ويخلصوا ويؤمنوا بهذه القضايا كما آن لهم ان يتحرروا من تهيب هذه الدول وملاينتها ، وهي التي لا تفتأ تصفع العرب صفعات بعد صفعات في مختلف المواقف والمناسبات بعد صفعتها العظمى لهم في اقامة الكيان اليهودي وبذل كل جهد في توطيده . ولا نعتقد ان هذه الدول تستطيع ان تفعل بهم اكثر

بما فعلته إذا ما اشتد السخط والحقد عليها - وهو ما يجب على شباب العرب ومنظمتهم وخطبائهم وكتابهم ووعاظهم وصحافتهم واساتذتهم ان يدعوا اليه - وتشددت الحكومات العربية في خطتها معها ، بل ان من المحتمل ان تعدل هذه الدول خطة الغدر والبغي والاستهزاء التي تسير فيها مع العرب تعديلاً كثيراً . ولقد مشى العرب في ركابها طويلاً وسايروها اعظم مساييرة وضحوا بدمائهم وبلادهم في سبيلها فلم يكن منهم لها إلا تلك المواقف اللثيمة في كل مناسبة .

- ٤ -

الدور الذي يستطيع الفلسطينيون ان يقوموا به

ويستطيع الفلسطينيون ان يقوموا بدور عظيم في المرحلة الاولى اي في مرحلة تنفيذ قرارات هيئة الامم وهم على اتم استعداد للقيام به فضلاً عن استعدادهم للمساهمة في اي دور او حركة انقاذية بكل قواهم وتقديم اعظم التضحيات التي يمكن ان تطلب منهم فهم اصحاب الدار العارفين بمخارجها ومدخلها وطرقها واحراشها ووعرها وسهلها ، وهم الذين وقع عليهم بلاء كارتها على اشد وارجع حالاته ، وهم الذين يقاسون ما يقاسون من ذل وهوان وحرمان وبؤس ويريقون الدماء بدل الدموع على وطنهم السليب وعرضهم المنهوك ويتحرقون اشد التحرق الى اخذ ثأرهم وغسل عارهم بكل قلب وحرارة وايمان .

وانه لمن الممكن اعداد عشرة آلاف مناضل منهم على الاقل على ان تأخذ الحكومات العربية على نفسها تدريبهم وتمويلهم وتنظيمهم في وحدات صغيرة ذات قيادة خاصة ، ثم توزيعهم على الحدود ، فاذا ما جاء وقت ارغام اليهود بالقوة على تنفيذ قرارات هيئة الامم كانوا هم الطلائع . ونكاد نقول اننا على يقين بأن هؤلاء المناضلين إذا سمح لهم ليستطيعون ان يقوموا بغارات قوية مستمرة ترزعج اليهود ايما ازعاج وتحملهم على قبول المطلوب منهم الذي ليس هو إلا تنفيذ قرارات هيئة الامم دون اشتراك الجيوش . ولن تزيد اسلاك تمرينهم وتجهيزهم وتموينهم في الشهر عن مئتي الف جنيه ، وهو مبلغ زهيد جداً إذا ما قيس بأثار العمل ونتائجه ومحول جداً إذا ما وزع على ميزانيات الحكومات العربية التي لا يقل مجموعها عن ثلاثمائة مليون جنيه . وقصارى ما يكون على الجيوش العربية ان تحمي حدودها إذا ما

حدثت اليهود انفسهم بالعدوان عليها بحجة مطاردة المناضلين وبحجة خرق مواد الهدنة ، وان تحبط غارات اليهود الجوية إذا ما ارادوا التهويش على البلاد العربية بها وإثارة اعصابها .

وللقارىء ان يتصور ما تستطيع ان تفعله خمسمائة عصابة كل واحدة مؤلفة من عشرين مناضلاً على رأسهم ضابط او قائد منهم منتشرة على طول حدود ما يحتله اليهود من فلسطين من الشرق والشمال والجنوب انتشاراً منظماً وفق خطة مرسومة حيث تستطيع كل وحدة ان تقوم بحركة واحدة في كل يوم على الاقل من تدمير او خطف او قتل او نهب او تعطيل اسلاك او نسف او تخريب طرق ومعاير الخ ولا يداخلنا اي شك في ان شهرين او ثلاثة تواصل هذه الوحدات اعمالها على هذا النمط يومياً فيها كافية لجعل اليهود يجنون قلقاً واضطراباً وخوفاً ولن يستطيعوا ان يقابلوا هذه الوحدات مقابلة حربية لأن خطتها ستكون كراً و فرأ على اسلوب حرب العصابات التي اعتادتها والتي ازعجت بريطانيا العظمى اي ازعاج وارغمتها على التسليم بما كان يطلبه العرب ولو نظرياً على ما فصلناه في الجزء الثالث . وقصارى ما يمكنهم ان يفعلوه ان يعتدوا كما قلنا على الحدود او يقوموا بغارات جوية على المدن العربية ، وتكون الجيوش العربية مستعدة لهم فتفشل حركتهم . ولندعم هذه المرة هم الذين يشتكون على العرب لمجلس الامن بعد أن فعلوا بنا الافاعيل وخرقوا حدود الهدنة وشروطها مراراً وتكراراً وحققوا كل ما قصده وضربوا بأوامر هذا المجلس عرض الحائط ، وكان قرارنا ان نكون نحن الشاكين المستجدين للرحمة والعدل بمن هم حرب عليها ، ولنخاضل هذه المرة بعد ان خاضلوا هم مراراً وتكراراً على ما شرحناه في الجزء السابق ، هذا إذ لم تر الحكومات العربية ان تبدأ هي اليهود بجيوشها او لم تر أن تقابل حركاتهم التي يمكن ان تحدثهم انفسهم بها على ما ذكرناه . اما اذا فعلت ذلك او هذا على الاقل وكانت مستعدة منظمة كما قلنا فان من الممكن ان يكون فيما تفعل تحقيق الامل القريب والبعيد معا بيسر ومدة وجيزة . ونعتقد ان اليهود يوشون بقوتهم كثيراً وان هناك اقلاماً عربية تساعد من حيث تدري او لا تدري على دعايتهم التهويشية ، ونعتقد ان قوى الجيوش العربية في حالتها الحاضرة فوق الكفاية للمهمة إذا قامت بواجبها بوحى

الاعتبارات العسكرية فقط فكانت لها قيادة واحدة نافذة وخطة واحدة مدروسة مما هو كفيل به تنفيذ معاهدة الدفاع المشترك ، لا سيما انه يرصد منذ سنتين وينفق في سبيل تحسين حالة الجيوش العربية واتمام تجهيزها اموال طائلة وخاصة في مصر وسوريا . ونعتقد ان الجيوش العربية ضباطا وجنوداً لا يقلون تحرقا عن الفلسطينيين الى منازل اليهود واقتلاع جرثومتهم وغسل العار عن الامة العربية بدمائهم وبطولاتهم وتكذيب اليهود في تبجحهم الكاذب بأنهم قد انتصروا على جيوش الدول العربية السبع عسكريا مفتقرين بذلك على الحقيقة المعروفة من انه لم يقع حرب فعلية بينهم وبين العرب ومن ان خسران العرب للمعركة قد كان لأسباب داخلية وخارجية ليست قلة عدد العرب ولا شجاعتهم منها على ما شرخصاه في الجزء الخامس ، كما نعتقد أن الامة العربية في جميع الاقطار وعلى اختلاف الطبقات والفئات مستعدة للتجاوب مع اي حركة ودعوة في سبيل ثار فلسطين وغسل عارها ، ومستعدة لتقديم كل تضحية تطلب منها ، وقبول كل امر يفرض عليها إذا ما جد الجد ورأت من حكوماتها عزما وقصما .

- ٥ -

نصلي في صدر موقف الاردن

وقد يكون هناك ثغرة مهمة ، وهي عدم اندماج المملكة الاردنية في معاهدة الدفاع المشترك اولا ريد الانكليز الطولى في جيشها وسياستها ثانياً . ومع اعتقادنا ان جنود الجيش الاردني وضباطه العرب متحرقون لمنازلة اليهود واخذ الثأر ومحو العار وان ضمير القابضين على زمام الامر في المملكة وعاطفتهم لا يعقل إلا ان تكون مشاركة لسائر العرب في شعورهم وتحرقهم فضلا عن اليقين التام من اندماج اهل المملكة في ذلك اندماجاً تاماً ، وان هذا قد يسهل التفاهم والاتفاق على سد هذه الثغرة على وجه مرض لا تتكرر معه الصور والمشاهد الاليمة التي كانت في حرب فلسطين وقد يمد لاستراكتها مع الحكومات العربية في عزيمتها بقلب وجد فانه في حالة عدم امكان التفاهم والاتفاق - اللذين من المحتمل جداً ان يحول الانكليز دونها بأسايلهم الماكرة - يمكن الاكتفاء منها بحفظ حدودها وهو ما ستفعله بطبيعة الحال . وحينئذ تأخذ الجيوش السورية واللبنانية والعراقية من الشمال والجيوش

المصرية والسعودية واليمنية من الجنوب على عاتقهم العمل في الميدان لمقابلة اليهود .
وقد يتطور الموقف فتحقق الغاية القصوى ولا يقف الامر عند تنفيذ قرارات هيئة
الامم .

على انه إذا لم تتحقق هذه الغاية في هذه المرحلة فيجب ان تكون نصب اعين
العرب لمحققوها في مرحلة تالية لان وجود دولة يهودية في قلب بلادهم خطر مستمر
عليهم جميعاً مهما كان حجماً وقوتها . وقد تسنح الفرصة فيكون تحقيقها في المرحلة
التالية اسر منالاً عليهم ، ولا سيما انهم إذا تمكنوا من تحقيق المرحلة الاولى يغادرون
اسياد الموقف في الشرق الادنى وبصبح في استطاعتهم تضيق الخناق على اليهود في
الرقعة الضيقة التي يكونون قد حشروا فيها فيمهدون بذلك لنصفها حيناً تسنح تلك
الفرصة .

واننا لنرى بعين الخيال ونحن نكتب هذا الآثار العظيمة التي يمكن ان يحدثها
هذا العمل القومي الجماعي والنجاح فيه فتستولي علينا هزة شديدة من النشوة
والعزة ، لان هذا العمل والنجاح فيها - وهو ما نعتقد حصوله في هذه المرة -
سيكون ايذاناً بولادة الامة العربية من جديد ولادة قوية رائعة ، وفكاً لها من
برائن المستعمرين الباغين في المشرق والمغرب العربيين ، وسيروها قدماً الى الاهداف
العظمى التي تستهدفها الحركة العربية الحديثة .

اما إذا تلكأت الحكومات العربية في السير خطوة عملية مثل هذه الخطوة او
ما في مداها على الاقل وطان الامر فقد يصبح الامل سراباً وتكون قد سجلت
مرة اخرى على نفسها وتاريخ حقيبتها عار الابد وذله وسمحت بوسوخ جراثيم
السرطان الرهيب وانتشارها في جسم البلاد العربية جمعاء ، فضلاً عن ما تكون قد
اضاعته من فرصة تجربة سهلة لمعاهدة الدفاع المشترك ومداها والآثار العظيمة التي
يمكن ان يحدثها النجاح فيها وما تكون قد جلبته عليها من احتقار الامم للاممة
العربية ودولها العديدة وسخريتها منها . ويجب على شباب العرب والمنظمات القومية
وخطباء العرب ووعاظهم وكتابهم ان يشتدوا في الدعوة الى ذلك بحيث تصبح

استجابتها مما لا مناص منه ، كما يجب على الذين يقبضون على ازمة الحكم في البلاد العربية ان يستلهموا ضمائرهم وان يستثيروا عزائمهم وان يتقوا الله في امتهم وبلادهم ومستقبلها وان يدركوا ان الامر لا يعينهم وحدهم وانما يعني الامة العربية جميعها الى اجيال عديدة ويعني حياتها ومصالحها وشرفها وكرامتها وتاريخها ومقدساتها ، وان مدى الفرصة امامهم لا يعدو سنتين او ثلاثاً تم تفلت من الامة العربية الى مدى اجيال عديدة وانهم في اضاعه الفرصة يكونون قد سجلوا على انفسهم فضلاً عن امتهم عاراً لا يمحي .



الفصل الثالث عشر

قضايا العرب القومية الاخرى

- ١ -

والعرب قضايا عديدة مع الاجانب غير قضية فلسطين متصلة بصميم كياناتهم القومي وسيادتهم وحريتهم واهداف حركتهم القومية الحديثة ، وهي قضايا مصر والعراق والاردن وسواحل جزيرة العرب الشرقية والجنوبية التي طرفها الثاني الانكليز ، وقضايا المغرب العربي تونس والجزائر ومراكش التي طرفها الثاني الافرنسيس ، والتي هي في الحقيقة مظهر من مظاهر الغدر والحيانة والجشع والتكالب وروح التحكم التي اتصف بها الانكليز والافرنسيس منذ مئات السنين ، والتي لم 'يجد' فيها ما طرأ على البشرية من تطور ودب في العالم من روح جديدة ونشر ووقع من مبادئ ومواثيق دولية فتبلا ...

- ٢ -

ملأء الانكليز ومواقفهم في مصر

ومن عجيب امر الانكليز ومظهر روحهم الاستعمارية والتسلطية انهم منذ سبعين سنة وهم يعدون مصر بالجلاء ثم يخلقون اسباباً محلية وعالمية لاختلاف هذه الوعود دون خجل . ولقد كان حرصهم على السيطرة على مصر وقناة السويس منبعثاً عن حرصهم على حفظ طريق مواصلاتهم الامبراطورية الهندية ، ومع انهم قوضوا خيائهم عن هذه الامبراطورية وجلاوا عن الهند وسقطت بذلك الحجة التقليدية الزائفة التي ظلوا يتذرعون بها فانهم ما يزالون متشبثين بموقفهم الباغى الوقح ويتفتنون في خلق الذرائع والحجج الواهية من اجله .

وقد تقننوا منذ تسلطوا على مصر في الدس والافساد واثارة الفتن وتخويف الاقباط من المسلمين والاغنياء من الفقراء والفلاحين من الملاكين ، وتعطيل قوى الامة ومواهبها وتجهيلها وشل يدها وروحها والتسلط على كل شيء من مرافق

البلاد ودوائر الحكم ومناهج التعليم والتشريع بسبيل ابقاء يدهم قوية نافذة . ولما بدا من المصريين ما بدا من التحفز والتوفز عقب الحرب العالمية الاولى في سبيل الفكك منهم او التنفس على الاقل لم يتورعوا عن ارتكاب كل قسوة لقمع الحركة وإحباطها . وظلوا نحو خمس عشرة سنة وهم يتفننون في المداورة والمراوغة ابتعاداً عن التسليم بحق مصر في الحرية والاستقلال الكامل وانتظامها في سلك الدول المستقلة ، ولم يخففوا قبضتهم إلا بضغط ظروف سياسية عالمية من جهة وبعد ان سلم المصريون من جهة اخرى بشيء غير قليل مما كانوا يريدونه وخاصة ببقاء قناة السويس ومنطقتها تحت احتلالهم وجعل مرافق مصر العسكرية والاقتصادية تحت تصرفهم إذا ما اشتبكوا في حرب حيث امكن بذلك عقد معاهدة عام ١٩٣٦ ؛ ودخلت مصر الحرب الى جانبهم في الحرب العالمية الثانية واستجابت اليهم في كل ما طلبوه واقتروه من تشريع وتكوين ونجيش معرضة نفسها من اجلهم لغارات المحور وغزواته وتهديده ؛ وقد نالها من ذلك غير قليل من الضرر والخسارة .

ومن عجيب امر الانكليز في مطامعهم ومراميمهم ومداوراتهم انهم لم يكتفوا بما التزمته مصر في هذه المعاهدة من التزامات ثقيلة في وقت الحرب وخطرها لمدة عشرين سنة بما كان ما كان من جرائمه من انقلاب مصر لساحة حرب وتسخير مرافقها وتشريعها لمطالب الانكليز وحركات وحاجات جيوشهم بل جعلوا تعديلها منوطاً بمعاهدة جديدة يكون التحالف بينهم وبين مصر اساساً محتموماً كما جعلوا مصر ملزمة بعقد معاهدة جديدة على هذا الاساس حينما تنتهي مدة المعاهدة ؛ وقد نصت المعاهدة على ان الجلاء الانكليزي عن قاعدة القناة منوط بغدر الجيش المصري قادراً على الاضطلاع بعبء الدفاع عن هذه القاعدة، وجعل هذا رهناً بقناعة الانكليز بهذه القدرة . ومعنى هذا وذلك بتعبير آخر انهم فرضوا في هذه المعاهدة وجودهم وحلفهم واحتلالهم على مصر الى اجل غير مسمى ...

وينطوي في قضية مصر قضية السودان المصري العربي الذي هو جزء غير منفصل عن مصر في سكانه ولغته وتاريخه وروحه ومصالحه المتنوعة . ويتجاهل الانكليز هذه الحقيقة التي يشعر بها المصريون والسودانيون على السواء ويتفننون في خلق العقبات والذرائع لفصل السودان عن مصر والاستبداد في السيطرة عليه ، ومن

جملة ذلك تشجيع بعض الطامعين في المناصب من ابنائه وتآليبهم ضد مصر وتصورهم
ايام اصحاب الشأن والمصالح الحقيقية الذين يجب ان يكون لرايهم الاعتبار الاول
بما اعتادوا ان يفعلوه في كل بلد نكب بهم . ولقد اشتروا في الحملة التي ذهبت
لاخماد الثورة المهدوية باسم مصر ، ثم ارغوا الحكومة المصرية على التوقيع على
معاهدة تسجل لهم حق المشاركة في حكم السودان ، ولم يكتفوا بهذا فقد ظلوا
ينقضون نصوص هذه الاتفاقية في كل فرصة ومناسبة حتى انقلب الامر رأساً على
عقب حيث تضال حق مصر وسلطانها واصبحا حبراً على ورق في حين غدوا هم
المستبدون في حكمه المتسلطون على مرافقه .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، وكانت قد وضعت موافقة هيئة
الامم التي تنص على ضمان السلام العام الجماعي وتهدف اليه وتقرر عدم جواز وجود
جنود عضو في الهيئة في ارض عضو آخر بغير رضائه بادرت مصر الى مطالبة الانكليز
بتعديل المعاهدة بما يتفق مع ذلك واخذت تلج على وجوب جلائهم عن ارضها ورفع
ايديهم عن السودان لتتم الوحدة الطبيعية لوادي النيل ، وتذكر بما كان من موافقتها
وتضحياتها ، وتذو بأن مصر الصديقة خير من مصر المحتلة . ولكن الانكليز عمدوا
إلى المراوغة والمداورة واخذوا يعلنون تمسكهم بأحكام المعاهدة التي زعموا انها
عقدت ووقعت بحرية تامة في حين يعلمون قبل غيرهم انها معاهدة قهرية عقدت ومصر
تحت احتلالهم وسيطرتهم ولم يكن لهم مناص منها ولا حرية واختيار فيها .

وقد جرت مفاوضات طويلة ومضنية بين مصر والانكليز في هذا الصدد حتى
بدا في وقت ما ان هؤلاء ائتمروا مسايرة مصر بعض الشيء حيث اعلنوا سنة ١٩٤٦
استعدادهم للجلاء عن مصر دون قيد وشرط في مدة تنتهي في سنة ١٩٤٩ وموافقتهم
على وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري ، ولكنهم لم يلبثوا أن نكصوا عن
وعدهم كعادتهم .

وشكت مصر امرها الى مجلس الامن وادلت بالحجج القوية المدعمة بالاسانيد
ورفعت صوتها قوياً داوياً بطلب خروج الانكليز من اراضيها وحقها التام في
ذلك وسقوط المعاهدة وبطلانها بعد ما قامت هيئة الامم فلم يكن لشكواها اثر
ايجابي لأن هذا المجلس وهيئة الامم معه قد أصبح أداة انكلو اميركية يتحرك

بإشارة اميركا وانكلترة ولا يقف موقفاً مناقضاً لما تريدانه او ثريان فيه مصلحة لها من قريب او بعيد . وكل ما كان منه إزاء صرخة الحق الداوية انه نصح باستئناف المفاوضات واستنفاد الجهود في سبيلها .

ولقد استؤنفت المفاوضات ثانية وظلت مستمرة نحو سنة ونصف والانكليز يتغنون بالمطالب والمقترحات التي ترمي الى ابقاء احتلالهم وسيطرتهم العسكرية بأسلوب من الأساليب ..

ومع انهم يتذرعون كما قلنا بتلك المعاهدة الباطلة فانهم منذ سنين وهم ينقضون احكامها من جانبيهم بمختلف الاشكال والمواقف جرياً على ما لو فهم من اعتبار انفسهم احراراً في خيانة عهودهم مع غيرهم إذا كان اضعف منهم واعتبار هذا الغير مسؤولاً بكل تدقيق عن عهوده معهم ..

ولقد اهملوا اعداد الجيش المصري وتنظيمه وتسليحه وتقويته ايام سيطرتهم الشديدة عن قصد، واستمروا في هذا بعد عقد المعاهدة برغم ما في نصوصها من التزامات عليهم . وهم اليوم ينسون جريمتهم هذه ويتذرعون بضعف مصر عن الدفاع عن نفسها وعن القناة واضطرارهم الى ملء الفراغ ، ثم لا يألون جهدهم في وضع العقبات بمختلف الأساليب ليحولوا دون تحقيق ما بدا في مصر من رغبة صادقة وبذل سخي في سبيل تقوية الجيش وتسليحه حتى يغدو قادراً على الاضطلاع بالعبء ؛ وهذا بالرغم عن ايجاب المعاهدة التي يتذرعون بها عليهم مساعدة مصر على تنظيم وتقوية وتسليح الجيش ، ولا يكتفون بالامتناع عن القيام بالتزاماتهم من بلادهم بل يبذلون كل جهودهم ليحولوا دون مصر وحاجتها من السلاح في غير بلادهم ايضاً ما امكنهم ذلك ... وكل هذا بقصد تبرير احتلالهم وسيطرتهم العسكرية .

ومن اسخف ما يضحك من تناقضهم ظهورهم بظهر المشفق على مصر من وقوعها في براثن روسيا وبرائتهم فاشية فيها وخاصة في سودانها بكل شدة . ثم هم الى هذا يتجهجون كل التهجم لكل مظهر من مظاهر الود قد يبدو بين مصر وروسيا ، ولكل دعوة إلى عقد ميثاق عدم اعتداء بينها لتزول هذه المخاوف وتسقط الحاجة التي يتجهجون بها ..

ومن اسخف ما يضحك من ذرائعهم في امر السودان تكرارهم لنغمة رغبتهم

في ان يكون للسودانيين الحق التام في الاستقلال وتقرير المصير وعدم موافقتهم على بسط مصر سيطرتها على السودان لتستعمره ! ويتفننون في إذاعة هذا المعنى في العالم وتلقيه للسودانيين والظهور بمظهر المدافع عن حرية السودان واستقلاله وتجنبيه الاستعمار المصري مع ما هو واقع حالهم من التحكم والتصرف فيه وتسلطهم على جميع مرافقه . ومع هذا النفاذ بالحرص على حق السودانيين في تقرير مصيرهم فهم يرفضون تحدي مصر والسودان معاً بإجراء الاستفتاء ويتوارون وراء عدم نضج السودانيين ومساس الحاجة الى عشرين سنة اخرى ليتمكنوا من ذلك غير خجلين من عار اهمال السودانيين خلال الستين عاماً الفائتة .

وهكذا يظل المنطق ممسوخاً مشوهاً في افواه الانكليز الذين لا يبالون بأي تناقض يدمغهم وخزي يحزيمهم واغراق في السخف والمفارقة يرتكسون فيه في سبيل تبرير خططهم وأهدافهم .

ولقد ظل موقف مصر قوياً في صدد مطالبتها الجوهريين وهما الجلاء التام ووحدة مصر والسودان ، ووصلت المفاوضات الى المرحلة التي لم يكن معدى فيها من الرفض الصريح او القبول الصريح ، ورأى الانكليز ان ما تنهونوا فيه من المزاوغات والمقترحات استبقاء لحبل المفاوضات ممدوداً ولباب الحداغ مفتوحاً ، ولسيطرتهم العسكرية على مصر والاستعمارية على السودان قائمة لم يعد مجدياً ، وانه لا مناص لهم من الصراحة ، فالقي وزير خارجيتهم في البرلمان بياناً مطولاً في شهر تموز ١٩٥١ أعلن فيه انه لن يسع حكومته لإجابة مطلبى مصر لأن من حق السودانيين عليهم ضمان استقلالهم وحقوقهم في تقرير مصيرهم ! ولأن واجب نيابتهم عن الدوليين من جهة والدول الغربية من جهة اخرى لا يسمح لهم بالتخلي عن مركزهم العسكري في الاراضي المصرية ! وانهم سيظلون متمسكين باحكام معاهدة سنة ١٩٣٦ ومنتعين بما منحتهم لهم من حقوق غير معترفين لمصر بحقوقها في الغائماً من جانبها وغير عابئين بهذا الالغاء إن هي أقدمت عليه ، وإن بريطانيا لا تستطيع ان تتخلى عن الوفاء بالتزاماتها الدولية إذا رفضت مصر بناء علاقتها معها على أسس جديدة ! وإن مصر لتخضع نفسها إذا هي ظنت ان في استطاعتها ان تقف موقف المتفرج المحايد إذا ما اشتبكت الحرب بين المعسكرين المتناحرين ! وقد خص

قضية فلسطين وحصار مصر لاسرائيل بحيز كبير من بيانه اكد ما قررناه في اجزاء هذه السلسلة من المقاصد والنيات والسياسة المركزة التي كان الانكليز وظلوا يتمسكونها منذ البدء في قيام الكيان اليهودي في قلب بلاد العرب وتقويته وحمايته رغم انوف العرب وعواطفهم ومقدساتهم ودمائهم ليكون لهم نقطة ارتكاز ووسيلة تهديد وتخويف وسيطرة في الشرق العربي عامة وحائلاً من الحوائل دون تحقيق اهداف الحركة العربية الحديثة .

ومن الجدير بالذكر ان المعاهدة المصرية الانكليزية نصت على ان وجود القوات الانكليزية في منطقة القناة هو للتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عنها باعتبارها طريقاً للمواصلات العالمية والامبراطورية الى ان يحين الوقت الذي يصبح الجيش المصري قادراً على كفالة حرية الملاحة فيها وسلامتها التامة وحده في حين ان الانكليز يقولون اليوم إن إصرارهم على الاحتفاظ بمركزهم العسكري فيها هو للدفاع عن الشرق الاوسط بالنيابة عن الدومنيونات والدول الغربية وفي حين انهم يحاولون بكل قوة ودأب ضد تسليح مصر وغدوها قادرة على الاضطلاع بعبء الدفاع عن القناة بمفردها وليس فقط من بريطانية بل ومن أي كان تحاول مصر ان تحصل منه على السلاح والعتاد الذي يجعلها قادرة على ذلك ! بما فيه نقض صريح لنص وروح المعاهدة التي يعلن الانكليز انهم متمسكون بها نصاً وروحاً وانهم سيرغمون مصر بالقوة على تنفيذها واستعمال الحقوق التي منحوها لإياهم !

وفي هذه المعاهدة نص يحظر وقوف احد المتعاقدين موقفاً يضر بمصالح الطرف الثاني ويعاكسها ، ولكن الانكليز لم يبالوا بهذا النص حيث ظلوا يقفون المواقف الضارة بمصر ومصالحها وكرامتها منفردين حيناً ومع شركائهم في الآثام والجرائم حيناً آخر .

ولم يكن بسد لمصر من ان تقف الموقف الواجب فالقى وزير خارجيتها في البرلمان في شهر اغسطس ١٩٥١ بياناً مطولاً راعياً فند فيه حجج الانكليز وفضح نواياهم ومقاصدهم ومراوغاتهم ، كما نوه بمكائدهم في قضية فلسطين ، ودمغهم بأنهم اساس البلاء وحاضنوه من اول عهده الى اخر ما وصل اليه من نتيجة مشثومة عن علم وبنية وبقصد ارغام العرب ومناهضة اهداف حركتهم القومية الحديثة .

واعبر بيان الوزير الانكليزي اغلاقا لباب المفاوضة فأعلن عزم حكومته على الغاء المعاهدة وابطال مفعولها مما يترتب عليه عدم التعاون البات بين مصر والانكليز واعتبار وجود الانكليز في مصر والسودان عملاً عدوانياً من حق مصر مقابلته بالمثل بما تستطيع ، وبما ينطوي فيه ايدان بحلول مرحلة نضالية شديدة بين العرب والانكليز في سبيل القضية المصرية التي هي من أهم قضايا العرب ، والتي لها اثر عظيم او الأثر الأعظم في مستقبل الحركة العربية الحديثة .

ولقد ربح الانكليز من هذا الموقف الجاد الذي وقفته مصر والعزيمة التي اعلنت اعتزامها فعمدوا اولاً الى الدس واخذوا يقولون ان بيان وزير الخارجية المصرية لا يمثل رأي مجلس الوزراء وان بين الوزراء معتدلين لا يقرونه فكذبهم الوزراء ورئيس مجلس الوزراء واكدوا ان البيان كان مجمعا عليه ومعبراً عن وجهة نظرهم ووجهة نظر الشعب المصري كافة ، فعمدوا ثانياً الى المراوغة في القول ان وزير خارجيتهم لم يقفل باب المفاوضة وإن تفسير مصر لبيانه خطأ ، وارسل الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية كتباً خاصة يؤكد فيها هذا المعنى وبلغ عليها بالاثناد في الخطوة التي اعلنوا عزمهم عليها . ولكن مصر تبدو جادة حازمة في الموقف بعدما بلت من الانكليز ما بلت من غدر وكذب ومراوغة . اخذ الله بيدها (١) .

- ٣ -

مواقف الانكليز ومطاميرهم في العراق والاردن

وموقف الانكليز في العراق نفس موقفهم في مصر . فهم قد ترسموا السيطرة عليه بحجة حفظ مواسلاتهم الامبراطورية الهندية ولكنهم ظلوا متشبثين بها بعد ان قوضوا خيامهم عن الامبراطورية وجلاوا عنها . ورغم عهودهم التي قطعوها الملك حسين فانهم حاولوا ان يجعلوا سيطرتهم عليه سيطرة استعمارية بحجة منذ ان تمكنوا من احتلاله في اثناء الحرب العالمية الاولى . ومع انهم اضطروا الى التخفيف من غلوئهم حينما ثار العراق ثورته الالهية في سني ١٩١٩ و ١٩٢٠ ولا ينوا بعض الشيء ورضوا بقيام دولة عراقية بملكية فيصل بن الحسين فانهم ظلوا يصرون عن تلك

(١) ارسلنا الكتاب الى الطبع قبل ان تخطو مصر خطوتها الحاسمة المرتقبة .

الروح في الحقيقة ، وكانت المعاهدة الاولى التي عقدها لتحل محل الانتداب انتداباً مقنعاً يخولهم ان يكونوا اصحاب الشأن الاول في السياسة والجيش ودوائر الحكومة ومشاريعها واقتصاديات البلاد وان يكون لهم قواعد وقوات عسكرية فيها . ومع ان هذه المعاهدة قد عدلت بمعاهدة اخرى سنة ١٩٣٠ خففت عن العراق بعض القيود الا انها ظلت تجعل الانكليز اصحاب شأن في كثير من شؤونهم وخاصة في جيشه وسياسته ومشاريعه وثوراته كما خولتهم اتخاذ قواعد وايجاد قوى عسكرية في اكثر من مكان منه وتسخير مرافقه في اثناء الحرب وخطر الحرب وجعله ممراً لجيوشهم في أي وقت ، كما نصت على وجوب بقاء اساس التحالف العراقي الانكليزي قائماً في اي تعديل يدخل عليها قبل انتهاء مدتها وهي خمس وعشرون سنة ووجوب عقد معاهدة جديدة على هذا الاساس حينما تنتهي مدتها ! وبعبارة ثانية نصت على ضمان سيطرتهم بأي اسلوب كان الى اجل غير مسمى ... ولم يقصروا في نقض شروط المعاهدة كلما اقتضت ذلك مصلحتهم وخططهم على جري مالفهم في حين يتشددون كل التشدد في التمسك بها حرفاً وروحاً بالنسبة للالتزامات التي رتبتم فيها على العراق .

وقد دسوا اصابهم في ظروف وحوادث كثيرة بين طوائف العراق واجناسه واقلياته حيث شجعوا بعضها على التمرد وخوفوا بعضها من بعض لتظل حالة العراق الداخلية مرتبكة وشؤونه متعثرة بسبيل توطيد سيطرتهم وخططهم الاستعمارية . وكلما طالب العراق بتعديل المعاهدة ابتغاء النكاح من يرائهم واحتلالهم تفننوا في خلق العراق قبل وبث الوسائس والدسائس للحيولة دون تحقيق ذلك . وقد اوجدوا في اذهان القائمين على رأس العراق قناعة بأن كياناتهم قائم بهم فاستندوا في التمسك بهم والتوائت معهم والاندماج في سياستهم .

وامرهم في شرق الاردن قام منذ امله على الغدر والحيانة . فالمنطقة كانت متصرفية تابعة لولاية سوريا وظلت كذلك طيلة العهد الفيصلي ١٩١٨ - ١٩٢٠ . ولكن الانكليز كانوا يترسمون السيطرة عليها وعلى فلسطين معاً ، فهي متصلة بمحدود الحجاز ونجد والعراق معاً ، وفي حدها الثاني ميناء العقبة وخليجها على البحر الاحمر وهي طريق خطوط النفط ، وكل ذلك متصل بمصالح الانكليز الاستعمارية والاقتصادية كما هو واضح . فساوموا الافرنسيين وخطفوا عليهم بطريق تشجيع

العرب ضدهم بما اضطرهم الى الموافقة على التخلي لهم عنها على ما ذكرناه في الجزء الاول والثاني من هذه السلسلة ، وهكذا دخلت في نطاق انتدابهم حينما وزعت الانتدابات التي كانت مظهر غدر الانكليز بالعرب ومؤامرتهم عليهم ، وقد قاموا في البدء بمحاولات محلية في سبيل تركيز شؤون المنطقة المحلية ثم انتهوا إلى الاتفاق مع عبد الله بن الحسين على ان يكون على رأسها . وقد حاولوا ان يكونوا المتصرفين الحقيقيين القابضين على شؤون الدولة السياسية والمالية والعسكرية في هذه المنطقة ، وان يكون الستار الذي يستترهم عن المسرح رقيقاً بل لم يكن في الحقيقة ستار ما حيث كانوا بارزين على هذا المسرح في اكثر الظروف والمشاهد، وقد ظلوا كذلك مدة طويلة ثم خففوا بوزم بعض الشيء بالمعاهدة الاستقلالية التي عقدوها مع عاهل عمان والتي عدلت قبل بضع سنين ؛ غير انهم ظلوا من وراء الستار اصحاب الشأن الكلي في مختلف شؤون الدولة المالية والعسكرية والاقتصادية. وقد اقنعوا القائمين بالامر فيها بأن كيانهم قائم بهم فاشتدوا في التمسك بهم والتوائت معهم والاندماج في سياستهم الخاصة والعامة كما ضمنوا بقاء احتلالهم وسيطرتهم عليه الى اجل غير مسمى ايضاً .

- ٤ -

الامارات العربية

ومثل هذا يقال بالنسبة للامارات العربية المنتشرة على سواحل الجزيرة كالكويت والبحرين ومسقط وعمان وحضرموت ولحج والمكلا والشعر وعدن الخ حيث ترسموا السيطرة عليها في البدء بمحجة موصلاتهم الامبراطورية ثم غدت هذه الوسيلة غاية في ذاتها هنا وخاصة بعدما ظهر فيها من ينابيع النفط الغنية ، وهم الآن اصحاب السيطرة الشاملة في هذه الامارات مباشرة ومداورة ، وقد استطاعوا بث القناعة في ايمانهم بأن كيانهم قائم بهم فاشتدوا كذلك في التمسك بهم والتوائت معهم بل والاستسلام لهم استسلاماً تاماً .

المغرب العربي

اما قضية المغرب العربي وما يقاسيه من البلاء الشديد من فرنسا وما تترسجه هذه الدولة الباغية من خطط رهيبة وما كان لها من آثار غاشمة وما اقترفته من قسوة وشدة وتجريد وافقار وتجهيل وقمع وتنكيل وارهاب وما كان من شأن سيل المهاجرين الافرنسيين الى هذا المغرب وفتح آفاقه لهم فقد شرحناه في الجزء الثاني من هذه السلسلة .

نضال مصر والعراق والمغرب في سبيل الفطاك

ولقد ناضل العراق ومصر والمغرب العربي خاصة في سبيل الفكك من برائن الدولتين الباغيتين بشتى الاساليب وكان النضال يصل احيانا الى ثورات لاهبة يضحى فيها بالتضحيات الجسيمة . وحاول العراق في سنة ١٩٤٠ ان يفتنم فرصة الحرب فكانت ثورته الكبرى بزعامة رشيد عالي الكيلاني التي كانت تسجيلاً لحركة قومية خطيرة تشبه في كثير من ظروفها واهدافها حركة الملك حسين الخطيرة واهدافها مما كانت سيرتها ونتائجها .

ولم يمكن الوصول بهذا النضال الى نتيجة حاسمة مرضية الى الآن بسبب محليته من جهة وضعف بنية الامة العربية وقوتها من جهة واساليب الانكليز والافرنسيين الماكرة الباغية من جهة .

ومررب معالجة هذه القضايا جماعياً عفا نار فلسطين

ولقد آن اوان معالجة هذه القضايا معالجة قوية قومية وجماعية ، فان استمرار برائن الدولتين الباغيتين ناشبة في عنق البلاد العربية من اهم الموانع لسير الحركة العربية نحو اهدافها بقوة ونجاح كما انها من اهم اسباب تعثر الامة العربية في حياتها الخاصة والعامة والداخلية والخارجية معاً .

وتطور روح العالم بما يمكن ان يبسر النجاح لهذه المعالجة اذا جاءت كما قلنا جماعية وقوية ولا سيما ان الشعوب العربية وخاصة في المغرب ومصر والعراق

والاردن الذي اصبح ثلثا سكانه من عرب فلسطين يحقدون اشد الحقد على الافرنسيين والانكليز وهم مستعدون كل الاستعداد للاستجابة الى مثل هذه المعالجة والاندماج فيها .

ونعتقد ان هذه المعالجة يجب ان تكون المرحلة الثانية بعد معالجة قضية فلسطين على الوجه الذي شرحناه قبل . لأن معالجة هذه القضية اوجب تعجيلاً من جهة واكثر اسباب حفز ونجاح من جهة اخرى . فاجماع العرب قد انعقد على انها قضيتهم المشتركة الكبرى ، وشعورهم شامل وقوي بما نالهم في معركتها من عار وهوان وانكسار وبوجوب غسل العار واخذ الثأر . وما رسمناه من أسلوب علاجي لهذه القضية هو معقول الوقع والتنفيذ بالنسبة للعرب ولغير العرب معاً وخاصة من حيث كونه يستهدف تنفيذ قرارات صادرة من هيئة الامم . وقد تكون قضية فلسطين احسن مجال لتجربة معاهدة الدفاع المشترك ومداهها روحاً وتطبيقاً .

فاذا ما امكن حل هذه القضية على وجه مرض حالاً كلياً او جزئياً على الاقل في المرحلة الاولى استمد العرب من نجاحهم قوة عظيمة تساعدهم على معالجة قضاياهم القومية التي ذكرناها من دون ريب . ولعل هذا النجاح يأتي بالعلاج والحل لهذه القضايا على ايسر سبيل ايضا حيث تكون الدول العربية قد دشنت لنفسها عهداً عسكرياً وسياسياً وتضامنياً جديداً زائغاً وحيث تنقلب حالة العرب الروحية من حال الى حال وتقوى قوة عظيمة تجعل من الصعب على فرنسا وانكلترا ان تظلا مصرتين على موقفها الباغي من قضاياهم .

- ٨ -

ما يستطيع العرب عمله تجاه ابادة الازهاب

ولسوف يستطيع العرب إذا ما اصررت الدولتان على موقفها ان يشنوا حرباً عليها متعددة الجبهات من دعائية شديدة ضد كل ما هو افرنسي وانكليزي من مصالح وبضائع وشركات وامتيازات ومعاهد ومنشآت ومن نضالية دموية جماعية في آن واحد ووفق خطة موحدة عامة .

وقد اثبتت الشعوب العربية انها تستطيع حينما تلتهب عاطفتها ويثور حماسها ان تقدم على اعظم الاخطار وان تتحمل اشد العناء والتضحيات بقلب ثابت وعزيمة

صادقة وان تضطر القوى الاستعمارية التي لا سند لها إلا الباطل والفساد والبغى والتهويز الى الاذعان في احيان كثيرة ، وهي مستعدة ان تكرر الدور كلما دعيت اليه ، كما ان في وسعها ان تنزل افدح الاضرار بمصالح المستعمرين العظيمة في بلادها إذا ما رسمت لها الحطط وقام على تنفيذها جماعات قوية في ايمانها واخلاصها وهدفها القومي .

وفي ذات الوقت تثير الحكومات العربية هذه القضايا التي يناضل العرب عنها امام الهيئات الدولية ويكون لها من قوة النضال والحملات ما يساعدها على صرخة الحق الداوية ، ولن يكون امام فرنسا وبريطانيا إلا الاذعان حينئذ تران العرب قد عزموا عزيمتهم الاجتماعية ووضعوا نصب اعينهم المضي في نضالهم القومي الجماعي الى النهاية . حينئذ توضع هذه القضايا على بساط البحث ويمكن ايجاد الحلول المناسبة لها حسب ظروف كل منها .

ولا يقولن قائل اننا نضرب في بيداء الخيال . فالعزيمة النضالية الصادقة والجماعية كفيلة فيما نعتقد بتحقيق هذه النتيجة والامر اولا وآخرآ في يد العرب او بالاحرى في يد حكاهم ومنظاهم الرسمية والقومية ووهن بصدق عزيمتهم وقوة ايمانهم وتخليهم عما اعتادوه من التيهب والاثتاد والنعموة او بالاحرى الميوعة فيما يعالجونه من قضاياهم القومية .

اما الشعوب العربية فهي حاضرة للاستجابة بكل قوة الى كل تضحية وقادرة عليها بل ومرحبة بها . فالجراح التي احدثتها فيها الدول الباغية ثاغرة ، وهي تنتظر اليوم الذي تصدق فيه العزائم ويحسن فيه التوجيه ويجد فيه الجد . وسيكونون بعد نجاح الخطوة التي اقترحناها لحل قضية فلسطين اشد قوة وحامسا واندفاعا من دون ريب .

وعلى شبابنا ومنظائنا القومية بل والحكومية ان يتخذوا العدة لهذه الخطوة العظيمة منذ اليوم بحيث تؤلف لجنة قومية عامة تتمثل فيها مختلف الاقطار العربية وتمدها الحكومات بما يكفل لها النشاط والعمل ، فتضطلع بوضع الحطط والمناهج والدعوة الى العمل والتضامن فيه وبث الدعاية له واثارة روح الحقد والسخط

والنقمة على البغاة في مختلف الاوساط وبكل وسيلة وطريقة دون ما كل
ولا توان .

على انه إذا تراءى لاحد الاقطار ان يبادر الى النضال في سبيل حل قضيته قبل
ثأر فلسطين مما هو محتمل خاصة بالنسبة لمصر بعد ان بلغ الموقف بينها وبين
الانكليز ذروته من التوتر فيجب ان تعضدها البلاد الاخرى بكل قوة وشمول
وسعة وان لا تكتفي بالمظاهرات والدعاء بحيث تشن على الانكليز تلك الحرب
الشعواء الجماعية التي وصفناها دون تردد ولا تهب . فقد يكون النجاح في النضال
في سبيل القضية المصرية مؤدياً الى نتائج خطيرة ايجابية اخرى سواء في صدد قضية
فلسطين او القضايا الاخرى .



استدراك

بعد طبع فصل القضايا العربية الاخرى اقدمت مصر على تنفيذ خطوتها حيث اعلن مصطفى النحاس رئيس الوزراء في البرلمان في ٨ تشرين الاول سنة ١٩٥١ إلغاء المعاهدة والاتفاقات السودانية ، ووحدة مصر والسودان في التاج ، وقدم مشاريع القوانين والتعديلات الدستورية المقنضية ، وحيث وافق البرلمان ثم الملك فاروق على هذه المشاريع باجماع رائع وحماسة قومية بالغة ، وحيث اخذت مصر تعد العدة للخطوات التالية الكفيلة بتنفيذ هذه المشاريع ، بما اثار توتراً شديداً وجعل الانكليز يفقدون اعصابهم ، واخذ يؤدي الى نتيجته الطبيعية وهي الاحتكاك بينهم وبين المصريين . والاحداث التي وقعت في الايام الاولى تنذر باستداد العاصفة . فالانكليز اخذوا يرسلون النجيدات تلو النجيدات ويعلنون تمسكهم بما تخوله المعاهدة لهم من حقوق وارتفاق في ارض مصر ، ويصدرون التهديد بعد التهديد ، ويتظاهرون بالقوة الحربية ، ويستفزون شعور المصريين ويطلقون الرصاص عليهم بسبب وبدون سبب ويتوسعون في مناطق احتلالهم وينفذون ما يريدون بالقوة برغم الحكومة المصرية وقوانينها ، والمصريون يقومون بالمظاهرات الصاخبة ويتداعون الى الجهاد والتطوع والتسلح وحرب العصابات ، ويعلن زعمائهم وهيئاتهم التضامن وتضع الحكومة الخطط والتدابير التي تمكنها من مواجهة الموقف ومقتضياته في مصر والسودان ، وعشرات الآف العمال الذين يشتغلون في المعسكرات المصرية يمتنعون عن العمل . وهكذا عادت في مصر صورة الثورة الجامحة التي نشبت غام ١٩١٩ على شكل ونطاق اوسع واقوى ، ولم يبد ان الانكليز غيروا شيئاً من روحهم وذهنيتهم برغم تغير روح العالم الشديد . وقد اعلن البرلمان السوري واللبناني تضامنهما مع مصر ، واعلن رؤساء الحكومات العربية تأييدهم لها ، وقامت في انحاء سورية ولبنان والعراق مظاهرات تأييدية ، واعلنت الاحزاب السورية تأييدها وفعل مثل

هذا الصحف والاحزاب اللبنانية والعراقية ، واخذت الدعوة تشتد الى معالنة الانكليز العداء ، ومقاطعة بضائعهم ومشاريعهم . وقد وجب على العرب شعوبهم وحكوماتهم وصحفهم ومنظماتهم الوقوف الى جانب مصر الى النهاية وقفه حاسمة دون تردد ولا وهن مها كلف الامر حتى تبلغ مصر ما تريد من الجلاء والوحدة . ونعتقد ان هذه فرصة عظيمة . اذا لم يضيعها العرب بالتهاون والتخاذل كانت بداية النهاية لما يقاسونه من ذل وهو ان واستشار وتسلمت في جميع بلادهم . ولقد قدمت الحكومات الاميركية والانكليزية والافرنسية والتركية مشروعا لمصر زعموا أنه يحل المشكلة القائمة بينها وبين الانكليز ويهدف الى انشاء قيادة عامة تأخذ على عاتقها تنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط وتكون مصر ممثلة فيها وتنتقل قواعد الانكليز في القناة الى هذه القيادة التي تشترك فيها اميركا وفرنسة وتركيا ومن سوف ينضم الى الحطة من دول الشرق الاوسط والكومونولث (اوستراليا وزيلانده وجنوب افريقية) وتصبح التسهيلات والاتفاقات الخوالة للانكليز في ارض مصر واجبة لهذه القيادة .

والمشروع مداورة جديدة من المداورات الانكليزية التي تنوعت صورها خلال السنين الثلاثة الماضية باسم الدفاع المشترك ولكنها مداورة خطيرة او بالاحرى مؤامرة جديدة على بلاد الشرق العربي : فالانكليز باقون في مصر وسيشترك معهم في احتلالها قوات اميركية وفرنسية وتركية واوسترالية وزيلاندية وافريقية حتى ويهودية . . . وسينما تقبل مصر المشروع يشمل بقية بلاد العرب وتقوم فيها قيادات مماثلة تابعة للقيادات العامة ومدعومة بقوات مشتركة ايضا . وقد قدم وزراء الدول الاربع المفوضون صورة عن المشروع للدول العربية الاخرى في نفس اليوم الذي قدم فيه المشروع الى مصر ، واخذ هؤلاء الوزراء يتصلون بالحكومات العربية وبدورون ويلفون حولها في سبيل هذا الموضوع بما فيه دلالة حاسمة على قصد تشميله لجميع البلاد العربية على النحو الذي ذكرناه . وكل ذلك بقصد ربط الدول العربية جميعها بعجلة المعسكر الغربي ربطا محكما وابديا لا فكاك منه ، فتغدو به البلاد العربية تحت سيطرة وتصريف واحتلال هذا المعسكر باسم الدفاع عن

الشرق في الظاهر ولاستخدام مواردها ومرافقها ورافقة دماء ابنائها لضمان مصالح هذا المعسكر الاستعمارية والاستثنائية في الحقيقة لان الخطر الذي يخوف هذا المعسكر به العرب محتمل مفروض بينا شره وخطره عليهم واقع واهن على اوسع مداه احتلالا واستثناء ومطامع وشركات وامتيازات ومكائيد وخيانة وغدر ونيات مريبة، وناراً وحديداً وارهاباً وتدميراً وسلباً ونهباً كما يفعلون الآن في مصر وبلاد المغرب العربي وكما فعلوا في سورية ولبنان وفلسطين والعراق من قبل بالاضافة الى الشر اليهودي الاكبر الذي خلقه هذا المعسكر وأهانوا به العرب اعظم إهانة وجرحهم ابلغ جرح وجعلهم منه في هم مقيم مقعد يهدد بخطره بلادهم بمختلف صور التهديد، فضلاً عن انطواء المشروع على حماية هذا الشر بالقوة من اي محاولة عربية في سبيل القضاء عليه او إزعاجه، بحيث يمكن ان يقال بحق وجزم ان العرب واقعون من اذى هذا المعسكر وتصرفاته الراهنة ونياته المكشوفة في خوف وشر وخطر لا مزيد عليه ولا يمكن ان يبلغ الخطر المفروض الذي يخوفهم به مبلغه وخاصة في امة وبلاد سوادها الاعظم فقراء معدمون لا يكادون ينالون ما يسد رمقهم ...

ولما رفضت مصر هذا المشروع بإباء وشمم لتعارضه مع امالها وامانيها واعلنت البلاد العربية استنكارها له وتضامنها مع مصر في الرفض لانها لم يفتها ما في المشروع من نيات الكيد والمكر لجمع العرب اسفر المعسكر الغربي عن وجهه الكالح اسفاراً تاماً حيث اعلن تضامنه ضد العرب وعزمه على المضي في خطته سواء اشترك العرب او لم يشتركوا ووافقوا او لم يوافقوا، ولوح بالتضامن مع اليهود في هذه الحطط كما أذيع ان من خطته ان تحتل فرنسا لبنان وسورية وانكلترا بقية مصر واميركا المملكة السعودية عند اي بادرة لحرب عامة او خطرهما وان ترغم سورية ولبنان على وضع قواعد عسكرية تحت تصرف القيادة العامة في وقت السلم ايضاً اسوة بالعراق والاردن ومصر والمملكة السعودية !

ولقد وجب على الحكومات العربية ان تؤيد مصر في موقفها بكل قوة وتصميم وتضامن وان لا تؤخذ بتهويش المعسكر الغربي ومخدوعيه ومأجوريه وضغطه

وتهديده . فلن يفعل فيها اكثر مما فعل ، وليس لما يمكن ان يقطعه لها من وعد او عهد اي قيمة وضمان على فكاك بلادنا منه . ونيلها حقوقها من يده ، وقد سارت في ركابه في الحربين الماضيتين وقدمت بلادها وابناءها ومرافقها له فعاملها اشد مما عامل به اعداءه وغدر بها اشنع غدر ، وكانت مكافأتها منه في الحرب الماضية تجزئة واستعمار وذل واستئثار ما تزال آثاره قائمة شاهدة وكانت مكافأتها منه في الحرب الثانية الدولة اليهودية التي ما يزال يشند في تأييدها وتعضيدها وتقويتها لتكون الكابوس الاعظم على العرب وبلادهم بعد ان شرد اهل فلسطين اشنع تشريد وجردهم افطع تجريد .

ولقد وجب على العرب جميعهم حكوماتهم ومجالسهم وصحافتهم ودعاتهم وهيئاتهم واحزابهم ان يعالجوا بكل قوة ووسيلة كل موقف شاذ قد يظن بعض المتعقلين من ساسة العرب انه الافضل للمصلحة العربية من حيث مماشاة المعسكر الغربي في خططه ومشاريعه بعد ان قامت البراهين الحاسمة على ان العرب لن يجنوا منه الا الشر والكيد والمكر والغدر سواء أكانوا معه او ضده او وقفوا على الحياد من صراعه مع المعسكر الشرقي ، كما وجب ان تشتد الدعوة الى وجوب حذر العراق والاردن حذو مصر في الغاء معاهداتها مع الانكليز والى اعلان النضال الشديد الشامل في مختلف انحاء بلاد العرب ضد هذا المعسكر ومصالحه وشركائه وبضائعه وامتيازاته حتى تصبح هذه البلاد اتونا يحرق كل شيء من هذه المصالح والشركات والبضائع والامتيازات ويضطر اركانها الظالمين الى الارعواء والرجوع عن بغيهم وبغيتهم . وليعتصم العرب بجبل الله جميعاً ولا يتفرقوا وليذكروا ان الله ناصر من نصره وانه وعد المؤمنين الصادقين بالنصر مهما قلوا على الظالمين مهما كثروا اذا ما آمنوا وصبروا واتحدوا قلباً وقالبا ...

ولقد غدا تهاون الحكومات العربية في تحريك معاهدة الدفاع المشترك وتنفيذها بعد ان تفاقم الخطر على العرب جريمة كبرى وخيانة عظمى من دون ريب سواء كان هذا التهاون متعمداً او غير متعمد وصار تشديد الدعوة الى هذا التحريك والتنفيذ على لسان كل حزب وهيئة وصحيفة ومنبر ومناسبة اعظم وجوباً

من اي وقت آخر حتى لا يضيع وقت آخر على العرب فيما يجب عليهم عمله من اعداد خطط وتنظيم قوى وتجهيز وتسليح واستعداد وتوحيد قيادة ونظم ، وحتى يكونوا قد استعدوا لمواجهة اي موقف غدر يفاجأون به ، ويثبتون انهم جادون فيما يعلنونه من تضامن وتناصر ومن تصميم على عدم الوقوع في شبكة المؤامرة والحديعة مرة اخرى .

هذا ، ويظهر ان المعسكر الغربي قد اشرك تركية في تقديم المشروع الى العرب بقصد التأثير فيهم على اعتبار ان تركية دولة اسلامية ذات تاريخ وسلطان واسم سابق في بلاد العرب . ومن المؤسف ان تجاري تركية هذا المعسكر ضد العرب مجازاة واسعة ظهرت منها في مواقف مختلفة ولا تقتضيها مصلحتها فيما نعتقد مع انها تتظاهر بالرغبة في التوافق مع العرب من آن لآخر . فعلى جميع العرب ان يفهموا هذا فيها جيداً وان يقابلوه بما يستحقه ، وان يكونوا منه على حذر وان لا يؤخذوا بالتظاهر الزائف والتبرير الراهن ، وان يذكروا ان تركية الحديثة قد قامت منذ قامت على اساس تحطيم كل صلة بين الترك والعرب والوقوف من العرب موقف العدو المتربص ، وظلت على هذا طيلة ربع القرن الذي مر على قيامها ...

الفصل الثاني عشر

المطالبات اليهود العربية ووجوب استغلالها

قلنا في احدى المناسبات في الجزء الخامس إن الحكومات العربية لم تستخدم امكانياتها الميسورة في حرب فلسطين فضلاً عن إمكانياتها إطلافاً ، وإن هذا من اهم أسباب فشل العرب في المعركة الحاطمة .

والحق ان العرب لم يغلبوا في هذه المعركة ، بل ولا في غيرها من المعارك السياسية وغير السياسية بما اصابهم فيه كوارث ووهن عن قلة وضعف إمكانيات ، وإنما عن ضعف القدرة او بالأحرى ضعف العزيمة في إستغلال امكانياتهم الميسورة حاضراً والتي يمكن ان تنبسر لهم بالجد والجهد والهمة والارادة بما هو موجود في بلادهم ونطاق حياتهم ، وبما هو عظيم جداً من شأنه ان يضمن لهم النجاح والكرامة والقوة والاحترام في جميع الاوساط والظروف .

فتركية لا تعد من حيث السكان الا نحو ثلث الامة العربية ، وليست حالتها أحسن من حالتها في الثقافة والثروة وال عمران والبنية ولكن حكومتها احسنت استخدام إمكانياتها الميسورة وتسلحت بالعزم والارادة بسبيل استغلال إمكانياتها الموجودة فنالت وما تزال تنال ما فالت من احترام ومساعدات ومودة وحسبان حساب في الظروف العصيبة التي مرت وما تزال تمر بالعالم ، وعاد على بلادها من الفوائد العظيمة ما جعلها تخطو خطوات واسعة نحو التكامل الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والعمراني . وكان في امكان العرب ان يكسبوا حتماً ونهايئاً المعركة الفلسطينية لو أحسنوا الانتفاع بالفرصة الذهبية التي اتبعت لهم واحسنوا إستخدام إمكانياتهم الميسورة فضلاً عن إمكانياتهم الممكنة على ما شرحناه في الجزء الخامس ، بل وكان في إمكانهم ان يكسبوا المعركة في جميع قضاياهم لو احسنوا الانتفاع بالفرص الذهبية التي اتبعت لهم اثناء الحرب ولم بنقد رؤساؤهم بعاطفة المصلحة الخاصة والأنانية والمصالح الذاتية والاقليمية ويعصف بهم ضعف البنية والارادة والعزيمة سواء أفي سياق مشاورات الوحدة ام في سياق المفاوضات في امتيازات النفط ووقوفهم فيها موقف القوي الجاد على ما شرحناه كذلك في الجزء الرابع .

امكانيات البورد العربية العظيمة

ومها يكن من أمر فالذي نريد ان نقرره هو ان البلاد العربية والامة العربية ذات امكانيات عظيمة ، منها ما يحتاج الى جهد لتسييرها ومنها ما يحتاج الى تنظيم وحسن استخدام ، وان السير الذي تسير عليه الحكومات العربية في سبيل هذا وذلك بطيء ومرتعج في حين ان ظروف العرب لا تتحمل التأخير والاهمال ، واننا في حاجة الى خطوات او قفزات او بالاحرى ثورات جهدية وتشريعية لبلوغ الغاية المنشودة او على الأقل للسير في طريقها قدماً . وهذه الخطوات او القفزات او الثورات ليست مستحيلة على العرب ، ولا لا تتحمله البلاد العربية كما يظن البعض ، بل هي ممكنة ومتحملة بل نستطيع ان نقول ان البلاد واهلها ونعني السواد الاعظم على أتم استعداد لتعويضها ، لان وعيه وان كان سلبيا وجامداً كما وصفنا ، وكان هذا من اسباب سكوته تجاه ما ترتكس فيه البلاد من حالات مريعة فانه في حالة يستطيع معها ان يدرك خطر وضرر هذه الحالات المريعة ، وما لحق بالامة والبلاد من هوان وذل وخسارة عظمى من كارثة فلسطين ، وما تستمتع به الامم المتحضرة من رفاه ومستوى رفيع في الحياة والمعيشة وما هي عليه من قوة وثروة وعظمة ونشاط وعمران ، وما في بلاده من ثروات وقابليات عظيمة ، وما في امته من قوى كامنة ، وما يعود من ذلك كله اذا استثمار احسن استثمار واستخدم احسن استخدام من رفاه ورفعة مستوى وقوة ومجد وكرامة وغسل عار واخذ ثأر ، وان يتجاوب مع كل دعوة الى ذلك .

فانعطل من الاراضي الزراعية في بلادنا يزيد عشرات الاضعاف عن المزروع ، وقسم عظيم منه محلول وملك للدولة ، وعدد عظيم من سكان الارياف العربية محرومون مع ذلك من الارض ، والملكية الارضية في بلادنا موزعة اسوأ توزيع ، فهناك اشخاص او امر يملكون المساحات الكبيرة من الاراضي والعدد العديدين القرى في حين ان عدداً عظيماً من سكان الارياف محرومون من الارض كذلك ويستغلون اجراء بالكفاف او ما دونه في اراضي الملاكين ، واكثر المياه الجارية في بلادنا تذهب هدراً ، ويكمن في جوف اراضيها انواع عديدة وغنية من المعادن

تنتظر الجهد والاستثمار ، والحامات في بلادنا من حيوانية ونبانية ومعدنية متوفرة جداً ولكن جلها يذهب هدرأً او يخرج بالجنس الاثمان ليعود الينا مصنوعاً باهظها . واليد العاملة التي تستطيع ان تشتغل في الارض والمصنع وفيرة ورغم قلة السكان في بعض اقطارنا . ومعظمها متعطل او شبه متعطل لا تكاد تكسب اكثر من كفافها بسبب ضعف الجهد الصناعي والزراعي والاستثماري . وجل جهدنا في هذا السبيل في الوقت نفسه بدائي .

- ٣ -

أثر ضعف الاستثمارات في بلادنا

ومن اجل هذا فسادنا الاعظم في فقر مدقع ولا يكاد يحصل على كفافه الا بشق النفس . ودخلنا القومي ضعيف ويعد من المراتب الدنيا ولا يكاد يزيد معدل الفرد السنوي منه في احسن بلادنا عن الثلاثين جنيهاً (١) وينزل بعضها الى العشرين ودون العشرين في حين يبلغ في البلاد المتحضرة المئات العديدة . ومستوى المعيشة عندنا منخفض جداً حتى لا يكاد يتجاوز بالنسبة لسوادنا الاعظم الكفاف في اللقمة وستر العورة والنوم في الزرائب والجحور او ما في مثابها . وميزانيات حكوماتنا ضعيفة جداً حتى لا يكاد يزيد معدل ما يصيب الفرد في احسنها عن عشرة جنيهاً (٢) وينزل في بعضها الى الخمسة ودون الخمسة في حين يبلغ في البلاد المتحضرة المئات العديدة ايضاً ، ولذلك لا نستطيع ميزانياتنا ان تنسق مع حاجات البلاد المتزايدة الاصلاحية والعمرانية والعسكرية ، ومعظمها يذهب لمرتبات الموظفين ونفقات الدفاع ولا يكاد يصيب المشاريع الاصلاحية والاجتماعية والزراعية والثقافية والانتاجية الا نحو الربع او اقل . ومع ذلك فتكاد الطاقة تبلغ ذروتها لان هذه الميزانيات تستغرق ثلث الدخل القومي . وليس من السهل زيادة الضرائب زيادة

(١) يقدر الدخل القومي في مصر بستمئة مليون جنيه فيكون معدل الفرد نحو ثلاثين ويقدري سورية بستمئة مليون ليرة سورية فيكون معدل الفرد نحو (٢٦٠) ليرة سورية او ما يعادل الثلاثين جنيهاً . وسورية ومصر احسن البلاد العربية في هذا الباب باستثناء لبنان الذي يرجع ارتفاع دخله القومي النسبي الى اسباب خاصة وغير طبيعية .

(٢) يصيب الفرد في مصر من الميزانية نحو عشرة جنيهاً وفي سورية نحو خمسين ليرة سورية اي نحو ستة جنيهاً وفي العراق مثل ذلك اما المعدل في المملكة السعودية واليمن فهو اوطأ كثيراً .

كبيرة مها كان في الامكان اخذ مبالغ كبيرة من القادرين لان القوة الانتاجية والاستثمارية ضعيفة جداً . وما بدا في الظروف الاخيرة من نشاط حكومي وشعبي في سبيل معالجة هذا الضعف ما يزال دون المقتضى بمراحل عظيمة لانه يصدر عن روح رانية ويسير سيراً سلحفائياً . واننا لنسمع ونقرأ منذ عشر سنين واكثر عن مشاريع كهربائية وزراعية واروائية ومعدنية وصناعية كبيرة درست ووضعت لها الخطط والمناهج في مختلف البلاد العربية دون ان يسار الى الآن في سبيل تحقيقها خطوة جدية ما . ومها كانت الاسباب التي تبررها الحكومات هذا التقصير فاننا لانشك في ان السبب الجوهري هو تلك الروح وهذا السير قبل كل شيء ، وهذا في حين ان حالتنا تقتضي روحاً مندفعة وسيراً سريعاً يتناسبان معها ومع الزمن الذي يسير بسرعة عظيمة وبروح شديدة الاندفاع مما يبقي المسافة بيننا وبين غيرنا شاسعة جداً بل وبما يزيده من بعد هذه المسافة ايضاً ويبقينا في نطاقنا الراهن المسكين الذليل المستغل والمسيطر عليه من الغير ويبقي سوادنا الاعظم في حالة الفقر الشديد ويظل يجعلنا مضرب مثل في التأخر والتقصير والاهمال ومعدودين في هداد الامم والبلاد المتأخرة وفي حين ان بلادنا عظيمة الثروة والقابلية معاً .

- ٤ -

الحاجة الى التجديد والانقلاب في سبيل ذلك

ومن اجل هذا فمن الواجب ان تشتد الدعوة الى الاندفاع والسرعة في السير ونبذ هذه الروح الوانبة السلحفائية فيه وبكلمة ثانية الى التجديد والانقلاب في اماليب الحكومة والشعب على السواء حتى إننا لنتمنى لو امنا الطغيان ان يقوم على رأس حكوماتنا لمدة من الزمن ديكتاتورون موهوبون يضطلعون بهذا التجديد والانقلاب . ولقد قام على رأس الحكم في سورية في سنة ١٩٤٩ حسني الزعيم وسار سيراً ديكتاتورياً فاستطاع في برهة وجيزة ان يحدث ما يشبه الثورة في نواح واماليب عديدة تشريعية واقتصادية واصلاحية وإعدادية كان من شأنها ان تأتي بأحسن الثمرات لو لم توسوس لنفسه الامارة ولتبت فيه روح الغرور والاثرة فتطوح به ومها يكن من أمر فاننا نعتقد ان الدعوة إذا اشتدت فلا بد من ان تعمل عملها

في الاشخاص القائمين على الحكم والمرشحين له من رجال الاحزاب السياسية والمبادئ
الاصلاحية لتبذل تلك الروح وتبدلها بالروح التجديدية والانتقالية التي نحن في اشد
الحاجة اليها .

- ٥ -

منهج تركية الحديثة مثال يمكن اقتباسه في هذا الباب

ولحكوماتنا فيما سارت عليه تركية الحديثة من منهج مجال للاقتباس في امور
كثيرة بما ذكرناه . وقد ذكرنا تركية خاصة لانه كان بينها وبين البلاد العربية
مماثل كبير في الحالات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية والروحية .
ففي سبيل انعاش العمل الزراعي وتمليك المحرومين من الارض وضع في سنة
١٩٤٥ قانون الارض استناداً الى الدستور الذي سن في عهد مصطفى كمال استهدف
ثلاث غايات :

١ - تمليك ارض لمن لا ارض له او لمن ليس له ارض تكفيه من القرويين او
من يريد ان يشتغل بالزراعة من اهل المدن .

٢ - مساعدة المحتاجين من الفلاحين على تحسين اشغالهم الزراعية .

٣ - تشغيل الاراضي الصالحة باوسع واحسن ما يمكن .

وقد خول القانون وزارة الزراعة حق استملاك جميع الاراضي الوقفية وجميع
الاراضي العائدة الى ادارة الولايات والبلديات التي لا تستعمل في عمل ما وجميع
الاراضي التي تحمل ثلاث سنوات متوالية بدون سبب معقول والزائد عن خمسة
الاف دونم بما يملكه الاشخاص الحقيقيون او الحكييون . وقد اجاز كذلك
استملاك الاراضي التي يعمل فيها مزارعون واجراء زراعيون دائميون لا ارض
لهم او لا ارض كافية لهم ولو كانت اقل من خمسة الاف دونم على شرط ان يترك
لصاحبها مساحة تبلغ ثلاثة اضعاف الحد الذي يعتبر حداً اصغر للكفاية في المنطقة
التي تكون فيها الارض مع ترك حق اختيار الاقسام له، ومع عدم نقص ما يترك
له عن خمسين دونماً في حال . والحزينة هي التي تدفع بدل الاستملاك مقسماً على
عشرين سنة وبفائدة ٤٪ . وقد رسم القانون طريقة صالحة وسليمة للتوزيع روعيت

فيها الحاجة وعدد الاسرة والقدرة كما قرر ان تكون المساحة التي تعطي كافية لمعيشة فلاح واسرته . وتعطي الارض وما عليها من ابنية بالثمن وبطريق الدين بدون فائدة مقسطاً على عشرين قسطاً سنوياً يدفع اولها في اول السنة السادسة من بعد التسليم ، ويسلف الذي يعطى ارضاً المبالغ التي يحتاج اليها للتأسيس والاستغلال . وما يعطى من مال للتأسيس يكون ديناً مقسطاً على عشرين قسطاً سنوياً ايضا . وقد عهد الى المصرف الزراعي الحكومي بعمليات الاستملاك ودفع بدله والتسليف وقبض اقساط الديون الخ ...

وهكذا فتح هذا القانون الانقلابي العظيم المجال امام مئات الاف الاسر القروية التي لا ارض لها او لا ارض لها تكفيها وامام من يرغب في العمل الزراعي من اهل المدن كما جاء وسيلة لاعادة تنظيم توزيع الاراضي وازالة الفوارق العظيمة في حيازتها . وقد حاول كثير من اعضاء المجلس معارضة القانون لانه يمس بمصالحهم ولكن الحكومة كانت جادة حازمة فاستطاعت نيل موافقة الاكثرية عليه ، ومن ثم عد العمل فوزاً قويا - وانه كذلك - وتقرر جعل يوم القرار عيداً وطنياً .

وفي تركية من الاحراج مايزيد مساحته عن تسعين مليون دونم ، وفي سبيل تنظيم استغلالها وضع قانون باستملاك احراج الأوقاف والأشخاص ومجالس القرى والبلديات وجعلها ملكاً للدولة ؛ وانشئت مؤسسة خاصة ذات شخصية حكومية أخذت تبذل جهودها الفنية العظيمة والسريعة في سبيل استثمار الاحراج تخشيباً وتخطيطاً وتفعيلاً بما يبعث الأمل في غدو هذه المؤسسة مصدر ربح عظيم ونفع عظيم لخزانة الدولة واقتصاديات البلاد .

ولقد كانت الصناعة التركية ضعيفة فقد خلت الحكومة في هذا الميدان فأنشأت مرفأ سميته « سومر بنك » برأس مال غدا ضخماً بالتدريج وأنطت به تشغيل مصانع الحكومة والمصانع تشترك الحكومة في رؤوس أموالها ، ودزس وتحضير وإنشاء وتشغيل المؤسسات الصناعية والمساهمة في رؤوس أموال المؤسسات الصناعية الموجودة التي يمكن ان تستفيد البلاد من تقويتها وتوسيعها اقتصادياً وصناعياً وفتح مدارس لتثنية عمال ومعلمين للمصانع وإيفاد البعثات وتخريج المهندسين والفنيين والاختصاصيين وتسليف المؤسسات الصناعية الخ .. وكان مما رسم من

خطط لهذا المصرف ان ينشيء مصانع قوية للغزل والنسيج والورق والمعادن والمواد الكيماوية متوخى بذلك خلق صناعة وطنية وقومية والانتفاع بمخامات البلاد . وبما تقرر ان تحول المصانع التي ينشئها المصرف الى شركات مساهمة لتيسير اشتراك الجمهور فيها . وقد سير في العمل على طريقة مشروع الخمس السنوات وكان من اثره ان انشيء في الخمس السنوات الاولى ١٩٣٤ - ١٩٣٩ عشرون مصنعاً كبيراً للغزل ونسيج الصوف والقطن والحريز النباتي والورق والادوات المعدنية والشمنتو والقرميد والاجر والفولاذ واخديد كما دعمت مصانع عديدة للغزل والسكر والزجاج والاسفنج بالمساهمة المالية والاشراف الفني والاداري . وفي اثناء الحرب وسعت المصانع وزيد عددها واستطاعت ان تسد القسم الاكبر او قسماً كبيراً من حاجة البلاد وخاصة في الاقمشة القطنية والصوفية والورق والاراني والمواد الحديدية والفولاذية والترابية وغدت تستهلك نصف محصول القطن التركي الذي زيدت العناية به بسبب ذلك حتى بلغت مساحة زراعته سنة ١٩٤٢ (٣٥٢٦٨٠٨٧٠) دونماً بعد ان كانت سنة ١٩٣٢ (١٥٨١١٦٠) دونماً . ولا بد من ان نشاط المصرف قد استمر واتسع عما كانت عليه حينما كنا في تركيا وكتبنا كتابنا تركية الحديثة عام ١٩٤٥ .

وبالاضافة الى هذا فان الحكومة وجهت المصرف المعروف باسم مصرف العمل والذي نصف ماله منها الى صناعة السكر فانشأت شركة انشأت فوراً اول معاملها ، ثم انشأت بالاشتراك مع المصرف الزراعي والمصرف الصناعي الحكوميين معملين ثانياً ثم وحدت شركات السكر في شركة واحدة وجعل السكر حكراً لها . وقد كان لها في سنة ١٩٤٤ اربعة معامل كبيرة . ولم تكن زراعة الشندر ولا صناعة السكر مألوفتين فاهتم لهذه الزراعة حينما صارت تغذي المعامل ، وغدا نتاجها في سنة ١٩٤٤ (٥٨٩٦٩٠) طناً ونتاج سكرها (٨٩٨٠٢) طناً بعد ان كان الاول سنة ١٩٢٦ (٤٧١٠) طناً والثاني (٥٣٥٠) طناً . وبعد ان كان يجلب السكر لتركيا من الخارج بعشرات آلاف الاطنان غدت معاملته تفي بمحاجتها وتفيض قليلا للتصدير .

ولقد كانت حركة التعدين في تركيا ضعيفة واكثرها في يد شركات ورهن امتيازات اجنبية . فتدخلت الحكومة في هذا الميدان ايضاً وانشأت سنة ١٩٣٥

معهداً فنياً باسم معهد الابحاث والدراسات لتنظيم خريطة جيولوجية مفصلة لأجناس ومواقع وقيم عروق المعادن وبحث افضل الوسائل لاستثمار المعادن المكتشفة والممكن اكتشافها كما انشأت مصرفاً حكومياً اسمه مصرف المعادن ، وعهدت اليه بتنفيذ مشروع سنوات خمس في بحال التعدين اسوة بمصرف سومر في بحال الصناعة ، وكان من آثار نشاطه ان اشترى اسهم الشركة الالمانية لنحاس ارغني واربعة وعشرين امتيازاً معدنيا واشترى شركة مناجم فحم اركلي وزونفولداق وانشأت شركة الكروم لاستثمار هذا المعدن . وقد اصبح له في سنة ١٩٤٥ منشآت ومعامل عظيمة مجهزة بأحدث واغوى الاجهزة لاستثمار الفحم المعدني والفحم اللينيت والكروم والحديد والنحاس والكبريت النخ .

وقد اهتمت الحكومة التركية اهتماماً خاصاً للتبغ الذي اشتهرت به تركيا فأنشأت معهداً فنياً للاهتمام به واصلاح اجناسه ومكافحة امراضه وتشجيع زراعته ، حتى باغت المساحة المزروعة به سنة ١٩٤١ (٧٨٠٥٤٠) دونماً بلغت غلتها (٧١٣٥٦) طناً . . .

ويبدو مما ذكرناه ان الحكومة التركية سارت في خطواتها على اسلوب الدولية الاقتصادية او التأميم حيث رأت انه لا يمكن للبلاد ان تخطو خطوات واسعة في هذا المجال إلا على هذا الاسلوب بما هو وجيه جداً فيما نعتقد بالنسبة لحالة تركيا الثقافية والحلقية والاجتماعية .

وقد سارت تركيا على هذا الاسلوب في شؤون اقتصادية اخرى رامية بذلك الى تكثير موارد الخزينة من جهة والاشراف والصيانة من جهة اخرى ، حيث جعلت التبغ والكحول والمشروبات الروحية والكبريت والملح والسكر والنفط صناعة واستثماراً وبيعاً واشرافاً في يد مؤسسة حكومية مستقلة ذات شخصية حكومية . وكذلك صنعت تقريباً في وسائل النقل البحرية والبحرية والجوية . ولقد كان في تركيا عام ١٩٢٥ (٤٠٨٦) كيلومتراً من الخطوط الحديدية منها (٣٥٦٦) لشركات اجنبية فاشترت لغاية سنة ١٩٤٣ (٣١٦١) كيلومتراً جديداً . وقد حصرت النقل البحري في يدها ويد الشركات القوية التركية وقصرت حق الافراد على النقلات والاسفار القصيرة والصغيرة ، ثم امت شركة البواخر التي تشغل في

البوسفور ، فغدا لها سنة ١٩٤٢ اسطول بحري تجاري مؤلف من ١٢٠ قطعة بين صغيرة وكبيرة تديره مؤسسة حكومية ذات شخصية حكومية ومستقلة . وحسنت دار الصناعة البحرية التي كانت في عهد الدولة العثمانية بحيث غدت داراً عظيمة كانت تسد في سنة ١٩٤٤ حاجة تعمير الاسطولين الحربي والتجاري وتنشئ سفناً تجارية تجارية من حمولة ١٥٠ طناً . وقد رسمت خطة لتوسيع الدار لتكون قادرة على صنع بواخر وآلات بواخر لحمولة ٥٠٠٠ طن ، ولا بد من انها قد حققتها الى الآن . وجل المرافق ومستودعات المرافق في تركيا حكومية منها ما انشأته الحكومة انشاءً ومنها ما اتمته تأمياً بعد ان كان لشركات اجنبية ، وقد كانت تنشئ في سنة ١٩٤٥ مرفأين عظيمين على حسابها واحداً على البحر الابيض في الاسكندرونه وآخر على البحر الاسود في اريكلي . كذلك الامر في النقل الجوي ، فهو محصور في يد الحكومة ويصدر من قبل مؤسسة حكومية ذات شخصية حكومية ومستقلة هو الآخر . . .

ولقد وُضعت تعريفية جمركية استهدفت حماية الصناعات والغلات التركية الطبيعية والناشئة وتشجيعها كما استهدفت تقليل استيراد الكماليات ، واختطت في الاستيراد والتصدير خطة حكومية بحيث جعلت على اساس التقايض فلا يسمح بالاستيراد من بلاد إلا بنسبة ما تصدره تركيا الى هذه البلاد من غلات وخامات ومصنوعات ، وتعاقدت مع الدول الموردة والمصدرة على هذا ، فأدى ذلك الى نتائج باهرة من حيث نشاط الحركة الصناعية وسد معظم الحاجة المحلية ، ومن حيث حفظ ثروة البلاد من التبذد على الكماليات ، ومن حيث تحسن الميزان التجاري تحسناً بارزاً وغدوه في صالح التصدير بعد اختلاله وتفوق الاستيراد فيه على التصدير .

يضاف الى هذا القفزات العظيمة في سبيل التعليم على انواعه من صناعي وزراعي وعسكري ومهني وجامعي وابتدائي ومتوسط وثانوي وخاصة معاهد القرى ومأموري الصحة والقبالات التي تستهدف انشاء مدرسة وابتعاد مأمور صحة وقابلة في كل قرية خلال مدة تنتهي في سنة ١٩٦٠ .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة التركية استطاعت ان تفعل كل هذا قبل الحرب العالمية الثانية - باستثناء معاهد الريف وقانون الارض - في حين كانت

ميزانيتها تتراوح بين ٢٥٠ و ٣٥٠ مليوناً من الليرات التركية (١) ، وكانت نفقات الدفاع والديون العمومية تستغرق نحو نصف هذه الميزانية .

ولقد كان اهتمامها بالجيش عظيماً قبل الحرب العالمية المذكورة ثم اشتد في اثنائها وما يزال مشتدّاً . وهذا هو الذي جعل لها ما ذكرناه من مركز محترم وحسبان حساب في اثناء الحرب من قبل المعسكرين المتصارعين على السواء وعاد عليها بأعظم الفوائد المادية ايضاً .

ولقد كانت الجندية في تركيا من الاصل اجبارية مع بعض التساهل ، فسدت ثغرات كثيرة من هذا التساهل حتى اصبح لا يكاد يستثنى من الجندية والتدريب احد ، وللمتعلمين دورات خاصة اجبارية التنفيذ مهما كان المركز الذي يشغلونه . والتعليم العسكري في المدارس المتوسطة فصاعداً اجباري وشامل للبنين والبنات على السواء ونظامه قوي وجدي وليس مجرد لعب وتفكه كما هو عند من ادخل فيه من بلادنا .

ولقد كان معدل نفقات الدفاع قبل الحرب يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ في المئة من الميزانية فارتفع هذا المعدل اثناء الحرب الى ٤٠ ثم الى ٤٥ حيث احتفظت تركيا بنحو مليون جندي وجعلت البلاد في حالة الطوارئ . وهذا المعدل هو الميزانية العادية ويضاف اليها ميزانيات خارقة كانت توضع خصيصاً للتسلح وتبلغ مئات الملايين وتسدد بضرائب خارقة احياناً وقروض داخلية وخارجية احياناً .

- ٦ -

محكمه ويجب انه يكونه عندما ما لاه في تركيا

وما تم في تركيا في هذه المجالات التي ذكرنا طرفاً منها بإيجاز وعلى سبيل المثال يمكن ان يتم مثله في الاقطار العربية بطبيعة الحال بل ويجب ان يتم مثله واكثر منه . فامكانيات بلادنا وثرواتها الظاهرة والمكنوزة عظيمة جداً واهلية شعبنا ونباهته عظيمنتان كذلك ، وحاجتنا الى الاصلاح وتحسين المرافق والاحوال المعاشية شديدة جداً ، والزمن قد تقدم وتقدمت معه الاسباب والوسائل وسهلت في ذات

(١) كانت الليرة التركية تعادل الليرة السورية وكان كل ثمانى ليرات تعادل جنياً مصرياً تقريباً .

الوقت . فيجب كما قلنا ان تشدد الدعوة الى نبذ الروح الوانية المترددة التي كل همها ترجية الايام والحلول السطحية العابرة التي تدعو العالم المتحضر إلى احتقارنا والاستهتار بنا والتكالب على استغلالنا واستبدالها بروح تجديدية انقلابية استناداً يجعل استجابتها مما لا مناص منه في الاقدام على نهضة كبرى في مختلف المجالات وحسن استغلال امكانيات البلاد والامة وقواها ومواهبها وثرواتها العظيمة . فقد آن للعرب ان ينهتوا من هذه الحالة البائسة التي تجعلهم وتجعل بلادهم في عداد البلاد والامم المتأخرة الدنيا ، وان يلتحقوا بقافلة العصر المجدة التي استطاعت ان تسخر قوى الكون وان تفعل المعجزات والعجائب في ميادين العلوم والفنون والابتكارات والاختراعات وان تنتفع بذلك الى اقصى حدود الانتفاع في تحسين بلادها وحالة امتهاثرة ومستوى وعمرانا وصحة وثقافة ورفاها ونظاما ، وان يتداركوا أمرهم وكرامتهم وثرواتهم وقضاياهم بروح تجديدية وانقلابية .

-- ٧ --

الشركات الأجنبية

ومن اهم ما ينبغي الاهتمام له بشدة وقوة في هذا المجال امر الامتيازات الاجنبية التي تجعل كثيراً من مرافق البلاد وثرواتها المعدنية وغير المعدنية والسائلة والجمدة تحت سيطرة الشركات وتسمح لها باستدراة وافر الارباح منها بما لا يعد ما تستفيد به البلاد وخزينة الدولة منه الا تافهاً وهذا فضلاً عما لها من آثار ضارة في السيادة والسياسة العربية القومية من حيث يدري العرب ولا يدرون ، حتى كادت تكون نعم الله على البلاد العربية بسبب ذلك نقما وكاد يصير ما وهبها الله إياه من اسباب القوة والثروة اسباب ذل وضعف .

فمن اوجب الواجبات ان تشدد الدعوة الى معالجة هذا الأمر معالجة ناجعة وحازمة إما بتأميم هذه الشركات واستئثارها من قبل مؤسسات حكومية وهو الافضل واما باعادة النظر في شروطها بعد الدراسة الوافية الشاملة وضمن معظم الربح والفوائد على خزينة الدولة واهل البلاد وازالة كل قيد يمس بسيادة الدولة والمصلحة القومية من قريب او بعيد وإبقاء هذه الشركات في نطاق المستثمر المالي المعقول . فكثير مما كان ان لم نقل جميعه قد كان املاء وتحكما وفي ظروف قاهرة؛

وحالة العالم تيسر امكان إعادة النظر فيما كان وضمن حق الجزينة واهل البلاد المشروع في ثروات بلادهم وعدم استمرار استنزافها من الاجانب في حين يقاسي اهل البلاد ما يقاسونه من بؤس وحرمان وضنك عيش وجهل ومرض ، تقاسي خزينه الدولة ما تقاسيه من عنت وضيق شديدين ، وليس من محل لتهيب الدول التي تقبع وراء هذه الامتيازات والتي لن تستطيع ان تعمل شيئاً غير التهويش الفارغ أمام الجدد والحزم .

الثروة النفطية العربية

ونريد ان نخص امتيازات النفط وانابيبه بالذكر في هذا المقام . فان الله قد منّ على البلاد العربية بثروة نفطية هائلة من شأنها ان تؤثر في مجرى سياسة العالم جميعه سلباً وإيجاباً . ولقد كان من شأنها ان تكون اقوى وسيلة لحل قضايا العرب فضلاً عن ان تكون اعظم وسيلة لاصلاح شؤونهم الداخلية لو احسن رؤسائهم الانتباه واغتنام الفرص ونحلوا بالارادة والعزيمة والرغبة الصادقة والتجرد . ومع ذلك فظروف العالم وتطوره يسمحان للعرب في كل ظرف ان يستفيدوا من هذه النعمة الالهية اعظم استفادة حينما يجدون ويعتزمون ويصدقون في الرغبة سواء في مجال نيلهم حقهم الطبيعي باعتبار انهم اصحاب الثروة وان الشركات ليست الا صاحبة رأس مال ليس له الا الربح المعقول فيستولون على معظم الارباح وينفقونها على مشاريع الاحياء والعمران والاصلاح الكبرى ، وسواء في مجال السياسة العالمية الذي تجعلهم فيه ذوي شأن كبير يساعد على المساومة وحل قضاياهم القومية . ولقد آن لهم ان يجدوا ويعتزموا ويصدقوا في الرغبة ، ومن الواجب ان تشدد الدعوة الى ذلك بقوة ودأب واستمرار . ونقولها ثانية ان من الواجب عدم تهيب الدول القابعة وراء هذه الشركات فلن تفعل الا تهويشاً ولا ينبغي ان يؤثر هذا فيما إذا ما عزمنا وصدقنا الرغبة .

وجوب الحرص بعد الانه

ومن تحصيل الحاصل ان نقول بعد هذا ان من الواجب ان تتشدد الحكومات العربية كل التشدد ازاء اي عروض شركات وامتيازات اجنبية ، وان تمنح أي ترخيص الا عند الضرورة الفنية والمالية القصوى وفي نطاق يضمن مصلحة الدولة

من كل ناحية وبالنسبة للحاضر والمستقبل ، ولشركات من دول غير طامعة ولا غادرة ولا ترمي الا الى العمل الاقتصادي لذاته ، وان عليها ان تضطلع هي بالمشاريع الاستثمارية الكبرى الزراعية والصناعية والمعدنية والكهربائية والنقلية على حسابها وبمساهمة الاهلين في رؤوس الاموال اللازمة وعن طريق مؤسسات حكومية مستقلة على النمط الذي سارت عليه الحكومة التركية على ما ذكرناه قبل . فهذا هو الذي يمكن ان يتسق مع مصلحتنا القومية من ناحية سياسية ومن ناحية اقتصادية وفيه كل الخير والفائدة .

وطبيعي ان هذا لا يمنع ان يستعان في تأسيس وإدارة هذه المشاريع بخبراء من الاجانب لمدة من الزمن مع شرط الحذر منهم وتفضيل من لا يمت الى الدول الغادرة . وفي خلال هذه المدة يجب الاهتمام لتخريج شباب العرب بمقياس واسع في مختلف الفنون والعلوم ليسدوا الحاجة ويتولوا انشاء وادارة الاعمال والمشاريع فنياً وإدارياً ويقتبسوا معجزات الغرب في مختلف مجالات العلوم والفنون ليحققوها في بلادهم .

- ٨ -

المشاريع والسوود العمرانية الاخرى

وهناك مسألة مهمة إن لم تتصل باستغلال إمكانات البلاد فهي متصلة بتحسين مستواها العمراني والصحي والمعاشي بما يمكن ان يعد مساعداً لذلك الهدف ونعني بها مسألة تنظيم الطرق والانارة والمدن . فان هذه الامور عندنا ما تزال تسير هي الأخرى سيراً وانياً ومرتبلاً ولم تبدل جهود مثمرة في سبيلها .

فالوسائل العصرية التي تقرب الأبعاد الشاسعة بين انحاء القطر الواحد فضلاً عن الاقطار المتجاورة ضعيفة . واكثر الطرق ما زال بدائياً فضلاً عن رصفه وتجهيزه بوسائل النقل والأمن الحديثة ، واكثر احياء المدن في حالة روثية من حيث الجواد والشوارع والانارة والنظافة والمنظر وطراز البناء والمرافق العامة ، وإذا كانت هناك عناية ما فهي عناية ضعيفة ومنافقة ان صح التعبير حيث تبدل نحو احياء الاغنياء والكبراء والشوارع الكبرى وحسب بل وفي الجبهات المريئة من هذه الاحياء بحيث لا يلبث المرء ان يكتشف في الزوايا غير البارزة مناظر تقذى منها العين

قدارة وتشويها وإهمالاً ونبوّاً عن الذوق .

فمن الواجب كذلك ان تشتد الدعوة الى الاهتمام بهذه الشؤون المتصلة بحياة الشعب وصحته وذوقه ومستواه بحيث توضع خطط ومناهج فنية وتنفذ بسرعة واندفاع ، وتهدف الى تعميم وصف الطرق وتجهيزها بوسائل الامن والسلامة وربط النائي منها بالشبكات الحديدية ، وتخطيط المدن الكبرى والصغرى ووضع نظم حازمة لذلك ، وتحسين حالة مساكن الفقراء والعمال واحيائهم بناء وإثارة وماء ونظافة وطرقا .

ونحن نعرف ان هذه الامور بل اكثر ما ذكرناه في هذا الفصل ليس بما يغيب عن اذهان دوائر الحكومة المختصة ورجالاتها الفنيين والاداريين والاقتصاديين ، ولكن الروح الوانية والسير السلحفائي في اعمالنا وخطواتنا والتهرب من التبعات والاكتفاء بالحللول السطحية المرتجلة وتزجية الايام بها ، كل ذلك مما هو مشاهد ملموس يبعث في النفس يقينا بعدم شعور تلك الدوائر ورجالاتها بالحاجة الشديدة شعوراً صحيحاً وعدم اندماجهم بسوء حالة البلاد والامة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وما يلصق بها من ذلك من سوء السمعة ويعود عليها من الاحتقار والطمع ، وهو ما يفسح المجال لتكرار القول وما يجب ان تشتد الدعوة في سبيله .

الفصل الثالث عشر

جهاز الحكومات العربية ووجوب نظيره وتنظيمه

- ١ -

وبما يجب ان تشدد الدعوة اليه مسألة تطهير وتنظيم جهاز الحكومات في البلاد العربية . وهذه مسألة على جانب كبير من الخطورة اصلتها بالحالة الاليمية والروح الوانبة في بلادنا وحكوماتنا .

وجل جهاز الحكومة في بلادنا من تنظيم المستعمر من حيث الاصل ، وقد لعبت المحسوبية وسوء الاستغلال والارتجال دوراً كبيراً فيه ايضاً فأصبح فضفاضاً يستغرق جزءاً عظيماً من ميزانية الدولة يصل في بعض الدول إلى ٤٠ ٪ و ٣٥ ٪ و ٣٠ ٪ عدا مرتبات الجيش ، فضلاً عما أدى اليه ضعف الانتاج وتوزيع المسؤولية . وقد كانت من آثار ذلك انه لم يكن مجال للتوسع في الاتفاق على مشاريع التعمير والتعليم والصحة والاصلاح الاجتماعي والزراعي والصناعي والنقل والجيش ، فظلت هذه المشاريع تسير سيراً وانياً وضيقاً ، بحيث لم يكن يتجاوز ما ينفق عليها - عدا الجيش - الخمسة والعشرين في المئة وفي بعض البلاد كانت هذه النسبة تنزل إلى الخمسة عشر حتى ان ما كان ينفق على التعليم في بعض البلاد لم يكن يتجاوز الاثنین في المئة ! . .

ومع ان الحكومات العربية قد اهتمت حينما خفت وطأة يد المستعمر في بعض البلاد لاصلاح جهازها وزيادة التخصّصات لمشاريع الاعمال النافعة لاصلاحية والانتاجية فان ما فعلته الى الآن لم يكن من شأنه سد الحاجة او شيء مهم منها ؛ حيث ظل جهازها في الغلب على حاله مادياً وروحياً بل قد ساء في بعض الظروف عن ذي قبل بما تتردد الشكوى منه ومن آثاره على كل لسان وفي كل مكان سواء من حيث البطء والاهمال او ضعف الانتاج او كثرة الايدي او فقدان المسؤولية او سوء الاستعمال والاستغلال والرشوة والمحسوبية والتأثر بالنفوذ الخ . .

وجوب الاستعانة بالخبراء الاجانب

فالواجب يقضي كما قلنا ان تشدد الدعوة الى إعادة النظر في جهاز الحكومات واختصاره وتنظيمه وتطهيره بدون التأثر بأي اعتبار إلا مصلحة العمل والدولة ؛ كما يقضي تزويده بالخبراء الاجانب الصالحين . وهذه مسألة جديرة بمزيد من الاهتمام والعناية . فمهما تكن ثقافة الموظفين وخبرتهم فان روح النظام والتنظيم والانتاج والدراسات المستوفاة وحسن استعمال الوقت والوسائل بما ينقص كثيراً منهم لأن ذلك كله مظهر من مظاهر الخلق والروح والمران اكثر منها نتيجة للتعليم السريع . فنحن والحالة هذه في حاجة الى خبراء لكل فرع من فروع العمل لاعادة تنظيمه اولاً وبث روح النظام والتنظيم والانتاج وحسن استعمال الوقت والوسائل واستيفاء الدراسات ثانياً . ولا يهولن عدد الخبراء مهما كان لان الحاجة شديدة الى روح جديدة لا يبشأ إلا من هي فيه خلقاً وروحاً ومراناً . هذا فضلاً عن الاحتمال الكبير في ان يكون المال المبذول في هذا السبيل مثمراً من حيث كون تنظيم الخبراء سيقبل في الارجح عدد الموظفين وسيزيد في الانتاج .

وهنا مسألة جديرة بالتنبيه ، وهي وجوب العناية الشديدة في اختيار الخبراء وعدم الانخداع بالمظاهر والالقاب اولاً والابتعاد عن نطاق الدول الطامعة والغادرة بقدر ما يمكن ثانياً .

مؤسسات مستقلة للمشاريع الكبرى

وهنا كذلك مقام اقتراح كنا عرضناه على لجنة الدستور السورية ، وهو جعل الشؤون التعليمية والعمرانية والاجتماعية في عهدة مؤسسات حكومية مستقلة لها صفة الاستمرار ولا تتأثر بتبديلات وازمات الوزراء ، لان هذه الشؤون يجب ان تسير وفقاً لمشاريع وخطط ومناهج مدروسة تستغرق مدة طويلة . والوزارات كثيرة التبدل والتعديل في بلادنا على ما هو مشاهد ، وكثيراً ما عمد الوزراء الجدد الى تغيير أو تعديل مناهج وخطط الوزراء السابقين إما للكيد الحزبي وإما للمباهاة

في أحيان كثيرة فتمتعثر بذلك تلك الشؤون ويذهب كثير من الجهود والاقوات والنفقات هدرآ وهباءً . ومن الممكن ان يجعل لمجلس الوزراء وليس للوزير المختص فقط حق في إعادة النظر في مشروع من المشاريع أو خطة من الخطط فيكون في ذلك سدا لما يمكن ان يكون من ثغرات واططاء كانت في الاصل او ظهرت في اثناء التطبيق .

ويجب ان تسير المشاريع الكبرى التي يجب ان يسار فيها بسبيل استغلال ثروات البلاد وتقوية امكانياتها المتنوعة بما ذكرناه في الفصل السابق على هذا الاسلوب ايضا لان هذه المشاريع مثل تلك تسير وفقاً لمشاريع وخطط ومناهج مدروسة طويلة الامد وتحتاج الى صفة الاستمرار في الادارة والاشراف والتوجيه ، بل لعلها اشد حاجة الى ذلك واكثر موضعاً له . وقد سارت تركيا على هذا الاسلوب فيما قامت به من مشاريع زراعية وصناعية ومعدينية ونقلية واحتكارية وتحريرية حيث جعلت لكل منها مؤسسة حكومية مستقلة مضمونة الاستمرار .

- ٤ -

معايير يجب ان تزول

ومن المعايير التي آن لها ان تزول وان تشتد الحملات ضدها الى ان تزول جعل مكاتب الحكومة وخاصة مكاتب كبار موظفيها ملتقي الزوار والاصدقاء وغرفاً للمطالعة ، وتأثيثها بفاخر الاثاث والرياش ، والاسراف في سيارات الدولة وسوء استعمالها والفقامة في الحفلات والاستقبالات والمراسم والتبذير فيها . فبلاد يعاني سوادها الأعظم ما يعانيه من الفقر ويعيش فيما يعيش فيه من مستوى منخفض ويحتاج الى الدرهم فضلاً عن الدينار لمشروعاته الحيوية لا يجوز أن تنفق ما تنفقه على هذه الفقامة والضيخامة والاناقة والعبث . . وهذا فضلاً عما تؤدي اليه من سوء القدوة وقلة الانتاج وهدر القوى والاكتفاء بالمظاهر الزائفة والتكاليف عليها .

ومن المعايير الشائنة التي يجب ان تشتد الحملات ضدها كذلك ما يتعرض له جهاز الحكومة ومشاريعها من قلقلة واضطراب بسبب طبيعة الحياة الحزبية في بلادنا فكثير ما يتغفل اثر الحزبية في جهاز الحكومة فيزيده خللاً الى خلله ، وكثيراً ما يعمد الحزب الحاكم الى ملء الوظائف المهمة بل والثانوية بالمنتسبين اليه واضطهاد الذين كانوا ينسبون الى الحزب

السابق ، وكثيراً ما حمل هذا الموظفين على التزلف والنفاق لرجال الحزب الحاكم
 مهما كان لونه واقتراحات المحالفات القانونية والاقدام على ما لا يتفق مع مصلحة الدولة
 والبلاد في سبيل تحقيق مطالب ورغبات هؤلاء الرجال بما كثرت الشكوى منه
 واستشرت اخطاره وساءت آثاره . ومع ان بعض الحكومات حاولت التظاهر
 بالتزهد والترفع واعلنت البلاغات بسبيل منعه إلا ان الامور مازالت على ما وصفنا .
 ويتبع هذا في احيان كثيرة مشاريع الحزب الحاكم السابق حيث يعتمد الحزب الحاكم
 الجديد الى توقيفها بحجة الدراسة والتعديل ثم اهمالها والبده بغيرها وهكذا دواليك
 بما فيه اهدار للقوى واضرار بمصالح الدولة .

ولقد جنحت بعض الحكومات الى احدث وكلاء دائمين وامناء عامين فنيين
 واداريين للوزارات تقليداً للغرب على اعتبار ان الوزراء سياسيون ومتبدلون وان
 مصلحة الدولة تقضي ان يكون جهاز الحكومة ومشاريعها مستقرة يقوم على امرها
 موظفون دائميون ذوو سلطات وخبرة كافية . غير ان هذه المحاولة لم تلبث ان
 بدت تقليداً مسيخاً حيث ادرك اثر الحزبية الذي ذكرناه هؤلاء بشره ايضاً من
 حيث القلقة ومسايرة الاهواء والرغبات على حساب مصالح الدولة وجهازها !

- ٥ -

التنافس على الحكم واستغلاله

والمناسبة ملائمة لذكر ما يلزمه الناس من اشتداد شهوة الحكم والتكالب على
 المناصب في رجالتنا وما تقاسيه البلاد من جراء ذلك من بلاء وضرر كبيرين مادياً
 ومعنوياً وداخلياً وخارجياً .

ومن ابرز مظاهر البلاء والضرر في ذلك سوء الاستغلال حتى يبدو ان اشتداد
 تنافس رجالتنا واحزابنا على الحكم واشتداد شهوته في نفوسهم انما هو بسبب ما
 يعود منه من منافع ومكاسب وجاء او بقصد تحقيقها لانفسهم في الدرجة الاولى .
 وإذا كان هذا القصد او ذلك السبب لم يكن في نفوس بعضهم في بعض الظروف
 فان هؤلاء كثيراً ما اغروا بها وارتكسوا في اثمها بعد التمكن من الحكم
 والمناصب .

والناظر في سلسلة الاسماء التي تولت وتتولى الحكم والمناصب يجد عدداً غير قليل منهم قد انتفع بالحكم والمناصب انتفاعات متنوعة مباشرة ومداورة . فمنهم من اغتنى واصبح له المزارع والعقارات والمدخرات والقصور وفاخر الاثاث والرياش وثمين الحلي ونعيم الحياة بعد أن كان فقيراً ، ومنهم من كان مديناً او متعثراً في شؤونه الخاصة فخلص من ديونه وعثاره واستوت حالته ، بما لا يمكن ان يكون ذلك بالمرتب الذي يتقاضونه حيث تكون نفقاتهم ضعف هذا المرتب فضلاً عن اتساعه للتوفير والاكتناز والامتلاك . .

وتتحدث المجالس والصحف في احيان كثيرة احاديث صريحة او مضنية في هذه المظاهر وتذكر حوادث واعمالا معينة الاسماء والظروف والصفقات جنى منها بعض متولي الحكم طائل الاموال .

ومن هؤلاء من تنزه عن الرشوة ولكنه انتفع هو وابناؤه ونساؤه وانسباؤه وذوره بنفوذ الدولة فاستورد وصدّر واخذ المقاولات وتاجر وشارك فكان له ما يراه الناس من غنى بعد فقر وترف بعد شظف وبسطة بعد ضيق وصار له العقارات والمزارع والقصور والاثاث والرياش والحلي وكانت له هذه الحياة البرمكية التي يحياها .

وبطبيعة الحال ان هؤلاء واولئك يكونون الاسوة السيئة لاصحاب المناصب التالية لهم يسировن على هداها في الانتفاع والكسب والادخار وسوء الاستغلال المباشر والمداور .

ولا ينكر ان البلاد الاخرى من غربية وشرقية لا تخلو من مثل هذه الحالة المريرة ، وان كثيراً ما يكون فيها فضائح داوية من هذا القبيل . غير أن الفرق هو ان ما هو نادر وآحادي في الغرب كثير ويكاد يكون مألوفاً عندنا بما جلب علينا اسوأ الاحدوثه وأبشع التهم وجعلنا مضرباً للامثال .

يضاف إلى هذا ما تعود ان يلقاه الذين يتولون الحكم والمناصب العليا في بلادنا من تعظيم وتفخيم وتزلف بحيث يشعروهم هذا انهم غدوا فوق البشر فيفترون ويشمخون بانوفهم . ويضاف اليه ايضاً اعتبار كثير من الذين يتولون الحكم ان الدولة مزرعة لهم ولهم الحق في إدارتها والتصرف فيها تصرف صاحب المزرعة

بزرعته ، فيملأون دوائرها بالاقارب والانساب والاصدقاء والاختصاص أو يختصونهم بما يعود عليهم منه المكاسب والمنافع مباشرة ومداورة . وليس من النادر ان تقرأ في الصحف خبر قيام مشروع من مشاريع الري أو الطرق أو المعابر أو الاستملاك أو المناقصات أو المزايدات أو المفاوضات أو خبر صدور قرارات مانحة أو مانعة ثم يسفر الامر عن ان هذا قد جرى لخدمة الاقرباء والانساب والاصدقاء والاختصاص .. وهذا ما يجعل الذين يتولون الحكم في بلادنا يتهاككون على الكراسي ويحللون الحرام ويحرمون الحلال ويناقضون انفسهم ويخلفون وعودهم ويخشون باليمانهم في سبيل الاحتفاظ بها وإذا اضطر بعضهم الى تركها قهراً فإنه لا يتوانى لحظة واحدة في استهداف العودة والعمل لها بكل قوة ووسيلة رصفة ..

وقد يصدر عن بعضهم اعمال نافعة ومشاريع صالحة فتراهم يلاؤون الدنيا تطييلاً وتزويراً ومنأً كأنما فعلوا معجزة الدهر وأنوا بعجيبه العجائب .

- ٦ -

الافطاعية الاسرورية واثرها

وتلعب الافطاعية الاسرورية والمالية دوراً كبيراً في هذا المجال ، حيث كثيراً ما تكون صاحبة الشأن والمرشحة في الدرجة الاولى للحكم بسبب ما يكون اصحابها عليه من المال والجاه والنفوذ والانصار . وهكذا يقوم على الحكم في ظروف كثيرة اناس متخمون متفوفون قلما يشعرون بالآلام الشعب ومشاكله ومتاعيه الاقتصادية والاجتماعية ، ويكون كل همهم الاحتفاظ باقطاعيتهم ومصالحهم الخاصة وتوطيدها والدفع عنها والتفني في أساليب استغلال الحكم لانفسهم وذويهم وانصارهم وأخصائهم .

- ٧ -

الشعور عام ضد الاستغلال وضعف أثره

ومع ان هناك شعوراً قوياً بما في هذه الحالة من شذوذ وضرر وخطر ، وان الاصوات ترتفع من حين لحين بوجوب معالجتها من شتى نواحيها الا ان هذا ما يزال اضعف من ان يؤدي إلى نتائج ايجابية قوية من شأنها تبديل الحالة تبديلاً كبيراً.

فمنذ سنوات والالسنه تردد في مصر والعراق وسورية ولبنان مثلاً وجوب وضع قانون « من أين لك هذا » بالنسبة للذين تولوا مناصب الدولة ووظائفها ويتولونها الآن وبعد الآن بسبب ما هو مشاهد ملموس من آثار سوء استغلال هذه المناصب والوظائف والاملاك الواسعة والأموال الطائلة التي يجرزها بعضهم والحياة المترفه بل السفهية التي يجيئونها والتي لم تكن لهم قبل دون ان يكون اثر ايجابي جدي لهذا التريد حيث لا يلبث الصوت ان يخفت والموضوع ان يطوى والمشاريع القانونية ان تهمل . ولا يتورع بعضهم عن الدفاع عن هذا الاهمال بأن مثل هذه التشريعات ستكون وسائل للاحقاد والضغائن والعداء والانتقام ونشر الفضائح مما يكون اثمه اكبر من نفعه، بل ومنهم من قال إن وضع مثل هذا القانون للموظفين فقط ظلم وإنه إذا كان يجب ان يوضع فانه يجب ان يكون لجميع الناس بحيث يمكن ان يسأل كل فرد من الامة « من أين لك هذا » لأن هناك من يثري بالغش وبالغبين الفاحش وبالتلاعب في الأسواق وبالرشوة الخ مما فيه مفارقة ظاهرة كل القصد منها تعطيل المشروع واسكات الصوت المرتفع من اجله ؛ ومنهم من اعترض على شمول القانون ما قبله بما جعل بعضهم يصف الاعتراض بأنه بمثابة الحكم بالاعدام على الفكرة (١) وكثيراً ما يقرأ الناس ويسمعون عن فضائح وسرقات ورشوات وصفقات تنسب الى بعض الذين يتولون مناصب الدولة وعن تحقيقات تجري في صدها حتى ليوشك المرء ان يظن الجدل في الأمر وان أجنأه لن يلبثوا إن تمسك يد الحق والعدل بخناقهم، ثم ينجلي الجو عن لا شيء حيث تكون الأيدي الكبيرة النافذة قد تدخلت فطمست المعالم واخفقت الدلائل ووهنت الشهادات وبدلت التقارير الخ .

وإذا ادین موظف في بعض الأحيان بمثل هذه التهم فانه يكون في الأغلب من

(١) بعد كتابة ما تقدم وافق البرلمان المصري على قانون « الكسب غير المشروع » وجمله رجباً بعد ان كانت النية عدم جملة كذلك . وكان هذا غداة الموافقة على مشاريع إلغاء المعاهدة وعلان وحدة مصر والسودان . وهكذا سقت مصر البلاد العربية في تحقيق هذه الفكرة العظيمة والحاجة الملحة ، وسجلت حكومة الوفد لنفسها فخراً عظيماً ووضعت اساساً من اساس حماية الشعب والدولة ومصالحها من استغلال المستغلين والتلاعب باليدى القذرة . وقد وجب ان تشتد الدعوة في البلاد العربية الى الاقتداء بمصر في هذه الخطوة بأسرع ما يمكن اولاً والى الحيلولة دون بقاء هذا القانون حبراً على ورق ثانياً .

الصغار الذين لا سند لهم ولا جاه والذين يكونون في الاكثر ضحية من ضحايا الكبار ، وقد لا يتعدى ما دخل في ذمهم العشرات وقد يكون الجوع هو الذي ساقهم الى فعلتهم .

- ٨ -

مآثر الممارك الانتخابية واهدافها

وفي كل معركة انتخابية نيابية تجري في بلادنا تبذل الاموال الطائلة حتى يقدر ما يبذل احياناً فيها وخاصة في مصر بملايين عديدة من الجنيهات وحتى لببذل المرشح ثلاثة او اربعة اضعاف جميع ما سوف يتقاضاه من مرتب النيابة طيلة مدتها، وليس لهذا الا تفسير واحد وهو حرص الاقطاعية الأسرورية والمالية على اشغال مناصب الدولة وكراسي الحكم واطمئنانهم الى ان ما يعود عليها من ذلك سيكون اضعافاً مضاعفة .

مسخ الحياة النيابية في بلادنا

وقد غدت الحياة النيابية في بلادنا بسبب ذلك مسخاً مشوهاً لا يكاد يعدو نصيبنا منها المظاهر والشكليات واشباع رغبة الكلام . والحكومات التي تشرف على الانتخابات النيابية تتدخل في الاغم الأغلب فيها وتوجهها الى حزبها الى جانب الدور العظيم الذي يلعبه المال فيها كما قلنا . ويغدو كثير من النواب لا يهمهم الا ضمان مصالحهم واسترداد ما بذلوه من مال وجهد اضعافاً مضاعفة فيترلفون من اجل ذلك الى الحكومة القائمة مها كان لونها فيمنحونها الثقة مقابل ما تقضيه لهم من مطالب ورغبات خاصة . وهكذا تضمن الحكومات استمرارها في الكراسي بالتواطؤ مع النواب . ولم يكذب سجل في حقبة ربع القرن الذي امتمرت فيه هذه الحياة ان اسقط مجلس نيابي حكومة ما مها كان لونها بسبب هذا التواطؤ .

وجوب استناده الدعوة ضد هذه الامور الثلاثة

فالواجب يقضي ان تشتد الدعوة بل الحرب ضد هذه الامور والمظاهر السيئة خلقياً واجتماعياً والضارة بمصالح الأمة وروحها وسمعتها وكيانها ومستقبلها . وعلى الشباب والمنظمات القومية ان تضطلع بعبء هذه الدعوة بكل قوة وشدة ووسيلة واستمرار ، وان تثير نقمة الامة عليها وتوجه نحوها وعبئها حتى تخف ثم تزول . فقد آن الامة ان تتخلص من هذه الاقطاعية المستغلة التي لا يهتمها الا ان تنغم بالمال وتبطر بالبذخ وتنفق في وسائل الترف بما لا يسر في الحقيقة الا عرقها ودمها وجهدها . وقد آن ليد الحق والعدل والانتقام ان تبش بطلان كل من يخون ما اؤتمن عليه من مال الدولة ومناصبها بكل شدة وقوة . وقد آن للقضاء والامة ان تسأل كل من يبذخ ويثري ويحيا حياة برمكية ويقنني العقار والقصور بمن تولوا الحكم ومناصب الدولة والنيابة سابقاً ويتولونها اليوم وبعد اليوم « من اين لكم هذا » وان تصدر اموال الذين لا يبرهنون على ائرائهم بالطرق المشروعة واملاكهم وقصورهم وحليهم وان تنهراً في السجون ظهورهم وجنوبهم . وقد آن للمال ان يقف عند حده المحدود فلا يكون هو الناظم الأقوى للانتخابات والمناصب . وقد آن للكفالات الشخصية والمباديء ان تشغل الحيز كله في مجالات الحكم والنيابة والأعمال العامة . وكل هذا كفيل به الدعوة القوية الداوية والمستمرة .

الفصل الرابع عشر

الاحزاب في بلادنا وماخذها واعمالها

- ١ -

أثر الاعتبارات الشخصية في احزابنا

كذلك بما آن له ان يعالج معالجة شافية وإيجابية مسائل الاحزاب والنكتلات السياسية. فبينما نجد «الفكرة» هي الناطقة لأحزاب البلاد المتحضرة نجد الاعتبارات الشخصية هي الناطقة لها في بلادنا في الأعم الأغلب مما هو سر كثرة الاحزاب عندنا مع تماثلها وتقاربها وسر ما ترتكس فيه من ارتكاسات متنوعة الأشكال .

فأكثر الأحزاب والكتل السياسية التي نشأت في بلادنا متقاربة في المبادئ والمناهج والأساليب ، والمميز لها هو اشخاص القائمين . وكثيراً ما نشأت الاحزاب عندنا كأنشقاقات عن الهيئة الاولى التي حملت لواء النضال الوطني بتأثير الاعتبارات الشخصية وحدها او على الأقل بتأثيرها في الدرجة الاولى كما كان شأن حزب الاحرار الدستوريين والحزب السعودي وحزب الكتلة الوفدية في مصر التي كانت القائمون بها مندمجين في الوفد ثم انسحبوا منه او اخرجوا منه لاعتبارات شخصية . ومن هذا القبيل الحزب الوطني الفلسطيني الذي قام سنة ١٩٢٢ والذي كان كثير من القائمين به من جماعة المؤتمرات واللجان التنفيذية ، وحزب الشعب السوري الذي كان رجاله البارزون الذين قاموا به اعضاء في الكتلة الوطنية الخ .

وبعض هذه الانشقاقات كانت تنأت عن انفقاد التمازج والتجانس بين فريق وفريق ممن هم مندمجون في الهيئة الأم كما كان شأن احزاب فلسطين الخمسة التي نشأت في سنة ١٩٣٢ وبعدها على ما ذكرناه في الجزء الثالث من هذه السلسلة كما كان بعضها يتأثر بسبب ما كان يبدو من زعيم الكتلة او الهيئة الأم من رغبة في التحكم والاملاء او انسياق بتيار الهوى والانانية والمصلحة الخاصة فيسوق هذا بعض الاقوياء الى الانسحاب ضناً بكرامتهم وشخصيتهم بما مرده على كل حال الاعتبارات الشخصية .

وهناك احزاب نشأت في فورة من فورات النشاط الوطني والسياسي محدودة الاشخاص . والدافع الأقوى في نشأتها الرغبة في اثبات وجود الاشخاص الذين أنشأوها - وغالبا ما يكونون من الاقطاعيين والطامحين - والدفاع عن مصالحهم واعتباراتهم الشخصية .

وحقئ الاحزاب الناشئة التي يبدو عليها من حيث التسمية والمنهج انها قامت على فكرة ودعوة معينة سواء اكان ذلك في مجال المبادئ والنظم الاقتصادية أم الاجتماعية فان كثيراً منها مماثل في الخطط والاساليب بل وفي التسمية كما ان الشخصية فيها بارزة بوضوحاً حتى لتكاد تكون الفكرة قد جعلت وسيلة او تكأة لقيامها بحيث تكون جهود الحزب ونشاطه وقوته منوطة بالشخص او الاشخاص البارزين الذين انشأوه وبحيث يكاد يكون هدف هذه الجهود والنشاط هو بروز هذا الشخص او الاشخاص ، واذا كان منها من اهتم للتشكيلات وانشاء الفروع وإكثار المنتسبين فقلما كان ذلك بسبيل بث الفكرة والدعوة اليها بدليل عدم تردد اصداة قوية لذلك وعدم ظهور آثار قوية منها على المنتسبين .

والاحزاب التي قامت على دعوة او فكرة وتوخت العمل القومي او السيامي او الاجتماعي لاذاته قليلة جداً ، وقد ظلت ضيقة النطاق محدودة النشاط لانه يعوز القائمين بها الايمان والاستغراق والطمح الأتلى ، وقل ان سلمت مع ذلك من تأثير الشخصية واعتباراتها .

- ٢ -

مقابلة بين نظرتنا ونظرة الغرب في موضوع الاحزاب

ونحن إذ ننتقد ان تكون الاعتبارات الشخصية نافذة لاحزابنا لا نعني اننا ننكر اثر الشخصية وقوتها في نجاح الحركة العامة ومنها التكتلات والجهود الحزبية في بلاد الغرب ايضاً ، غير ان الفكرة والمبادئ وقصد التضامن فيها وتنظيم الجهود والاساليب في سبيل تحقيقها هي التي تكون نافذة لهذه التكتلات في تلك البلاد في الدرجة الاولى ، فاذا كان القائمون بها ذوي شخصيات قوية قوية دعوة الحزب ومبادئه واصابت النجاح ، وهو امر مستحسن ومفيد بطبيعته الحال . واحزاب الغرب تظل سائرة في جهودها ونشاطها ودعوتها على كل حال سواء أكان

القائمون على رأسها اقوياء الشخصية ام عاديين بعكس الحال عندنا حيث لا يلبث الحزب ان يتلاشى حينما يفقد رجله او رجاله البارزين الذين قاموا به لان الشخص والاعتبارات الشخصية هي مادة الحزب الاولى او الرئيسية .

وبسبب هذا وذاك يكون المنتمون للحزب في بلاد الغرب ممن هم قانعون بالفكرة والمنهج ومندمجون فيها سواء جمعهم مع رجال الحزب البارزين او مديري دفته جامعة من معرفة او صداقة او زمالة او تجانس اخلاقي او روحي او ملوكي او ديني ام لم تجمعهم بينا يكون الانتماء للاحزاب عندنا رهناً بهذه الجامعة قبل كل شيء بل رهناً بها وحسب في اغلب الاحيان . وكثيراً ما وقع ان انسحب عدد كبير من حزب حينما ينسحب الشخص البارز الذي يمتون اليه بسبب من تلك الاسباب كما ان كثيراً ما وقع ان ينتسب عدد كبير الى حزب حينما ينتمي اليه الشخص البارز الذي يمتون اليه بسبب منها .

وبسبب هذا وذاك ايضاً لا يقوم هذا العداء الشديد والكيده العنيد واستباحة الاذى والعدوان الشخصي بين الاحزاب في الغرب كما يقوم عندنا ، ولا تقوم المعارضة ضد الحزب الاقوى والحاكم على اساس الاعتبارات الشخصية وفكرة التهديم بوجهها ، كما ان الحزب الحاكم والاقوى لا يعتبر المعارضة عدواً يجب تخطيطه وسد المنافذ عليه .

- ٣ -

ما عاد على بلادنا من اضرار بسبب المطبوعات الحزبية

والمستعرض لظروف الحركات السياسية والنضالية وحركات الاحزاب ونشوتها وانشقاقاتها في بلادنا يرى انه قد عاد من هذه الانشقاقات والتعدد وما نشأ عنها من مكابيات على القضايا القومية افدح الاضرار، وان ما منيت به الجهود السياسية والنضالية في سبيل هذه القضايا من إخفاق وعدم جدوى وعدم انتفاع بما كان من روائع البطولة وجسيم التضحيات التي كان يبديها الشعب حينما تنقد حماسه ، وما كان من تمكن المستعمر من الاحتفاظ بركزه وسيطرته ونفوذ دسائسه ومكائده ونجاحه في تفريق الصفوف وإضاعة ثمرات الجهاد والضحايا كل ذلك يكاد يكون بسبب ما كان من مكابيات الاحزاب وتجاذبها وتدافعها وانانية القائمين بها واعتباراتهم

الشخصية ، وهذا فضلاً عما كان يرتكس فيه جماعات الاحزاب وصعافتها من ارتكاسات ترخص فيها الاعراض وتختل فيها موازين الاخلاق وتمون فيها الكرامات وتسود فيها الصفحات ويبدو فيها من كربه المشاهد وبشع المناظر وشديد العداء والجفاء والقطيعة والاذى بين ابناء البلد الواحد بل بين ابناء الاسرة الواحدة مما لا يدخل تحت اي ضابط من عقل ومنطق وخلق وكرامة وصدق وامانة شفاء لحزاقات النفوس وسخائم الصدور وتأثراً بالاهواء والاعتبارات والمصالح الخاصة بما كان منه صور اليمة جداً في مصر وسورية وفلسطين والعراق ولبنان .

وتبعاً لذلك اصبح الوصول الى الحكم لاجل الحكم نفسه هو الهدف الاول لجهود هذه الاحزاب ونشاطها وتنافسها ، وقل ان توخت في تشكيلاتها ايقاظ الشعب وتنويره وتنظيمه وإصلاح شؤونه ، وإذا ما كان لحزب ما فرصة في التوسع في التشكيلات والنفوذ الى الشعب بسبب موقف من مواقف او ظرف من الظروف او بسبب نشاط القائمين عليه ومطامحهم فيكون كل همه استغلال الفرصة ضد الحزب الآخر او الحكم القائم حتى إذا استلم الحكم نسي جل ما كتبه في منبهجه من مباديء وخطط وما وعد به من وعود طويلة عريضة وما كان ينعبه على الحزب الحاكم من عيوب واخطاء ويستثير حقد الناس وسخطهم عليه ، وتمكين الانصار والاختصاص من ذلك ، واتخذت الاحزاب الاخرى خطة التربص والتجريح والتشهير والطعن واللمز واغداق الوعود واستغلال الفرص حتى إذا آل الحكم لواحد منها سلك نفس الطريق الذي سلكه من قبله ...

وقلما وجه نقد للحزب القوي او الحاكم في بلادنا بنية حسنة وبقصد الاصلاح والتقويم من جانب الاحزاب الاخرى ، وقلما قابل الحزب القوي او الحاكم نقداً او معارضة ضده بصدر واسع ايضاً ، وقلما اعترف حزب معارض بما قد يصدر عن الحزب الاقوى او الحاكم من اعمال ومواقف ومشاريع فيها نفع ومصلحة وخير . والشعور الاقوى بين احزابنا يتمثل في كون الحزب المعارض عدواً للحزب الحاكم او الاقوى يتربص به الدوائر ويشير ضده الكراهية ويبدل جهوده في هدمه للنكابة وشفاء النفس وفي كون الحزب الاقوى والحاكم ينظر الى الحزب او الاحزاب المعارضة بنفس النظر فلا يروعوي عن اضطهاده وتجريحه ونشر الدعايات والمطاعن والمغامز

ضده وسد المنافذ عليه وتعطيل مصالحه .. وكثيراً ما اندمجت الاسر والمحولات برمتها في هذه العواطف العدائية المتقابلة او اثرت الامر والمحولات برمتها وحملت على الاندماج فيها وغدا الامر بين جماعات الاحزاب عصبية قبلية جاهلية يستباح بتأثيرها وفي ظلها ما لا يجوز من مال وعرض وملك ومصالح بل ودماء وظلم وعدوان وتروير .. لان الاعتبار الشخصية هي المؤثرة الاولى في الاحزاب والناظمة لها .

- ٤ -

وراجب الشباب في معالجة هذه المآل

وقد يكون كل ما ذكرناه عن حالة الاحزاب ورجالها وناظمها عندنا مظهرآ من مظاهر ما نحن عليه من ضعف البنية الاخلاقية والاجتماعية والثقافية والسياسية وما لا تزال نحياه من حياة العصبية القبلية او ما في مثابتها . غير ان هذا لا يجوز ان يستمر بطبيعة الحال . والشباب هم المرشحون كذلك لاصلاح هذه الحالة لانهم اقل استغراقاً وارتكاساً ورسوخاً في تلك الحياة بطبيعة سنهم ، وقد كثرت المتعلمون منهم كثرة عظيمة وغدا امكان الانسجام بينهم وتسويد المصالح العامة على الاعتبارات الشخصية اكثر ، فواجبهم القومي يقضي عليهم بأن يجعلوا الفكرة والمناهج هي الناظمة الاولى والرئيسية فيما دعواهم اليه من التكتل والتشكل سواء في المجال القومي السياسي او غيره من المجالات الاجتماعية والثقافية والاصلاحية المتنوعة ، وان يكون قصد التشكيل هو تنظيم الجهود والاساليب في سبيل تحقيق الفكرة والمنهج .

ولقد نبهنا في مكان آخر الى ما نحن في اشد الحاجة اليه من التنظيم والتركيز والتوجيه ، وهذا الواجب يشدد خطورة بدرجة شدة الحاجة بطبيعة الحال ؛ وسيظل نجاح الشباب في مهمتهم العظمى منوطاً الى درجة كبيرة بنجاحهم في التغلب على هذه النقائص والمآل . فعليهم ان يقدموا على الاضطلاع بالعبء بايمان وقوة وجدل وتضحية وإدراك صحيح المقصد واستغراق فيه .

- ٥ -

توجيهات في بيان المعالجة

وهناك امور يجب التنبيه عليها في هذا المقام :
منها وجوب تفرغ بعض الناس للعمل الدائم في المراكز والفرع والاعمال

المهمة الأخرى وضمان مرتبات لهم تغنيهم عن التكسب . وهذه مسألة مهمة جداً في حياة التشكيلات . لأن إناطة الأعمال المهمة بالتطويع تؤدي في الغالب الى الإهمال والتعطيل وفقدان الشعور بالمسؤولية أو التهرب من العمل أو إيكاله الى غير الأكفاء والمخلصين له ويقال هذا بالنسبة للهام الموفنة والرحلات التي ينتدب اليها بعض الأعضاء لمقاصد العمل بحيث يجب ان تضمن لهم نفقاتهم حتى يقوم بالمهمة القادرون عليها كفاءة وإخلاصاً لا مالياً والفرق عظيم كما لا يخفى .

ونحن نعرف ان هذا يحتاج الى المال . وقد بحثنا هذا الامر في مناسبة سابقة وانتهينا منه الى ان الذي يعوزنا في الدرجة الاولى هو إدراك المسؤولية والشعور بالواجب والاندماج فيه . فاذا توفر هذا وهو ما نعول على الشباب المثقف فيه وندعوم اليه أمكن حل المسألة المالية . لان هناك منافذ كثيرة في حياة الشباب وغيرهم يتسرب منها المال الكثير الى ما لا فائدة منه ولا جدوى فيه بل وإلى ما فيه ضرر من كاليات وهويات ومحرمات .

منها وجوب الاكثار من الفروع بحيث تتغلغل في كل حي وقرية إذا امكن . ويجب ان يقام على شؤونها اناس متفرغون مخلصون للفكرة او الدعوة ليلبذوا جهودهم في البث والتنظيم .

ومنها وجوب الاهتمام لهيئة ابنية دائمة للفروع حتى يتاح لاهل الحي او القرية فرصة الاجتماع والاستماع ، ويجب تزويدها بما يجيب الناس التردد عليها من وسائل التسلية البريئة . وهذه مسألة مهمة تكاد تكون اسامية في حياة التشكيلات . وقد اهتم لها حزب الشعب التركي فاختط خطة ايجاد ابنية لفروعه المنتشرة في كل مكان سماها « بيوت الشعب » وجعلها مباحة لجميع الناس وزودها بما يجيب التردد عليها ، ورسم لها خطة عمل ونشاط متنوعة المناحي من اجتماعية الى ثقافية الى صحية الى فنية الى خيرية الى قومية فنجحت الخطة وكان لها آثار بارزة .

ومنها وجوب التدقيق في امر الاشخاص وخاصة الرئيسين والبارزين . فان التساهل في ضم الاشخاص الى التشكيلات قد ادى دائماً في بلادنا الى فشل العمل الحزبي بمعناه الفكري والمنهجي ، حيث وقع كثيراً ان انضم بسبب التساهل اشخاص الى تشكيلة ما ضعفاء في اخلاقهم ومبادئهم فاستغلوا التشكيلة لمصالحهم الخاصة ، ونشطوا في الدس والمكر في داخلها لضمان هذا الاستغلال ، او لم يعبأوا

بواجباتهم الحزبية من حيث احترام مبادئ التشكيلة وقراراتها والتطابق معها بمجد وإخلاص وفي السراء والضراء .

وما ذكرناه من نتائج التساهل في انتفاء الاشخاص يصح ايراده في نتائج التساهل معهم بعد الانتفاء . فقد لا يكون ضعف اخلاق بعضهم ومبادئه معروفاً ثم يبدو هذا الضعف بعد الانتفاء بشكل من الاشكال التي ذكرناها آنفاً . فالواجب ومصلحة التشكيلة وفكرة التربية الاجتماعية والسياسية كل هذا يقتضي الحزم في مثل هذه الحالات وعدم التساهل فيها . فبقاء مثل هؤلاء الاشخاص في داخل التشكيلة بأي عذر كان سيكون عاملاً تهديماً لا بد من ان يعمل عمله كما انه سيكون قدوة سيئة لغيرهم وممعة سيئة للتشكيلة ؛ وذلك فضلاً عما يكون من مجانبة الاخلاق ومقتضيات التربية السياسية والاجتماعية .

ومسئلة اخرى نجس ذكرها في هذا المقام وهي مسألة التمازج والانسجام . فان للتمازج والانسجام تأثيراً كبيراً في قوة التشكيلات وسيرها ونجاحها . وكثيراً ما رأينا ان عدم توطدهما بين أعضاء تشكيلة ما قد أضعفها وجعلها قليلة النفع والانتاج بما كثر في داخلها من المشاكسات والمناقضات والتشاد ، وان ذلك قد كان سبباً لبعض الانشقاقات التي حدثت في تشكيلاتنا الحزبية .

وهذه المسألة وتلك قد تكونان بما هو خاص بنا وبأمثالنا الذين لا يزالون ضعفاء في بنيتهم وأخلاقهم وروحهم الاجتماعية والسياسية والثقافية وتمتان في الاغلب الى الاعتبار الشخصية . ولا بد لنا على كل حال من مراعاتها الى ان يزول ضعفنا ونغدو في طور تكون الفكرة والمنهج والواجب فوق كل اعتبار ويصبح الذوق الاجتماعي والثقافي والسياسي والروح الرياضية هي الناطقة لسلوكنا في تشكيلاتنا وفي اتصالاتنا العادية على السواء .

فيجب على القائمين بأمر التشكيلات ان يهتموا لانتقاء إخوانهم ممن عرفوا بالخلق القويم والنية الحسنة والرغبة في العمل المخلص ، ومن تشبعوا كذلك بروح المسألة وحسن الانسجام والتمازج والذوق الاجتماعي والثقافي والروح الرياضية ولم يعرفوا بالمكر والمراوغة والافراط بالأنانية والمشاكسة واللجاج والمكابرة والعناد .

الزعامة وأثرها

ونقول والاسف يحز قلوبنا ان من اهم علل تشكيلاتنا الحزبية وحركاتنا الوطنية وتعثرها عدم ظهور الزعيم القوي العبقري المؤمن الى الآن في بلادنا الذي تؤهله مواهبه وإيمانه ونجده وتضحيته للقيادة وبث الايمان وإثارة القوى الكامنة في الشعب فيجعله يكنسح ما في طريقه من عقبات ويسير تحت لواء زعيمه في سبيل تحقيق اهداف الحركة العربية قدما حتى يبلغ الغاية .

ومسألة الزعيم في الامم وخاصة التي في مثل حالتنا حيوية جداً لان الزعيم المؤمن الموهوب المتجرد يستطيع ان يهز الامة هزاً قوياً وان يكثف قواها ووعيتها ويوجهها في الوجهة الصالحة كما يستطيع ان يختصر الزمن . وقد رأينا ما فعل مصطفى كمال في تركيا بعد ان خرجت من الحرب العالمية الاولى على أسوأ حال وامام اشد الاخطار فعدت امة عزيزة الجانب مخطوبة الود وقام فيها نهضة انقلابية عظمى في مختلف مجالات الحياة . وقد رأينا كذلك ما فعله غاندي في الهند من معجزة كبرى وهي قارة برأسها يجتمع فيها مئات الامارات والاجناس والادبان والنحل واللغات حيث استطاع ان يكون نبيها المعترف به من الجميع وحيث استطاع ان ينفخ الروح القوية التي ساعدت على خلاصها من يرائن الأنكليز وغدوها دولة عظمى سوف تلعب على مسرح العالم ادواراً كبيرة . وهذا ما فعله جناح حيث استطاع بقوته الروحية ودأبه ونجده ان ينجح في إقامة الدولة الإسلامية الكبرى «الباكستان» التي سوف تلعب هي الاخرى على مسرح العالم مثل تلك الادوار . والمدقق في الزعماء العموميين او الزعماء الحزبيين الذين ظهروا في بلادنا يجد لكل منهم عيوباً كانت من اسباب عدم نجاحهم ويجدهم الى هذا وسطاً في مواهبهم وقابلياتهم وعلومهم بل وإيمانهم وحرارتهم واستغراقهم في مهمتهم ايضاً . واذا كانت الكفاءة العادية تغني في الظروف العادية فانها لا تكفي بالنسبة لامتنا التي تحتاج في يقظتها الى وثبات وقفزات عظمى وتحتاج بالتالي الى كفاءات خارقة تساعدنا على ذلك .

وليس في اليد حيلة في هذا الامر ، لان الزعامة لا تصنع ولا تنتخب وإنما هي

موهبة خاصة ، على ان التشجيع والانسجام قد يفيدان كثيراً في ظهورها في الاشخاص الذين تبدو فيهم بعض صفاتها كالاقدام والجد وقوة العارضة والاقناع والخطابة وسعة الافق والصدر والمطامح . فعلى المخلصين الذين يحبون وطنهم وامتهم وبألمون لحالتها ويودون ان يتخلصوا منها الى حالة اقوى وافضل واسعد من شباب وغير شباب ان يتجردوا وان يتضامنوا في هذا الامر لعل تجردهم وتضامنهم وتشجيعهم وانسجامهم يهيء الجو لبروز الزعيم المنشود فيهم واستلامه للراية والسير تحتها قدماً .

- ٧ -

ضرر كثرة الاحزاب

ولقد قلنا ان الاعتبار الشخصية هي التي ادت الى تعدد الاحزاب في بلادنا على تشاكلها وتقاربها في المبادئ والاهداف والخطط بل التسمية . فاذا ما امكن للشباب ان يتغلبوا على هذه الاعتبارات وان يعملوا القصد لتنظيم الجهود والاساليب في سبيل تحقيق الفكرة والهدف صار من الممكن ان لا يكون ذلك التعدد . فليس لكثرة الاحزاب فائدة قومية وخاصة إذا ما كانت متشاكلة بل هي ادعى الى احداث البلبلة والتشويش والارتباك وهدر الجهود والقوى ، فعلى الجماعات التي تتقارب في مبادئها وعقائدها وميولها والحالة هذه ان تضحي ببعض الاعتبارات والتفصيلات فتكون كتلا قوية وكبيرة فتضمن حينئذ النجاح لدعوتها وجهودها .

ونذكر على سبيل المثال بعض الافكار التي يمكن ان تقوم الاحزاب عليها في بلادنا .

ففي الدنيا فكرتان متنازعتان احدهما الاشتراكية على اختلاف مداها وثنائيتها الفردية الاقتصادية او الحرية الفردية الاقتصادية ، ولكل منها انصار مؤيدون ومستندات واقعية ونظرية . فليس من مانع من ان يكون في البلاد العربية حزب اشتراكي وآخر حر اقتصادي فيصكون الفرق بارزاً ومفهوماً بين هذين الحزبين فيؤيدهما الناس بالانتماء والتعصيد عن علم وبينه .

ومهما يكن مفهوماً من ان مسائل العامل والفلاح والاصلاح الاجتماعي مما تتناوله

مناهج هذين الحزبين وخاصة الحزب الاشتراكي فان حالة العامل والفلاح وضعف المنشآت الاجتماعية مع شدة الحاجة اليها في بلادنا تتحمل ولو لامت محدود ان يكون لكل منها حزب يتفرغ لها ويبدل جهوده في سبيلها .

وبالنسبة لدنيا العرب هناك فكرة الوحدة الشاملة ووحدة الدولة وفكرة الاتحاد مع تعدد الدول . فلا مانع من ان يكون لكل من يقول باحدى الفكرتين كتلة حزبية خاصة .

وهناك فكرة وجوب توطيد الحياة النيابية على اوسع مداها كما ان هناك فكرة الاقتصاد في ذلك بحيث يكون للسلطات التنفيذية صلاحيات واسعة بعض الشيء . فلا مانع من ان يكون لكل من يقول باحدى الفكرتين كتلة خاصة حزبية كذلك .

وننبه على اننا شخصياً لا نؤيد الحرية الاقتصادية الفردية . على اطلاقها كما اننا لا نؤيد فكرة الحياة النيابية على اوسع غاياتها لمدة محدودة من الزمن على الاقل . ونعتقد أن الحياة النيابية المحدودة التي تسمح للحكومات بصلاحيات واسعة هي الافضل الآن بسبب حاجة البلاد العربية الى الاستقرار الداخلي والاسراع في الخطوات الاعدادية والاصلاحية والتجديدية ثم بسبب ما يرى من مشاهد الانتخابات النيابية والمجالس النيابية الاليمية التي ذكرنا شيئاً منها قبل قليل والتي لم تعد تلك الحياة عندنا بما لا تقلد مسيخاً ومشوهاً . وهذا فضلاً عن ان هذه الحياة على اوسع مداها لم تنجح في غير السكسونيين نجاحاً تاماً حيث غدت مع القرون الطويلة التي مارسوها خلالها منسجمة فيهم انسجاماً عجبياً . أما الامم الاخرى وخاصة الامم اللاتينية وما يدخل في مداها فما تزال تتعثر فيها ولا تجني منها الفوائد المرضية . فاذا امكن ان يكون نظام يجمع بين حق رقابة الامة على السلطة الاجرائية وحق هذه السلطة في صلاحيات واسعة لا تقيدتها اشكالات وشكليات الحياة النيابية كان هو الخير . ومن ناحية النظام الاقتصادي فالذي نعتقده ان الاشتراكية المعتدلة الوطنية هي خير المناهج ، ونعني بها التي تهدف الى ازالة الفروق العظيمة بين الناس في الثروة والملك والمراتب الاجتماعية والاستمتاع بنعم الله في كونه على التساوي ، والمساواة التامة الفعلية في الحقوق والواجبات العامة ، وسيطرة الدولة على المرافق

والمنشآت العامة التي لها مساس بمصالح الجمهور وحياته ، والحيولة دون استغلال العمال والفلاحين واضطهادهم وارهاقهم ، وتوفير العلم والصحة والحياة المعقولة لكل الطبقات بما هو من تلقينات القرآن وملهاته ، وبما نعتقد انه العلاج الذي يمكن ان تستقر البشرية به وتقر عينها بالهدوء والرضاء . ومهما ساق اصحاب النظرية الاقتصادية الحرة من حجج فلن يستطيعوا ان يقنعوا احداً بصواب نظريتهم لانها تصطدم مع حقيقة الواقع من كونها تؤدي الى تجمع الثروة في يد فئات قليلة ، وبقاء السواد الاعظم من الامة مستغلاً وفي حالة الفقر وما يتبعه منها اختلاف مدى هذه الحالة . وإذا كنا نرى حياة العامل والفلاح حسنة ومستواهما مرتفعاً وقد نالا عناية كبيرة من الحكومات واصحاب الاعمال في الظروف الاخيرة فان الذي نعتقد ان ذلك إنما هو استجابة بوجه ما الى الدعوة الاشتراكية او الرغبة في تفاديها وليس ذلك اصيلاً في طبيعة هذه النظرية .

وقد قيدنا الاشتراكية التي نفضلها بالمعتدلة الوطنية احترازاً بما توسوس به الشيوعية من التنكر للكرامة القومية والمصلحة القومية والتقاليد القومية ، ومن محاربة الملكية والحيازة والادخار والتوارث ، ومن تسخير الفرد تسخييراً شديداً ، حيث نرى في هذا كله محاولة غير مجدية لتعديل طبائع او بالاحري غرائز بشرية ، واهدار للقوى والمواهب بدون ضرورة ولا مبرر ، كما اننا نراه غير متفق الى هذا مع ملهاتنا الروحية والقومية . واكره ما نكرهه في هذه الاشتراكية الشيوعية انها دعوة اجنبية وان الذين يندمجون فيها من العرب وغير العرب ينسلخون من قوميتهم وما تستلزمه من مقتضيات ويسرون بوحي موسكو سلباً وإيجاباً سيراً أعمى دون ترو ولا تدقيق ، ومهما كان في هذا الوحي من مفارقات ومغالطات ومناقضات .



تصحيح اللفظ المطبعية المصححة

صحيحة	سطر	الخطأ	الصواب
٦	٩	جبهة	جهة
١١	٢٢	يضعف	لضعف
٤١	١١	يمكن	لا يمكن
٤١	٢١	تقتطعها	تقتلعها
٥٠	٢١	تحفظ	نخط
٥٥	١	غريباً	غريباً
٦٦	١١	هنا	هذا
٧٩	١٨	استغفنت	استغفث
٨٦	٢	إبرازه	إبراده
٩٣	٨	بعد ان قد استعدت	بعد ان تكون قد استعدت
١٠٢	٢٣	يتجهمون كل التجهم	يتجهمون كل التجهم
١٢١	٢٠	دائميون	دائميون
١٢٢	٢٠	فقد خلت	فتدخلت
١٢٢	٢١	مرفاً	مصرفاً
١٢٢	٢٢	المصانع تشترك	المصانع التي تشترك
١٢٨	٢٤	وان تمنح	وان لا تمنح
١٢٩	٢٥	المرئية	المرئية
١٣٧	١٩	واخفقت	واخفت



كتب المؤلف الاخرى

الكتب المطبوعة

- دروس في فن التربية
مختصر تاريخ العرب والاسلام
دروس التاريخ العربي
دروس التاريخ القديم
دروس التاريخ المتوسط والحديث
تركيبه الحديثة
- موجز تاريخ حلال اوربا في الشرق العربي
عصر النبي عليه السلام وبيئته من القرآت
سيرة الرسول عليه السلام
القرآن والمرأة
القرآن واليهود
الاجزاء الاول والثاني والثالث والرابع والخامس
- مترجم عن الافرنسية
جزآن
- مترجم عن التركية والافرنسية
جزآن
- حول الحركة العربية

الكتب التي تحت الطبع والاعمال

- نظم القرآن ودستوره في شؤون الحياة
القرآن المجيد تنزيله واسلوبه وتدوينه وتفسيره ومختلف مسائله الاخرى
التفسير الحديث للقرآن
حول تاريخ الجنس العربي وموجاته ومآثره في القرون الاولى والوسطى